

# أَلْ وَرَد

مجلة الثقافة الوطنية الديمocrاطية



فرح أنطون

الاشتراكي الرومانسي

الارهاب

بحثاً عن علمانية جديدة

عبد المحسن

طه بدر

الحنبلی الذي صار ضميراً

إنجى أفلاطون

آخر حوار قبل الرحيل

بورسرو - العدد الرابع

# المِسْمَار

رأيية المستضيقين في الأرض

- شبكة علاقات مركبة بين الحزب الوطني وجماعات التطرف
- الحالة في الأسواق
- عرب ١٩٤٨ في إسرائيل ضحايا هجرة اليهود السوفيتية
- الأفطاول : من حقوق المواطن إلى المطالبة بحق الحياة !
- دستورية البيان وشرعية الحكم !
- جنائية المنافقين على القطاع العام . رسائل وتقارير من : الجزائر / اليمن / الكويت / حيفا / باريس / لندن / جنيف / موسكو . كاريكاتير : حجازى / البلاد / عمرو سليم

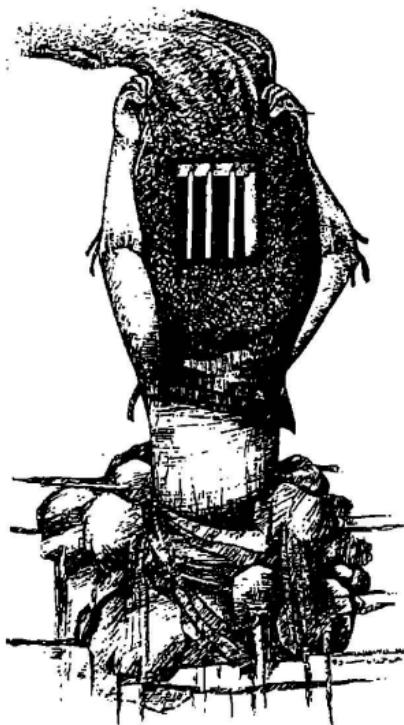
وافتھؤلاء : أمينة شفيق / د. جلال أمين / د. رفت السعيد / صلاح عيسى / د. عاصم الدسوقي / د. عبدالعظيم أنتيس / عبد النفار شكر / فريدة النقاش / محمد سيد أحمد / محمود أمين العالى / د. ناصر حامد أبو زيد .

١٠٠ صفحة جنيهًا واحدًا

رئيس التحرير: حسين عبد الرازق

أدب ونقد

مكتبة لسان العرب  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

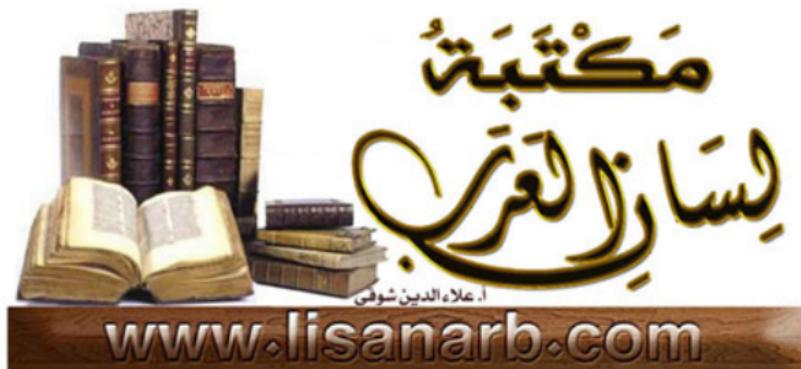


السنة السابعة / يونيو ١٩٩٠ العدد ٥٨ غلاف يوسف شاكر

الرسوم الداخلية، نظير نعمة ومحمد محمد حمдан (عن الناقد)

**المصتشارون**

د. الطاهر أحمد مكي / د. أمينة رشيد / صلاح عيسى / د. عبد العظيم  
أنيس / د. عبد المحسن طه بدر / د. لطيفة الزيات / ملك عبد العزيز



المواعظ: مجلة أدب ونقد / ٢٣ ش. محمد الناشر شروط القاهرة / ت ٣٩٣٩١١٤  
الاشتراكات: ( لمدة عام ) ١٢ جديها / البلاد العربية ٥٠ دولار / أوروبا وأمريكا ١٠٠  
المقالات التي ترد للمجلة لا تؤدي لاصحاحها سواء نشرت او لم تنشر  
اهمال الصحف والتضييف، سفارة سعيد / نعمة محمد على (مجلة اليسار)

رئيس مجلس الإدارة

**لطفي واكد**

رئيس التحرير

**فريدة النقاش**



مدير التحرير: حلمى سالم

سكرتير التحرير: أبواهيم داود

مجلس التحرير

ابراهيم أصلان / د. سيد البحراوى / كمال رمزي / محمد روميش

---

في هذا العدد:

---

- ٦ رئيس التحرير
- ١١ د. شكري عياد
- ١٤ د. رفعت السعيد
- ٤٠ د. نصر حامد ابر زيد
- ٥١
- ٨١
- ١١١ د. صبرى حافظ
- ١١٧ من التلمساني
- ١٢٤ فوزى ثلبي
- ١٣٥
- ١٤٢
- ١٤٤ صلاح عيسى
- الافتتاحية: لزيرة المستحيل.. المكن
- هوما مش نقديّة؛ الأدب النسائي
- فرج أنطون:
- أسطورة الرومانسي الاشتراكي تتحقق
- الكشف عن أقتحمة الإرهاب
- تخصص:
- جميل عطيه ابراهيم / شرقى نهيم / محمد الورداوى
- وجيه عبد الهادى / ابراهيم نهيم / محمد جبريل / جميل حتمل
- شعر
- كمال الجزرلى / سمير عبد الباتى / محمد سليمان / السماح عبد الله
- محمد الغيطى / طاهر البرنالى / مصطفى الجارحى / مدحت منير
- عبد الحسن طه بدرا:
- الشبل الذى صار ضميراً
- إيمجى انلاطون: مواسم الرحيل (حوار)
- ثرثرة لا يعتذر عنها محمد مهران السيد (حوار)
- الحياة الثقافية
- جوله مع الكتب الجديدة:
- خليل عبد الكريم - أحمد جودة - التحرير
- هل تبيع تراثنا الثقائى؟
- كلام مشتفين: إن فاتك المجرى يا مشتف

## لؤلؤة المستحيل .. الممكن

جريدة النقاش

ألا تتشابه المعارك الفكرية في أول القرن مع معاركنا الآن؟  
لابد أن عدتنا هنا سوف يثير السؤال على هذا التحول.

نعم إن المعركة التي خاضها الإشتراكي الرومانسي فرح أنطون ونفر غير قليل من المفكرين الشجعان وقحورت في بداية القرن حول العلمانية والعقلانية وحرية الفكر والمعتقد والضمير تتجدد الآن في زماننا وقبل نهاية القرن بستونات قليلة ولكن شكلها يختلف اختلافا جوهريا . إن التطرف السلفي الرجعي يحمل السلاح الآن كأنما يتذهب لمجزرة، يقوم بين الحين والأخر بتقديم ما يشبه «البروفات» لها في هذه القرية أو تلك أو في هذه المدينة أو تلك.

هل نحن إلى الخلف، نتقدم ولكن للوراء؟

كلا نحن نتقدم للأمام، لكن كوابع التقدم تدفع بقوه إلى مسالك جانبية وطرق ملتوية صعبة، قاما مثلما أن عنف الجماعات السلفية التي عجزت حتى الآن عن تسجيل نصرها الفكري الخامس على العلمانية كما عجزت كل الفلسفات المتألية التي ولدت عبر العصور عن الانتصار على المادية، أى على الواقع. إن هذا العنف ليس دليلاً إنتصار بل هو دليل عجز.

أنه عنف موجه للزمن الذي يتقدم للأمام، الزمن الذي تسمى المعرفة العلمية بالمجازاتها الساطعة في كل الميادين فيزيائية كانت أو إجتماعية. وفي هذا الزمن لا يستطيع أحد مهما أوغل في رجميته وعزته أن يتتجاهل الدور الخلاق والمتميز للجماهير الشعبية كصانعة للتاريخ، تلك الجماهير التي تغيرت تغيراً جذرياً للأفضل في بلادنا كما في العالم أجمع، وإن بقيت أمام المثقفين الطبيعيين مهمة صعبة ماتزال: هي اكتشاف

قدرتها الكامنة في الملابسات الجديدة.

كان «فرح أنطون» في بداية القرن ينادي إلهة العقل طالبا منها المشورة لكن يطرق السبل التي تجعل دفع روحه الفياضة بحب العدالة والمساواة ورفض الظلم والقهر - فاعلة في صورتها .. علمنا كيف نستخرج الماس من الجمجمة الجاهلة...»

يعرف دعاة العنف والاستبداد والتقدم إلى الخلف أن المجاهير لم تعد في هذا العصر جاهلة كما كانت في بداية القرن.. لقد اتسعت قاعدة التعليم رغم تدهوره، واتسعت قاعدة التنظيم رغم القيود البروليتارية، وأتى النسو الرأسمالي العاصف معه بطبقة عاملة قوية ينهكها الآن سوء الحال لكنها تظل إمكانية هائلة، وشكل كل هذا جمهورا متزايدا للأدب الجديد والفكر الجديد، سوف يكون لدى زوال الجيل الاعتزازية الطويلة سدا لحرية الفكر وغلو الإبداع.

بسبب هذا كله تقف الموجة الدينية السلفية المسلحة بعزمها ضد الأدب والفن والفلسفة، ضد السينما والمسرح. ويفرض سلطتها من أصحاب التبرود ولارات وجروهم الضحل والخانق على سيرة الجامعات وعلى برامجهما، ويسلّلون خفية أو بالتوatz إلى المنابع حيث توضع برامج التعليم ومواده، وبخوضون معركة يائسة ضد الشعر الجديد فشل العقاد بكل جبروته لئن كسبها قبل ثلاثة عاما.

باختصار إن الأرض الموضعية للعالم الجديد تتسع وإن الاختلاف في الشكل بين معركة الأمس ومعركة اليوم هو أيضا اختلاف جدرى في المضمر فالقرى الجديدة حاملة لواء المستقبل ليست هي نفسها في بداية القرن، لقد اتسعت قاعدتها كما تغيرت جدرى مواصفاتها النفسية والروحية بنحو قدرتها على الفعل واتساع آفق عالمها.

والرؤية العابرة السكونية وحدها تقول بغير ذلك، رغم أن الزمن هو زمن الانكسارات الكبيرة والانتصارات الشعجية فإنه هو نفسه الزمن الذي تتجلى فيه بشكل غير مسبوق عبقية المجاهير الراصعة في إنفاضة الشعب الفلسطيني.

إن شيخوخة العالم القديم هي شيخوخة مهما لمعت أسلحتها المقصولة، وإن قاطع الطريق هو قاطع الطريق وإن تزيا بشباب براقة كصاحب رسالة يمارس إرهابه الفكري بالسلاح، ذلك الإرهاب «الذى يقوم على بنية ذهنية تقوم على العنصرية والتبعية» كما يوضح ذلك الدكتور نصر أبو زيد وهو يسمى في دراسته العميقة إلى «اكتشاف الباطن الذى يقوم عليه الظاهر ولا يستقيم إلأبه». ويقدم في مجمل عمله إسهامات مبدعة تؤكد الحقيقة السابقة.. أن هناك تغيرا جديدا في المضمر يخلق تغيراته رغم الكوابح.

«.. وإذا كانت سيادة تلك البنية الفكرية الإرهابية ترجع إلى سقوط مشروع «النهاية» بعد سلسلة الازمات التاريخية التي مر بها، فإن البحث عن حل يبدأ من معرفة أسباب ذلك السقوط. لقد قامت معادلة النهاية على صيغة تلقينية بين التراث والوائد، صيغة انبثت على أساس تفاصي براجماتي بحكم الطبيعة الهشة المتهافة لنشأة الطبقة الوسطى في أحضان الاقطاع المحلي من جهة وفي تبعية للرأسمالية الغربية من جهة أخرى..» هكذا يرى غالى شكرى الأمر، ولأنه أن

نستخلص أن صيغة التوفيق يجب أن تسقط، ويكون علينا أن نبلور في عصر التحررات الكبرى، وأسماء المفكِّر المفْرِي عبد الله العروي «، بالعقل الكوني» الذي نرى به خصوصيتنا فلا تصبح عائقاً وإنما قرة دافعة للأمام.

\* \* \*

كان «فرح أنطون» في بداية القرن واصحاً كل الوضوح فدعا إلى منع تعليم الدين في المدارس «وفي التعليم يجب وضع الدين جانباً، أما الدروس الدينية والمبادىء، الدينية فتدرس في المعابد والمنازل..» وحتى تكتمل رؤيته تلك اتساقاً مع ضرورة تشكيل هذا العقل الكوني حيث لاجنسية للعلم، إجتماعية كانت أو طبيعية، لابد أن تتخلص أجهزة الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيري ذات النفوذ الجبار من البرامح الدينية في وطن يضم ديانتين كبيرتين «إنها علمانية جديدة تكون بنداً في جدول أعمال «ثورة ثقافية شاملة» هي جزءٌ من مشروع حضاري جوهره الديمقراـطـية والاشـراكـية...» يواصل غالى شكرى.

إن مثل هذه الثورة لا تبدأ ولا تتحقق في الفكر وحده، إنما لابد لها أن تبدأ من الأرض، من الواقع المادي، من الانقسام الوحشى في المجتمع الذي يدفع بالجماهير البائسة إلى شعرة السلفيين وذلك حتى تستوري الأرض التي ستحتضن حرية الفكر والعقيدة والضمير.. أى محاضن العلمانية.

إنها خطوطان متلازمتان توأمان: تحرير لقمة العيش وتحرير العقل.. وتهييد التربية حتى ينمو الجديد عفياً ينال حقه من الهواء والشمس والماء.. وليس المطلوب كما يؤكـد الدكتور نـصر أبو زـيد «عزل الدين عن الحياة كما يريـجـ المـطـلـوبـونـ، بل المـطـلـوبـ ويـالـحـاجـ تصـبـحـ دورـهـ باـعـطـانـهـ فـعـالـيـتـهـ الحـقـةـ ليـكـونـ جـزـماـ منـ النـسـيـعـ الـحـىـ لـهـضـمـنـاـ وـقـافـنـاـ وـمـجـمـعـنـاـ..»

إن العلمانية الجديدة هي طريق للخروج من عفنونة السبعينيات التي حولت مصر، على حد تعبير الشاعر الكبير محمد مهران السيد، إلى «أرض محروقة»، ومن الأرض المحرقة تتصاعد الآن الفارات السامة والدخان الحارق الذي لا ينذر أن يتسبب في عمي مؤقت، وهو المناخ الملائم لبروز كل هذا القبح الذي ما يزال يلف حياتنا... ويُرتجع فيها صراعات مشعرة عرفت المجتمعات الأوروبية شبهاً لها لدى ولادة البروجوازية، حيث تطاخت الفرق الدينية والمذاهب زماناً طويلاً إلى أن استقرت أسس العلمانية والعقلانية وحرية الفكر.

لكن معضلتنا شأنكة أكثر، إذ أن هذه الصراعات تنفجر بعد أن توصل البشرية لخلافات واضحة وراسخة.» وبعد أن كان على السلفيين دعاء الرجوع للماضي أن يستهلكوا- وبالمقارقة- آخر ما وصل إليه العقل الكوني- الملحد في نظرهم- فإذا يخلق وضع مأساوي فهم يرفضون تلك المعرفة التي أفضت للتكنولوجيا بينما يستخدمون التكنولوجيا، وحين يجدون أنفسهم وجهاً لوجه أمام المأزق يسارعون إلى التبريرات الدينية: إن الله قد خلق هذا العقل الكوني ليسخره لسعادة المسلمين كما يقول أحد شيوخهم<sup>11</sup>

ومن حين يتراجع التخلف في البنية الاجتماعية نسبياً نتيجة للتطور العالمي العاصف،

يكون عليه قائمًا في البنية الذهنية، وتلك كلها علامات احتضار..

\*

من باب آخر تقدّنا هذه المناقشة الغنية إلى الواقعية في الأدب وإلى محاولات التوفيق بين الصوفية والميثولوجيا في التراث وبين الواقع الحى، والتي بروزت في إنتاج عدد من الكتاب المسيحيين والملائكة كانوا يهود من أسلمة الشكل الملحمة، حيث أصبحت الواقعية الجديدة محديا يومياً، واستعاضوا عليهم ما يسميه «نعمان عاشور» بالصدق الموضوعي فخلقاً من القديم عالماً موازيهاً رومانسيًا كاملاً حكمته بالرغم منهم تلك الثنائية المثلالية: الخير/ الشر، الظلمة/ النور، الظلام/ الواقع. هذه الثنائية التي أخذت تترالد لتنتج كأنّ بل ركاماً هائلًا من الأعمال السطحية التي تدعى العقى، والقامضة التي تدعى الوضوح وهوها من الواقعية تتمترس بعض الأعمال في اللحظة الراهنة وحزنها السوداوي ومايلوح كأنه أبديتها.

وإذا كان بعض هذا الاتجاه يعطيانا لحظات شاعرية وهاجة، وصوراً قوية ومشاهد جميلة إلا أنه يعجز في عمومه عن الإلهام وعن إلتحام طاقة للأمل... أو تأكيد الفقة في إنسانية الإنسان..

تؤكد الفنانة الراحلة «إنجي أفلاطون» في حديثها الأخير مع الشاعرة الشابة من التلمessianي الذي نشره هنا في ذكرها الأولى، تؤكد - كفنانة واقعية ملتزمة إستوعبت كل المدارس الفنية في تعبرها عن الواقع الاجتماعي - ماتكشف عنه هذه المقارنة العلاقة بين نظرتين للواقع: الواقعية والواقعية، فالأخيرة تكشف لنا، شأن كل الأدب والفن الواقعى العظيم، عن جانب خفى من نبل الإنسان وطاقته الروحية التي تميز عن الوحش، بينما تحوله الواقعية إلى كائن بيولوجي طبيعى تتجلّى إنسانيته لا في الوعي بها أى بالاتسائية وإنما في القتال من أجل البقاء والاستمرار في الحياة، وهو ما يولد الأشكال السوداوية المشائمة والكافوسية التي إنكشفت منها كل نزعات العنصرية والثانية البيضاء. تقول «إنجي أفلاطون» لم «الغريب ان تدهور المجتمع عندي يأتي بنتائج عكسية، أعني أن أظل محفوظة بتفاؤلي وصفائي، وذلك لأن الشعب المصرى من بطيئته.. وفى البداية حين واجهنى الفقر المدقع الذى يعيشه الناس أحسست أن بداخلى شحنة قوية جدا ظهرت فى صورة مأساة، ثم بعد أن اكتشفت مدى تفاؤل الشعب نفسه وجدت فى ذلك شيئاً من الإيجابية جعلتني أكثر تفاؤلاً...».

وإن الحرية لهى كما يقول الدكتور «شكري عياد» «مجاهدة مستمرة، وإن الانتصار على الظروف الصعبة يعني وفرة من زخم الحرية، ولعل هذا هو المعنى الذى يمسك به صديقنا الرابع المعتقل الشاعر السودانى كمال المجزولي الذى سجنته الفاشية العسكرية فى السودان مع مئات من المناضلين الذين كان لهم شرف رفض الحكم العسكرى والدفاع عن الديمقراطية. وإن كمال المجزولي سكريت اتحاد الكتاب السودانيين ورفاقه الذين أصيب عدد كبير منهم - هو بينهم - بالجرب، ليحتاجون أيضاً إلى مجاهدتنا جميعاً.. من أجل حريتهم.. من أجل حررتنا.

ولا ننسى هنا أن الإرهاب الدموى فى السودان، كما فى إيران، يقع ويتمادي تحت شعارات

إسلامية. إن ذلك على مرارته يؤكد صحة استنتاجاتنا، ويرهن على أن الدعوة التي لابد أن تقترب بالمارسة من أجل تصفية العنف من جذوره هي دعوه صحيحة.. فقط تحتاج للرقة مع العزم والتصميم من أجل انتصارها في سبيل مجتمع ديمقراطي يسوده العقل والمعدل والحرية.

وما نحتاج له الآن كوطنيين ديمقراطيين هو أن نجح في إعمال الدياليكتيك وقلقه بصرامة وشجاعة حتى يضيء لنا العقل التقديمي هذا الدرب الذي لغة السواد حتى تفتحه الممارسة أمامنا، إن القوانين العامة لتطور الطبيعة والمجتمع والفكر في عصرنا هي غلابة وثاقبة وشديدة الوضوح. هذه الحقيقة الصارمة سوف تقودنا بدورها لنمسك في لحظة الانحدار بعوامل الصعود، وحيث ترى الجماعات السلفية في الانحدار صعوداً، إذ هو، قىشى إلى الماضي. علينا أن نميز.. ونميز معنا الجماهير العريضة بين صعود وصعود. إن هذا الفعل الدياليكتيكي الكوني في تعبير العروى، يعلمنا أن كل الظواهر مرتبطة ببعضها البعض، وأن الموجة السلفية العاتية هي الروجه الآخر للحكم الرأسمالى التابع وحيث يتعالج هؤلا، وأولئك واقعيا - مع العلو الترمى - حين يسلمون عقولهم ومصائرهم لسيدهم الأعمى.

ومع ذلك، ورغم تشاوم الدكتور نصر حامد أبو زيد الذي يرى أن السلطة السياسية قد قامت دائما ومازالت تقوم - برغم ادعاهما العقلانية - بالدور الذي كانت تقوم به الكنيسة الغربية في العصور السابقة، إذ جعلت من أيديولوجيتها معيارا للخطأ والصواب الديينين، ورغم إيقافه في الشتاوى إذ يرى «إن هذه السلفية المركبة بلقت مرحلة الخطر دون شك، وهذا الخطر يهدى في جعل الإهارب بنية إجتماعية سياسية فكرية تتجلى في العلاقات الأسرية تحليها في أضخم المؤسسات الاجتماعية والثقافية». رغم هذا التشاوم المبرر، ليس بوسعنا أن نتفاصل عن عناصر المقاومة الشديدة والمتناهية على كل الأصعدة فكرية وسياسية وإجتماعية والتي تبرز في حمأة الصراع، وتبتلع في مقولات ومارسات وتشق لنفسها قنوات تحثية في الجامعات ومرتكز البحث والطبوغرافيات، وبعض الرسائل الجامعية كما في روح التمرد وطرح الأسئلة الجديدة، في الممارسة الشعبية النضالية التي تتوجه وتتربع وتتوهنج في المصانع والمؤسسات، في النقابات، في الموارى وفي القرى.

كل هذا جنحتي، نعم.

لكنه يتشكل ولابد أن يكون شكله مخلوطا بالدماء،  
ولأن تطور الثقافة في العالم أجمع كما في بلادنا يؤكد صحة الدياليكتيك  
الذى تبرهن عليه المعارف الفنية الكيفية المتتسارعة فإنهن يعارضون الأدب  
والفن، ويعادون السينما والمسرح بضراوة، أما العلم الذى يصادم فى كل  
اكتشاف مقولاتهم فإنهم يستغفرون فى البحث عن أصول له فى النصوص  
الدينية حيث يدركون أن التقدم المادى يستحيل بدونه.

فهل يأتى تتوفر الثقافة العربية على شروط لتخطىء هذا المأزق الكبير؟

مرة أخرى.. لا بد لنا أن نبدأ من الأرض، من هنا، من الواقع الملموس. إن شروط هذا التخطي كامنة في القوى الشعبية العربية، تماماً كما أن يذور الفنا، الحتمي كامنة في المشروع السلفي كله.

يقول المروي:

ماذا نستنتج من هذا التذكير التاريخي؟

أنه تردد في الشفافة العربية شروط تخطي (تجاوز) للمنطق الشكلي، أو التجربة الماقبلة الدياليكتيكية، وحتى إجهاض الحال الدياليكتيكي. هذه الشروط التي أتاحت نفس التخطي في الغرب. ان اللغة، ومجموعة الصور، والبنية الذهنية التي قادت العقل نحو إدراك ديناليكتيكي لذاته ليست مجهولة مطلقاً في ماضينا الشفافي، ويكتفى فقط أن تغرى إعادة تنشيط هذا الماضي الشفافي في ضوء تجربتنا الحاضرة.. إن كلامية ابن عربى نفسها ليست بلا تنافع، ذلك لأنها تعلم العقل الخلق، وأن ينقطع عن البداية دون أن يتتساها تماماً، رغم ذلك. لقد سبق لنا القول إن القضية هي معرفة ما إذا كان إجهاض الأمس لا يهدى بالتجدد اليوم؟..»

ويضيف «وحتى اليوم، ليس الدياليكتيك منعدم الوجود تماماً في ثقافتنا، كما يعتقد عادة، إلا أن الشيخ هو الذي يبرره بشكل صوفى».

والمؤكد أيضاً، أنه بالرغم من قبضة الشيخ العاتية على عقل الأمة وروحها، إلا أن شيخوخة الشيخ- رغم تصابيه- لا يمكن أن تخطئها العين البصيرة.. التي تبحث هي ذاتها عن لزلزة المستحيل الممكن في حركة الشعب، حيث يقف العرب على باب التاريخ الممكни.



---

اعتلار: يعتذر محرر «أدب ونقد» عن كمية الأخطاء الكثيرة التي وقعت في تصحيح التناخة رئيس التحرير بالعدد الماضي، الخاص بتفكيرنا الكبير لرئيس عرض. اعتلار مقدم للقراء الأعزاء، وللذكرى ليس عرض نفسه، ولرئيس التحرير التي أضررت الأخطاء، باعتقاديتها.

## الادب النسائي

د. شكري عياد

مفترض في أي هامش أن يكون مختصراً، وأن يدخل الكاتب في موضوعه بدون مقدمات. ومع ذلك فلا بد لي أن أقدم مجموعة من الاعتذارات أو «الظروف «المختلفة» لعلها تشفع لي عند أصحاب الشأن أو أصحاباته.

فاما الاعتذار الأول فلذلك الزميل الذي سألني باسم الجريدة التي يكتب لصفحتها. الأديبة مارأيك في الأدب النسائي؟ ولم أكن أعرف أن «الأدب النسائي» قد أصبح موضوعاً من «موضوعات الساعة». فسألته وأنا شارد الذهن، فقد انتزعنى من كتاب كنت عاكفاً على قراءته ماذا تعنى بالأدب النسائي؟ فذكر لي أسماء كاتبات ثلاثة أو أربع، واتفق أني لم أكن قرأته رواية واحدة لاحتدهن، وسمعت بأسماء الباقيات مجرد سماع. فاعتذر له بهذا العذر البين. فلم يكتفى أن أكون مستعداً لابداء رأيي. وهنا صحوت تماماً وأبديت له استنكاراً لمثل هذه الكتابة ومثل هذه الآراء.

فانا أكتب في هذا الموضوع الآن، وربما ظن أني بخلت عليه بالرأي الذي سألني عنه. والواقع انني لم أفعل، بل همت أن أبسطمه به بعض الرقت ريشاً أستحضر في ذهني ما قرأت من أعمال الكاتبات، وربما كان لي بعد ذلك رأى يستحق أن أبديه. ولكنني تذكرت تجربة مماثلة، فقد سئلت مرة حول «موضوع من موضوعات الساعة» هذه (ما يبغض الأدب الذي يتغير الحديث عنه من ساعة إلى ساعة) وبعد يوم أمللت على الصحفى صاحب السؤال (الذى طارعنى على هذه الجدية غير المعقولة) جواباً لا أخرج حين أجدء منسرياً إلى وإذا بين أرى الجواب منشراً بعد يومين أو ثلاثة وقد اختصر اختصاراً مخلاً.

فعممت عزماً أكيداً على الا اعاده الكرة، لا مستهلاً ولا مرتجلاً

نهاذا هو الاعتذار الأول.

فاما الاعتذار الثاني فلكلاتباتنا الشابات (وكلهن شابات). فأنا حقا لم أقرأ إلا قسما صغيرا من أعمالهن. ولكن ربيا شفعت لي عندهن الاخت، أو الاخت، زينب صادق، التي تعلم أنني سعيت الى لقائهما بعد أن قرأت لها قصة في صباح الخير، وقرأت لها بعد ذلك كتابيهما الأولين، ولا أعلم بعد ان كانت قد أضافت اليهما جديدا. تشفع لي ايضا الاخت او الاختن اقبال بركة، التي رجوتها أن تبعث الى برواياتها، لأنني - والله يشهد - لم أجد غير هذه الطريقة للحصول عليها. تشفع لي اخيرا المناضلة، العظيمة الدكتورة نوال السعداوي، التي قرأت لها ثلاثة كتب على الأقل (يحمل أحدها، ولعله آخرها، اهدا، كربلا منها) ولم أصادف كتابا من كتبها عند الباعة الا اقتنيته، أملا ان أفرغ لقرايتها جميعا عندما اتخفق من بعض المهام العاجلة.

وقد قرأت لكاتبات أوربيات فوجدت بعضهن أشبه بالرجال من الرجال، أخص بجورج اليوت - الى حDMA - فرجيتها وولف. وعندى أن جورج اليوت أكمل فنا وأصوب فكرها من معاصرها العظيم ديكتر، الذي غلبها بفرازه وعاطفيته المسرفة في كثير من الأحيان! وقرأت لنساء نسا، منهن «جورج» الأخرى، جورج صاند، صاحبة ميسية، ومنهن كوليت، وناهيك بها من أمراة فرنسيسة اما كاترين مانسفيلد فلا اعدل بها الى اليوم كتابا للقصة القصيرة بعد تشيكوف، وكأن روح تشيكوف ارادت ان تكون ارق احساسا فتعمقت هذه المرأة المجلبرية.

هل تسمع لي هذه القراءات الناقصة المشتتة بأن أحدث عن «أدب نسائي»؟

الأدب الذي يكتبه المرأة (دعونا من الروايات والاشعار التي يكتبها رجال يتقمصون شخصية المرأة) ليس من الضروري أبدا أن يسمى أدبا نسانيا. «الادب النسائي» في نظرى تسمية مضللة مثل «الادب البروليتاري» الذي كان أول خيبة علنيه للستالينية. فإذا كان المتضود ان الادب الذي يكتبه المرأة، او الادب الذي يكتبه كتاب ينتسبون الى الطبقة العاملة، يتميز بخصائص ادبية معينة فهذا خطأ محض، الادب الجدير بهذا الاسم يتجاوز مصدره ومشائراته، وعلى قدر هذا التجاوز تكون قيمته. نعم، ان الادب تجربة حياة، ولكنه حياة أرفع من الحياة بهذا يستعلى على الام، وينتصر على الظلم والقهر والعبودية، لأنه يبقى جزءا الحرية حية في النفوس.

ما يخص المرأة من الأدب، مثله مثل ما يخص تاجرا ما، او صانعا ما، او جنديا ما. مثله ايضا - وأقولها ولا أبالغ - مثل ما يخص الارستقراطى كنموروج، او البورجوازى كنموروج، او العامل كنموروج، إنما وجد لينسى.

كل الظروف التي يجدها الانسان جاهزة سلفا قبل دخوله الى هذه الدنيا، الجنس، البيئة، الطبقة، حتى الوراثة العائلية، هي الحضانة التي تدخل فيها بضمادة الأدب، وتخرج منها نسرا أو بقانا، أو بليلأ أو ببقاء أو غرايا.

لأن الادب - وهذه عقيدة لم تفارقني منذ كتبت، بل منذ وعيت - هو أسمى فعل من أفعال الحرية يستطيعه الانسان. هو قائد الى الحرية الفكرية، والحرية السياسية، والحرية الاقتصادية. ولهذا لا نقيم الادب بمصدره ولا بظروفه، بل بتعبيره عن حرية الانسان، وان كانت تفاهة المصدر، أو قسوة الظروف، تجعلنا أعظم تقديرنا لما ظهراته من أدب صحيح. ولأنها الموضعية

في ذلك، فإن الانتصار على الظروف الصعبة يعني وفراً من زخم الحرية.

قرأت مرة كلمة لتشيكوف عن سيرته وعمله. قال - ولعلني لا أبعد كثيراً عن نص عبارته - إن أعظم ما أحببه في حياته هو أنه جعل من ابن القرن (كان جده، وربما أبوه أيضاً، من عبد الأرض) هذا الرجل المتدين. ولا أظنه عنى تشيكوف الطيب أو تشيكوف «البورجوazi» الذي تزوج من مثله مشهورة، إنما عنى تشيكوف الفنان، الذي ابدع أدب رفيعاً، لا تقدره حق قدره إلا الصفة من ذوي الفكر الراقم، والشعور الملهف.

ولهذا ايضاً نقول: ان الادب ليس بذكر ولا انشى.

على أنتا تعرف أن هذا المفهوم للأدب يزاحمه مفهوم آخر، مفهوم يجعل الأدب انكasa لرعى فيه من الفنات- عند جماعة- أو لحساسية عصرما، عند جماعة أخرى. ونحن لا نرفض هذا المفهوم ايضاً، ولا نراه يتعارض مع فهمنا للأدب الرفيع على انه اسم، فعل يتحقق به الانسان حريته. فنحن نعرف، وكل انسان يعرف، ان الحرية مجاهدة مستمرة، وان تحقيقها الكامل مستحيل، وتحقيقها الناقص درجات.

فالادب الانعكاس، والادب الحساسية، هما أيضا ادب ولكنهما في أدنى درجات المعرفة، في  
أدنى درجات الادب، مالم يتجاوزا الانعكاس والحساسية.  
وفي هذا المستوى المتذبذب يوجد ادب نسائي.

ويحكم قانون احصائي معروف، يظفر هنا «الادب النسائى» بالقسم الأكبر مما تكتبه المرأة. ويمكن أن يستفيد منه الباحثون الاجتماعيون، والمعنيون بقضية المرأة، فائدة عظيمة، أعظم على كل حال من ادب الرجال الذين يتقمصون شخصية المرأة.

فيهؤلاء الرجال يقدمون لنا صورة مسوخة لشخصية المرأة العصرية، يقدمونها من خلال ترجيحية الرجل التي تجعله شبيها بالرأتة من ناحية ومعطلا لنحو شخصيتها من ناحية أخرى. إن المرأة عندهم مسلوبة الإرادة أمام شخصية الرجل. أما المرأة الكاتبة فأنها تقدم لنا شخصية المرأة المعاصرة في صورة أخرى:

صورة المرأة التي تبحث عن الحب وتبحث في الوقت نفسه عن مكان في الهيئة الاجتماعية، يكتنها - من خالله - أن تفتح جبهها بملء إرادتها. إن ضغط الحياة المادية - التي تشارك المرأة الجديدة في تحمل مسئولييتها - يجعل «حب الحب» حالة مرضيه، أشد ازعاجاً من هذه الحالة نفسها حين عاناهما الرجل في مطالع هذا القرن، وعبر عنها في أعماله القصصية الأولى. ولكنني أمعن في بعض هذا «الأدب النسائي» ثورة عارمة على الرجل، وكانت الكاتبة تريد أن تمهد لزوال دولة الرجال وقيام دولة المرأة. إلا ترين - سيداتي وأنساتي - أن هذه ثورة مفتعلة، وإن الحركة النسائية العالمية المعاصرة - ولكن كل الحق أن تشاركن فيها - تذهب أحياناً إلى مدى غير معقول في الخقد على الرجل - والدعوة إلى الاستغنا عنه؟

اليس هذا مرضًا أخطر؟

فرح أنطون:

## أسطورة الرومانسي الاشتراكي تتحقق

د. رفعت السعيد

\* فلنجدر العالم من يوم يصير فيه الضعفاء أقوىاء، والأقوىاء ضعفاء.

\* لانقل هاتوا زعيما صادقا، بل قل هاتوا شعبا راقيا وأنا كفيل بزعيم حر من بين المقول وأكراخ الفقرا..  
\* ان نشر المبادىء الاشتراكية وحده لا يكفى لتأييد الاشتراكية، بل لابد من تحريض أنصارها على تنفيذها بالقراء، ولابد من غرس فكرة التحرير في الناشئة الجديدة والا بنيت الاشتراكية فلسفة نظرية فقط الى ماشا، الله.

«فرح أنطون»

### ١- بطاقة شخصية مطولة

الاسم: فرح أنطون

تاريخ الميلاد: ١٨٧٤

محل الميلاد: طرابلس (البنان)

مهنة الأب: تاجر أخشاب.

الصناعة: تخرج من مدرسة كفتين، ثم اشتغل مع أبيه في تجارتة، ثم استقل بتجارة خاصة به لكنه مالبث أن ترك التجارة لأنها لا تتفق مع ذوقه، ولأن الأخلاق الالزمة للتجارة ليست فيه، ولأن نفسه كانت نازعة إلى الأعمال العقلية «(١)»

ويعدها تزلي ادارة مدرسة أهلية فريدة من نوعها في طرابلس، فالمدرسة أنشاتها جمعية خيرية للروم الارثوذكس، لكنها لم تكن طائفية، بل على العكس من ذلك فقد حرصت ادارتها على نبذ الطائفية وانعكست ذلك ليس على تلاميذها فحسب، بل وعلى ادارتها فرئيس المدرسة كان بروتستنتيا والمدير والناشر مارونيين وأستاذ اللغة العربية مسلما ولم يكن بها الا مدرس أرثوذكسي واحد. وقد تركت هذه التجربة الرائعة أثراً لا يمحى في نفس فرج أنطون، فقد تعلم منها رفض التبعض الطائفى أو الدينى أو المذهبى.. ويكتب فرج فيما بعد «أن هذه المدرسة قد تركت أثراً أديباً لم يبرح نفسى قط، ولعله كان ذا تأثير على أفكارى فى كل حياتى» (٢)

- وأسس فى طرابلس جمعية أدبية.. ثم استقررأه فى النهاية على أن يتخذ صناعة القلم حرفة شريفة وهو يعتقد أنها خير ذريعة لخدمة الشرق، ويظن أن صرير القلم خير صارخ فى الآذان لايقاظ أهل الأوطان الشرقية.. وكان يعتقد أنه مجند من الجنديين لهذه الخدمة »(٣)« - فى عام ١٨٩٧ جاء إلى مصر، ليبدأ معركته الحقيقية من أرضها فقد كان يعتقد «أن مصر هي المركز الأوسط لجميع العالم العربى، ومنه تنتشر الخدمة الوطنية الأدبية انتشار الأشعة إلى جميع الجهات»

وعلى الفور بدأ فى الكتابة بالصحف، لكنه كان ينشر مقالاته بأسماء مستعاره، ولهذا تعدد متابعتها، لكنه من المعلوم أنه كتب عدة مقالات فى جريدة الاهرام بتوقيع «سلامة». - فى عام ١٨٩٩ أصدر مجلة «الجامعة» وهى واحدة من أشهر وأعمق المجالس ذات الطابع الموسوعى الذى شهدتها مصر عبر تاريخها الحديث، وقد أسماءها فى البداية «الجامعة الشامية»... ودعا على صفحاتها كل شعوب الشرق الذى تحكمها الدولة العثمانية للعمل المشترك ضد الغرب الاستعماري لكنه كان يروج أيضاً فوق صفحاتها علوم الغرب وكثيراً ما يتعدد فيه من آراء، ومذاهب - فكان فرج شرقياً يكره أوروبا، لكنه يحب الكثير من عقائد الغرب الاجتماعية »(٤)

وكانت مجلة الجامعة واحدة من أكثر المجالس المصرية عمقاً، وسعة أفق، وإنفتاحاً على كل ما هو جديد فى مجال العلم والمعرفة.. ولقى الأدباء، والملحقون فى هذه المجلة طريقة مفتوحة ومرتفعة، تجلب لهم فيها الابتكار فى موشى ثوابه، ولقد نقل ردها بالفوانيد، وأوحيت صفحاتها الجلائل بالظرف وشهد الشهارات، بحيث ارتفعت فى أعداد معدودات إلى مرتبة أقدم المجالس العربية وأوسعها وأذيعها، ثم ثفت وأزفرت، بحيث صارت شغل المفكرين ورأيهم، وسوق عكاظ لرجالات العلم والحكمة فيها، يتتساجلون ويتناقرون »(٥)

ويتحدث صحفى آخر عن مجلة الجامعة قائلاً «أنها كانت مجلة أصحاب المبادىء الجديدة، والذين حرروا عقولهم من التقديم، وكان أصحابها يحاول بها تحرير العقول الشرقية، والمذاهب الاجتماعية من رقة الماضي، ففاز بعد نضال كبير، وأوجد حزباً كبيراً يناصره، وهو حزب العصر الجديد، عصر الانطلاق والاقلات من كل قيد، الا ما يأمر به العقل والاكتشاف »(٦)

- وعندما انتقلت جريدة الاهرام من الاسكندرية إلى القاهرة طلب منه المرحوم تقلاباً شاشاً أن يتولى تحرير النسخة الاسكندرية من الاهرام والتي كانت تسمى «صدى الاهرام» وسرعان ما أصبح

«الصدى» أكبر أهمية، وأكثر ذيوعاً من الأصل.. ويروى صحفي آخر محدث فيقول:  
ـ حrror صدى الأهرام فى الاسكندرية حتى كاد الصدى يتغلب على الصوت فى القاهرة  
فانتزعه منه من يملك الاثنين معاً (٧)

ـ أصدرت شقيقته روز أنطرون التى أصبحت زوجة للمفكـر نقولا حداد مجلـة «السيدات»  
وكان فـرح يعاونها فى تحريرها.

ـ وفي عام ١٩٠٧ اتـرـجـع عليه ابن عـمه اليـاس أنـطـرون التـاجرـنى نـيـويـورـكـ أـنـ يـرـحلـ إـلـىـ  
أمـريـكاـ وـأـنـ يـمارـسـ نـشـاطـهـ الصـحـفىـ هـنـاكـ باـعـتـبارـ أـنـ المـغـتـرـيـنـ هـنـاكـ حـقـلـ وـاسـعـ لـبـثـ مـيـادـىـ.  
الـحـرـيـةـ..

ـ وهـكـذاـ سـافـرـ الشـالـوـثـ «فـرـحـ روـزـ نـقـولاـ» إـلـىـ أمـريـكاـ لـيـواـجـهـواـ مـعـرـكـةـ جـدـيـدةـ وـأـصـدـرـواـ هـنـاكـ  
ـ «ـجـامـعـةـ»ـ نـسـخـةـ شـهـرـيـةـ وـأـخـرـيـ أـسـيـوـيـةـ وـثـالـثـةـ يـومـيـةـ لـكـنـهاـ سـرـعـانـ مـاتـرـقـتـ لـأـسـبـابـ مـالـيـةـ.

ـ وـ فـيـ أمـريـكاـ تـبـنـىـ وـيـشـكـلـ حـمـاسـ فـكـرـةـ اـشـتـغالـ المـغـتـرـيـنـ الشـوـامـ بـالـزـرـاعـةـ،ـ وـأـنـشـفـلـ فـيـ  
ـ جـمـعـ تـوـقـيـعـاتـ عـلـىـ عـرـائـضـ تـطـالـبـ الـحـكـرـمـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ بـنـحـمـمـ الـأـرـاضـىـ بـشـرـوـطـ مـيـسـرـةـ.

ـ وـ قـدـ تـأـثـرـ فـرـحـ أـنـطـرونـ وـيـقـيـةـ الـثـلـاثـىـ إـلـىـ حدـ كـبـيرـ بـأـنـكـارـ الـاشـتـراكـيـنـ الـأـمـرـيـكـيـنـ وـمـنـهـ  
ـ أـوجـينـ دـبـسـ،ـ وـهـنـرىـ جـورـجـ..ـ اللـغـ

ـ وـعـنـدـمـاـ وـقـعـ الـانـقلـابـ الـعـشـمـانـىـ..ـ عـجـلـ الثـلـاثـىـ بـالـعـودـةـ إـلـىـ مـصـرـ،ـ فـهـاـهـوـ الـشـرـقـ يـتـحـركـ  
ـ وـلـايـدـ أـنـ يـواـكـبـواـ حـرـكـتـهـ.ـ وـفـىـ طـرـيقـ الـعـودـةـ السـقـىـ فـرـحـ أـنـطـرونـ بـمـحـمـدـ فـرـيدـ فـىـ بـارـيسـ وـاتـقـعـ مـعـهـ  
ـ أـنـ يـشـارـكـ فـورـ عـودـتـهـ إـلـىـ مـصـرـ فـىـ تـحـرـيرـ صـفـحـ الحـزـبـ الـوطـنـىـ.

ـ حـرـرـ فـرـحـ أـنـطـرونـ الـعـدـيدـ مـنـ الصـحـفـ وـاشـتـهـرـ بـأـنـهـ الصـحـفىـ الـلـبـىـ تـسـبـبـ فـيـ اـغـلـاقـ أـكـبـرـ عـدـدـ  
ـ مـنـ الصـحـفـ بـسـبـبـ حـدـةـ مـقـالـاتـهـ.

ـ كـانـ آخـرـ مـاـ أـصـدـرـهـ مـنـ صـحـفـ هوـ «ـالـأـهـالـىـ»ـ وـقـدـ صـدـرـ مـنـهـ عـدـدـانـ فـقـطـ وـصـوـرـ الـعـدـدـ  
ـ الـثـالـثـ..ـ وـتـوـفـىـ بـعـدـهـ فـرـحـ أـنـطـرونـ.

ـ وـالـآنـ..ـ هـلـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـنـتـرـبـ أـكـبـرـ مـنـ هـذـاـ الرـوـمـانـىـ الـاشـتـراكـىـ؟ـ

#### بـ- فـرـحـ أـنـطـرونـ:ـ الـكـاتـبـ وـالـصـحـفـىـ:

ـ قـلـناـ أـنـ فـرـحـ أـنـطـرونـ حـرـرـ الـعـدـيدـ مـنـ الصـحـفـ..ـ «ـالـجـامـعـةـ»ـ «ـالـبـلـاغـ الـمـصـرىـ»ـ،ـ «ـالـلـوـاءـ»ـ،ـ «ـمـصـرـ  
ـالـفـتـاةـ»ـ،ـ «ـمـصـرـ»ـ،ـ «ـالـوـطـنـ»ـ،ـ «ـالـأـهـالـىـ»ـ،ـ «ـصـدىـ الـأـهـرـامـ»ـ،ـ «ـالـمـحـرـوـسـ»ـ،ـ «ـالـسـيـدـاتـ»ـ.

ـ وـيـعـلـقـ لـطـفـىـ جـمـعـهـ عـلـىـ كـتـابـاتـهـ الصـحـفـيـةـ قـاتـلـاـ «ـلـلـفـلـقـ وـلـأـهـلـكـ وـلـطـنـاـ ثـانـيـاـ،ـ وـلـمـ يـتـحـولـ  
ـ تـدـافـعـ عـنـ الـحـقـ وـعـنـ الـوـطـنـ،ـ أـيـ عـنـ مـصـرـ الـشـىـعـىـ عـدـدـتـهـ لـنـفـسـكـ وـلـأـهـلـكـ وـلـطـنـاـ ثـانـيـاـ،ـ وـلـمـ يـتـحـولـ  
ـ مـذـهـبـكـ يـوـمـاـ،ـ وـلـمـ يـتـغـيـرـ رـأـيـكـ سـاعـةـ،ـ كـنـتـ تـكـتـبـ باـعـتـقـادـ وـاخـلـاصـ،ـ وـتـنـصـرـ الـحـقـ أـيـاـ كـانـ،ـ  
ـ فـانـتـصـرـتـ لـنـاـ،ـ وـلـبـادـنـاـ الـوـطـنـيـةـ فـىـ أـخـرـ مـوـافـقـنـاـ،ـ وـأـنـتـصـرـتـ لـلـعـالـمـ فـىـ أـخـرـهـمـ وـأـنـتـصـرـتـ لـلـشـعـبـ  
ـ عـلـىـ السـلـطـةـ،ـ وـلـلـحـقـ عـلـىـ الـقـوـةـ،ـ وـلـلـمـحـكـومـينـ عـلـىـ الـحـاـكـمـ الـمـسـبـدـ وـفـىـ الـوقـتـ الـذـىـ كـانـ فـيـهـ  
ـ كـثـيـرـوـنـ مـنـ النـزـلـاـ الـشـرـقـيـنـ يـسـتـبـيـحـوـنـ كـلـ مـنـكـرـ ضـدـ مـصـرـ وـالـمـصـرـيـنـ،ـ كـنـتـ أـنـتـ وـنـفـرـ قـلـيلـ مـنـ



الرجال المباركين تعرفون لصر جميلها وتأخرون بيدها في شدتها، وهذا جميل نذكره لك ولاتنساه «(٨)

وكانت مقالات فرح أنطون ملتهبة دوماً بحث كاتب الواحد منها كافية لانتداب الصحيفة أو إغلاقها فوراً.. وكان الكتاب في عهده يتذمرون بذلك ويسجلون حكایات عديدة عن مقالاته ودورها في إغلاق الصحف..

وثمة قصة عن مقال وحيد.. أقفل جريدة «مرض رئيس تحرير مصر الفتاة توحيد بك السلاحدار، وكان فرح أنطون يومئذ يحرر في اللوا»، كتاب مناب توحيد بك للصداقة التي بينهما فكتب مقالته المأثورة، ولكنها للأسف كانت سبباً في إغلاق وزارة سعيد باشا لهذه الصحيفة بغير سابق انذار، وهو إغلاق لم تبعث بعده إلى اليوم.«(٩)

وكان فرح يوقع الكثير من مقالاته باسم مستعار بأمل لا يستثير السلطة ضد الجريدة، أو يوقعها بالحرف الأول «ف.أ» أو بالحرفين الأوليين «فران».

.. وقد روى الأستاذ عبد القادر حمزة أن السلطة العسكرية شددت على المحروسة الوطاء وكانت متذرة بالاغلاق، فافتقدنا أن نرجع كفة السياسة الخارجية على كفة السياسة الداخلية حتى تهدأ العاصفة.. فكلمت فرحاً في ذلك فلم يتمالك أن امتعض «(١٠)

ويفسر نقولا حداد هذا الحمام الدافق قائلاً «بهذه الروح عاد فرح من أمريكا إلى مصر، فإذا بالشعب المصري قد انتقل من دور العلم إلى دور العمل، ووجد أن الزرع الذي زرعه فقيد الوطن مصطفى باشا كامل وأنصاره قد نضج وأن وقت الحصاد قد حان. وجده أن النهضة الوطنية التي كانت تختمر في السنين الماضية قد تحركت فصادفت هو في نفسه وأي هوى، رأى أن فكرة «التنفيذ» التي نضجت في نفسه قد نضجت أيضاً في هذا الوطن الذي أصبح محور النهضة الشرقيّة كلها.. فانصرف عن النظريات الفلسفية إلى العمل، وتحول من العلم إلى السياسة. واتفق في ذلك المين أن انتدب للتحرير في بعض الصحف اليومية فوجدها ميداناً أوسع بجولات قلمه فترك الجامعة (وهذا هو السر في أنه أغلق الجامعة التي كانت متخصصة في الابحاث الفلسفية

والعلمية كي يتفرغ ليصب نيران غضبه في مقالات سياسية - المؤلف). وتنقل بين العديد من الصحف فكان لكتاباته تأثير شهير في نفوس الجمهور، تأثير يعرفه جيدا أصحاب تلك الجرائد حتى حسبت السلطة له حسابه وأي حساب»  
ويواصل حداد حديثه قائلاً أن أحد الموظفين المقربين من سلطات الاحتلال قال له «أن نسيبك (أى فرج أنطون) متهرور في كتاباته بشأن الحركة الوطنية، فأخشى أن يفضي تهوره إلى تقييم كما نفي أصحاب البلاغ المصري، فجعانا أن تصفع له أن يعتد»  
.. «ثم مالت هذا الموظف أن استدعى فرج أنطون والإنذار هذا النذارفه عليه قال لا «أتأسف أن أقول لك أنتي لست أحترف القلم لكنني استرزق منه فقط، بل احترفه لأكتب ما تقرأه فإذا لم يؤمن لي أن أكتب ما يوحى إلى به ضميري سأطلب الرزق من حرفه أخرى» ويرد عليه عميل الاحتلال قائلاً: نعم الأفضل أن تحترف حرفة أخرى»  
ويفضي تقولا حداد قاتلا «غير أن فرحا لم يكن ثاب، بل استمر في خطنه فكانت نتيجتها حينئذ

اقفال ثلاث جرائد على التوالي بسبب شدة قلمه وتشبيهه بالحرية وإياضه الحق »(١١)

وأسهم فرج في تحرير صحف الوفد، حتى أنه قد اعتبر وفديا متطرفا، لكنه وفدي من نوع خاص، فما أن لاحظ على تصرفات سعد زغلول بعضا من التردد، عندما أعلن سعد في تصريح لجريدة الأخبار استعداده للتفاوض مع الانجليز حتى تحول فرج من تأييد سعد إلى معارضته، بل وتحول معه «الأهالى» إلى معارضته سعد - برغم أنها كانت تعتبر منيرا وفديا.

ويخوض فرج أنطون معركته حتى مداها فتشير الأهالى قصيدة عنيفة ضد سعد زغلول الزعيم المهايب اللامة والذى ما كان لأحد أن يتجاسر ضده بأى انتقاد.. تقول القصيدة:

الى أين تعنى بالأمانة ياسعد

وچعنى على شعب عليك له العهد

رويدك لاعبها بأمال أمة

شرف بالاستقلال يهتاجها المجد

فيما سعد حاذر أن تزل طريقة

والا فلا سعد هناك ولا وفدى(١٢)

ويقود فرج أنطون على صفحات الأهالى حملة لجمع توقيعات تعلن سحب التوكييل من الرفند، وتتسع صفحاتها لنشر أسماء الموقعين لمدة أيام على التوالي تحت عنوان «الرأى العام يسقط التوكييل عن الرفند» (١٣) -

بل أن الأهالى تحت قيادة فرج أنطون تتحول إلى التحالف مع «جمعية الطلبة المصريين فى باريس» وهى الجماعة التى كانت محبسة محرك الطلاب المصريين اليساريين والتى اختارت كرمز لثورة ١٩١٩ علماً ذا رقعة حمرا، وهلال وثلاثة لمبوم وذلك كبدل عن العلم ذى الرقعة الخضراء الذى كان سائداً فى هذه الأيام، وعلى صفحات الأهالى تنشر العديد من بيانات هذه الجمعية اليسارية متعددة عنوانين مثل «احذروا المقاومة أيها المصريون» (١٤) و «الجمعية المصرية بباريس تتزع ثقتها فى الرفند وتطلب الامتناع عن كل مقاومة» (١٥-١٦)

ويتواصل هذا الحلف اليساري لفترة حتى يتراجع سعد تحت ضغط الجماهير ويرسل برقية الى جريدة الاخبار يقول فيها «انى لا ادخل فى اى مفاوضة على أساس مشروع ملنر قبل تعديله بالتحفظات، ولا أؤيد من يدخل فيها بدون هذا الشرط، مهما كانت علاقته بشخصى، ومهما كانت ثقتي به» (١٧)

ويعود فرح أنطون وتعود الأهالى لتأييد سعد وتزف البشرى للجماهير الشائرة قائلة «الاستقلال الثامن هو الراية التي يلتئف حولها الجميع» (١٨)

ولقد كان قلم فرح صادقاً وحادة كسكين، ولم يعرف المهادنة أو الملاينة، وبعد أن تسببت مقالاته في إغلاق العديد من الصحف، استقرتني «الأهالى» ستة أشهر، وصدرت «المعروسة» لتحمل محلها، فأغلقت المعروسة وأوشكت الشهور الستة على الانتها، بما يعني قرب عودة «الأهالى» من جديد ويجرى الموارى الثالثة بين الصديقين فرح ونقولا الحداد..

«الحاداد» من الأفضل أن تخفوا الهجوم حتى تسلم «الأهالى» من عتاب الاقفال.

فرح: معنى هذا أن نرمي سلاحنا ونزف العلم الأبيض وسلم أنفسنا للخصوم.

الحاداد: ولكن ماذا تفعلون اذا عادت الحكومة وأقتلن الأهالى ثانية؟

فرح: نحن محاربون، فاقفال «الأهالى»، أفضل جداً من أن تحييد شعرة عن خطها، والهلاك في الحرب أفضل من التسليم.

الحاداد: لكن ماذا تفعلون وهي مقفلة.

فرح: نفعل ما يفعله الجيش اذا تحصن عدوه من جهة، فنأتى اليه من جهة أخرى. نفعل ما يسمونه في الفنون الحرية حرفة التفاف.

الحاداد: كيف؟

فرح: نكتب كتبنا وكراريس، ونؤلف روايات تخييلية عن سكان جزيرة واق الواقع والشعب ذكر يفهم «(١٩)

وعادت الأهالى للصدور، ونشر فرح فى صدرها مقالاً بعنوان «بين الاقفال والفتح» قال فيه «قضى على الأهالى بالسكنى ستة أشهر مكرهة مضطرة فسكنت مرة، ثم رأينا أن نجرب هوا، الحرية الجديدة، ونيلو ريح الاستقلال التى كانت تشخص به الأيام فأحلانا جريدة المعروسة محل الأهالى نحو شهر.. الا أن جريدة المعروسة أسكنت كما أسكنت الأهالى من قبل، وكان اسكاتها على وجه التقييد ليلى تشکيل الوزارة الجديدة وزارة الحرية والاستقلال، فعلمتنا يومئذ حقيقة الجو الذى ي يريدون خلقه ومعنى الريح الجديدة الذى سيجعلونها تهب على الناس..

.. والآن نحن مضطرون أن نجرب تجربة جديدة، لأن وظيفتنا أن نعمل ونكتب ونشر ما توجهه علينا ضمائernا وذممنا، فان كان فى نظام الوزارة الجديدة ما يبيح لنا العمل والحياة كسائر الناس أخذنا حقنا ونصيبنا من العمل والحياة من غير أن نعيid قيد أثقله عما توحى به علينا وضمائernا.. وأما اذا كانت الحياة فى مصر مباحة لفرق من الناس دون فريق، فلا عدل، ولا حق، وللأمن، ولا حرية، الا اذا وافت هذه الأمور أغراض الحكم أو أهواهم، ان كان ذلك قد أصبح كذلك.

## فياموت زر أن الحياة ذميمة

وبنفس جدي، أن دهرك هايل»

.. ولم يصدر من الأهالى سوى عددين وأغلقت فى اليوم الثالث. لكنها لم تكن نهاية الأهالى وحدها فالرومانتى المحتمم حماسا كان مريضا مرضًا شديدا، لكنه ابن ان يستسلم للمرض فجعله بناء على الحاجة الى ادارة الجريدة حيث حرر مواد العددان الأول والثانى وعاد بعدها الى البيت محمولا على أثر اغماء.. ولم يخرج بعدها الا الى القبر..  
ويروى تقولا حداد «لقد حاولنا منعه من الذهاب الى الأهالى لكنه أصر قائلا: لابد من عودتى للعمل ولا يأس من أن أموت فى دار الأهالى » (٢٠)  
لكن فرحا لم يكتفى بالكتابة فى الصحف فعندما حاصره العدو قام بحركة التفاف.. وكتب روايات و«الشعب ذكي يفهم».

ونى الفترة ما بين اغلاق صحف الحزب الوطنى وهجرة قيادته، وبين اشتعال الثورة وصدر جريدة الأهالى كانت هناك سنوات قاتمة، وكانت الحماية البريطانية تفرض سلطتها الفاشية، انفس فرج أنطون فى كتابة المسرحيات.. وكان بعضها جيدا، وبعضها تجاري يخضع لطلبات أصحاب الفرق.. وتعرض فى ذلك الخين لانتقادات مبرزة «فلقد أسرف بعض الاسراف فى هوى النفس، فراح ينقاد لضرورات المسرح ليفرضى منيرة المهدية والوسط المحيط بمنيرة المهدية، وما كانت تتسم من أفواه الأدباء والعارفين لفضل فرج الا التأسفات ومر الانتقادات » (٢١)  
وروى رأى البعض «أن الحاجة قد حولته عن مجراه الى مسرحي يكتب ليعيش» (٢٢).. أما عباس محمود العقاد، فقد حاول انصاف الرجل بدرجة محدودة فقال «كان فرج أنطون كاتبا على استعداد للرواية الفضلى، وكانت ملكته القاصة تظهر أحيانا في مقاييس الأدبية والسياسية، كما تظهر في رواياته وحكاياته، وقد مال به هذا الاستعداد الى وضع الروايات، فاحسن وارتفع في روايته «أورشليم الجديدة» ثم تقلبت به الظروف وأملت به محن، وطلب إليه وهو بين اليأس والرجاء، أن يترجم أو يكتب للمسرح فلبى، وبدأ بداية حسنة ولكنه لم يحقق بغيته فكان عثارة أكثر من صوابه » (٢٣)

.. لكن بعض النقاد استطاع أن يكشف الحقيقة، وأن يمسك بالحقيقه الصحيح فكتب أحدهم يقول «لقد تشيد بكتاب الفرجية والروس يجعل ماصنفه من الروايات وسيلة لبث آرائه الاجتماعية، فغلبت عليه الخطب والمواعظ والمجادلات، فضفت في قصصه الميزه الأدبية والفنية » (٢٤)  
.. ونعود فنذكر بكلمات فرج أنطون «نلجم الى حركة التفاف، نكتب كتبنا وكراريس ونؤلف روايات، نصنع روايات تشيلية عن سكان جزيرة واق الواقع.. والشعب ذكي يفهم»  
ولعلنا سوف نجد الدليل على ذلك عندما نطالع معا بضعة مقاطع من روايته «الدين- والعلم- والمال».

ولقد بدأ تأثير فرح في السمااء المصرية في مجالات العلم والفكر والفلسفة.. والحقيقة أن فرح أنطون قد غاص في بحر المعرفة الموسوعية فقرأ كثيراً وخاصة «لروسو، ورينان، وفولتير، وكانت داروين، ونيتشه، وكارل ماركس، وتولستوي، وأبن طفيل، والغزالى، وعمر الخيام وغيرهم (٢٥)»

ومن هذه المعرفة الموسوعية استطاع أن يكون في كتاباته معلماً بليل المثقفين المصريين الذي تطلع في مطلع القرن العشرين إلى المعرفة الحديثة، ويعلق أحدهم على كتابات فرج أنطون في مجال الفكر والفلسفة قائلاً لقد كانت جديرة بأن تكتب باسم الذهب (٦) أما سلامه موسى فقد قال أن أثير كتابات فرج في نفسه «كان شبيهاً بذلك الأثر الذي يتركه دين جديد في قلب حديث الآباء».

والحقيقة أن فرح أنطون كان وقد اطلع سريعاً وفني لهم على فلسفات عديدة ومتناقضة، يقف منها موقف المأخوذ والمتفهم والنادق في آن واحد بما جعل أحدهم يقول عنه «كان يتمزق بين فلسفات عديدة، كان مؤمناً وغير متدين، مسيحياً ولا يصلي، لم تره يوماً في كنيسة، وما سمعنا أنه حضر قداساً، على أن هذا لا يمنع أن يكون مسيحياً مخلصاً» (٢٧) ويقول آخر «لقد كان فرح أول من عرف العرب بالفلسفة الالماني نيتشه، وأول من عرفهم أيضاً بأفكار المعلم كارل ماركس» (٢٨) .. وما أبعد الفارق بين ماركس ونيتشه.

لكنها هي حياة فرج.. هكذا كانت، في بينما كان يصارع مع أفكار نি�تشه محاولاً استيعابها وتضمينها في روايته «العالم الجديد أو مريم المجدلية» حيث يقف شيشيريون ليقى عبر الرواية خليلاً مستوحاة من فكر نيشه في تحقير الضعف واحتقار الرحمة وتعظيم القوة به.. وكأنه يستشعر خطأ ما يكتب.. يترقب عن نشر بقية الرواية، ثم يسرع إلى نشر بديل لها.. هو ترجمة رواية ملفاً للكسيم جوركى..

ويعلق أحدهم على ذلك قائلاً «وهكذا التقى الصيف والشتاء على سطح واحد» (٢٩) ..  
والآن.. هل لنا أن نتعرف عند المرساة التي ألقى قارب فرح أنطون المتقلب بين أمواج عدّة..  
بشراعه نحوها.

ونوه أن نسجل أولاً أن فرح كان مفكراً وصحفياً في آن واحد، بمعنى أن الصحفى كان ينتزع المفكرة من تأملاته مستعيناً أحياناً كي يكتب كل يوم.. حتى ولو نقل أفكاراً لم تلتصق بلهنه ولم يتقبلها ، عليه.

فبعد أن ينشر طويلاً وكثيراً عن نيشه وفلسفته وموافقه، ويواصل النشر عبر فصول طويلة لرواياته «العالم الجديد أو مريم المجلدية»، فإذا به يتعرف ليثبت رأيه في بيته من الشعر لعله

يتبرأ فيما ما كتب..

هذا كلام نهيش أن نعيش  
كان مقوم الموج والناد  
لهذه فيه، فايقده الى ميعاد  
في زعم بعض الناس اما

ولعل فرح قد تأثر في بداية حياته تأثراً كبيراً بالfilosof الفرنسي «رينان» وكان يتباها في دوماً بأن رينان لم ينجز لفكرة، أو لحزب ما، أو لذهب ما «ذلك أن رينان عاش ومات بين الأحزاب فلم يكن منسوباً لاحدها ولو سئل رينان في حياته ما هو حزبه؟ لأجاب ولاشك حزبي البشر كلهم لأنني أخ لهم جميعاً للفريق منهم، ولهذا فإنك ترى في أفكار رينان كثيراً من التناقض فإنه يعيش للسلكى والجمهوري، والجاد والمؤمن، والقديم والحديث، والتعصب والتساهل، ذلك أن فكره واسع رحب يستطيع فيه كل مافي تلك المناقضات من الجمال والحقائق، فيذكر محاسنها ومساواها معاً باستقلال قائم، وانصاف كامل كأنه وافق أمم الدينون الأخيرة» (٣٠) ..

ويعرف فيؤكّد على هذا التساهل الفكري عند رينان ثم يقرر «وهذا معنى قولنا عند في صدر الكلام أنه مثال filosof الكامل» (٣١)

ولعل هذا يوضح لنا سر الارتباط الذي ساد كتابات فرح في السنوات الأولى من حياته الفكرية، لكن الخط لم يليث أن استقام، فرجل كفر لا يعرف غير الاستقامة ومن ثم فإنه لا يليث أن ينتقد مسلكه السابق..

«إن كثرة الكتاب في الشرق، وتعدد الآراء وتنوع اللغات، والترتيبات، قد جمعت في كتبه ومجلاته وجراهـه جميع الأراء الفلسفية ومذاهب الأدب الكتاـبـيـ، وقد اجتمعت متناقضـة متصارـبة وأصبحـت خليطـاً من جميع المذاهب فـتـرىـ فيها مذاهب سبنسر وداروين وماركس والقدس تـرـواـ وأفلاطـونـ وابـقـورـ وفلـاسـفةـ الاسـكـنـدـرـيـةـ وشـونـهـورـ وـنـيـتـشـهـ وزـوـلاـ وكلـ هـذـهـ المـذاـهـبـ المـخـلـفـةـ نـرـاـهـاـ فيهـ مـتـجـاـوـرـةـ مشـتـكـيـةـ اـشـبـاكـاـهـ الأـسـلـ،ـ وـعـلـةـ هـذـاـ الاـخـلـاطـ وـالـاخـبـاطـ هوـ عـدـمـ وـضـوـحـ المـبـادـيـ،ـ بـعـدـ لـأـبـنـاءـ الشـرـقـ،ـ لـلـاجـتـمـاعـ حـوـلـ كـلـ مـنـهـاـ أـحـزـابـاـ كـلـ حـزـبـ يـعـرـفـ أـصـلـ مـيـدـأـ،ـ وـفـرـوعـهـ وـيـجـعـلـ الدـفـاعـ عـنـهـ وـعـنـهـ لـمـوـاقـعـتـهـ مـزـاجـهـ وـأـخـلـقـهـ وـآرـاءـ..ـ ذـلـكـ أـنـ المـخـلـطـ بـيـنـ الـمـبـادـيـ،ـ دـلـيلـ عـلـىـ الـجـهـلـ بـهـ،ـ وـالـجـهـلـ بـهـ،ـ دـلـيلـ عـلـىـ انـجـطـاطـ الـعـلـمـ عـنـدـنـاـ،ـ وـكـوـنـهـ لـاـيـرـالـ فـيـ طـفـولـتـهـ،ـ (٣٢)ـ ..ـ هـكـلـاـ اـسـتـقـامـ السـهـمـ،ـ وـمـاـ أـنـ اـسـتـقـامـ حـتـىـ عـرـفـ كـيـفـ يـصـلـ إـلـىـ مـرـمـاـ..ـ

ولـكـ يـمـ تـبـدـأـ..ـ

هل نبدأ بالشك، ففسـيرـ فوقـهـ عنـ عـمـدـ لـتـفـتحـ أـصـعـبـ صـفـحـاتـ الـكـتـابـ الصـعـبـ؟ـ لمـ لـاـ..ـ فـلـنـبـدـأـ بـالـقـضـيـةـ الشـائـكةـ دـوـمـاـ.ـ قـضـيـةـ المـوقـفـ مـنـ الـدـيـنـ.ـ ولكنـ وـقـبـلـ أـنـ نـبـدـأـ لـاـسـأـلـ أـنـفـسـنـاـ هـذـاـ السـؤـالـ الشـيـرـ:ـ مـلـاـ حـرـصـ الـمـفـكـرـونـ الشـوـاـمــ فـيـ أـغـلـبـهـمــ عـلـىـ خـوـضـ غـمـارـ المناـقـشـ الـصـعـيـدـ الـمـارـسـ فـيـ مـجـالـ الـدـيـنـ رـغـمـ عـلـمـهـمـ بـحـسـاسـيـةـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ عـنـ الـمـصـرـيـنـ وـخـاصـةـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـهـمـ،ـ خـصـوصـاـ وـأـنـهـمـ كـانـواـ جـمـيـعـاــ وـلـعـلـهـمـ مـحـضـ مـصـادـفـةـ مـنـ الـمـسـيـحـيـيـنـ.ـ



ثمة اجابات عديدة على هذا السؤال الصعب.

جمال احمد يقول «أن شيل وفرح أنطون قد تأثرا بالآفكار التي سادت في أوروبا في القرن الثامن عشر، فتزعموا اتجاهها علمانياً يتصور أن الدين يعيق العرب عن التهوض إلى مستوى الحضارة الغربية، وأن السبيل الوحيد للتقدم هو تخلص المجتمع من نفوذ الدين» (٣٣) أما كامل عسلى فيقول «أن ال拉斯اليات البروتستانتية والكنيسة المارونية التي مارست نفوذاً كبيراً في لبنان قد خلقت جواً من الإرهاب كي تحكم قبضتها على أتباعها، وقد أدى هذا بالملائكة اللبنانيين إلى أن يشنوا هجمات عنفية على التحصص والطائفية» (٣٤)

أما عباس محمد العقاد فيجيب على ذات السؤال «ولعل سائلًا يسأل، لماذا التعبديين للنفوذ الديني خاصة من خواص النشأة السورية (يقصد بلاد الشام) فأقول لهذا المسائل أتنى كنت كذلك أعجب لهذا الأمر، استغرب الغيط الشديد الذي تتوهج به كتابات السوريين الأحرار حين يحملون على النفوذ الديني في بلادهم.. ثم يمضى قائلاً «أن رجال الدين هناك ربما كانوا أقوى الطوائف الدينية في العالم وأوسع رعاية الكائنات اشرافاً على حياة أتباعهم، فقد جمعوا بين الرعامة في الدين والزعامة في السياسة والزعامة في العلم. وناهيك بها من سطوة هائلة تغري بالتحدى وتغري بالمناجزة.. وكانت طائفة رجال الدين في البلاد السورية ولاتزال معقد آمال الشعب في الحرية، لما بينها وبين الحكومة الفرنسية والحكومات الأوروبية من صلة معروفة وأنها كانت ولا تزال قائدة الأفكار، وقدوة المسترشدين لأنها منشأة المدارس وطباعة الكتب ومربيه الصغار والكبار وإذا اجتمعوا لفترة هذه السلطة فغير عجيب ألا يرضى عنها وأن يعبر بها قريق الشبان المتعطشين إلى المعرفة المرة التواقين إلى الآراء المتقددة من أصحاب النقوش الأدبية والعقول الطليقة.. وغير عجيب أن يجعلوا تحديها شففهم الشاغل في كل ما يدرسون ويكتتبون» (٣٥)

ونضيف إلى كل ما سبق أن هؤلاء المفكرين المتحررين قد وجدوا أنفسهم محاصرين بين سطوة

النفوذ الديني لرجال دينتهم، وبين سطوة النفوذ العثماني المتخذ ثياباً دينية هو الآخر. فرقعوا بكل أفكارهم وطموحاتهم بين نكى كساره البندق.

وبيروت فرح أطرون بعضاً من مأساته بين نكى كساره البندق في رسالة مفتوحة وجهها إلى والي بيروت السابق معلقاً فيها على أحداث الفتنة الطائفية هناك.. يقول فرح في رسالته «أن مجلة الجامعة نشرت في جزتها الخامسة رواية له عنوانها الوحش، أو سياحة في أرز لبنان، وفي هذه الرواية فصل طويل بشأن الدبور والرعبان وقد جاء في الفصل أن الدبور لانفع فيها اليوم للناس اذا لم تغير خطتها. فلما حدثت حادثة بيروت تأثراً وأخرنا ارسال الرواية الى لبنان، لأنها لو وصلت في ايام الحادثة لتحولت بالسخط والضحك معاً، وربما لاتعدم هناك راهباً متھمساً يقف ويقول:

تفع الدبور في هذا الزمان ظاهر للمعيان، فإنها تفتح أبوابها لألف اللاجئين من بيروت فتأورهم وتغذّيهم وتسكن قلوبهم» (٣٦)

وعن ربنا يتعلم فرح احترام العقل والعلم.. والدين عنده لا يخرج عن محورهما.. وبيروت فرح في ترجماته مأساة «صلة ربنا» التي يرفعها لأنّه العقل والحكمة مؤكدًا لها أن كل مأساة زائل «اذ لا يمكن صنع شيء ثابت بغير القواعد التي وضعتها أنت يا آلهة العقل» «لكنه يعود فيرثي حاله موجهاً كلامه للذات الآلهة «ثم أنك تعلمين كم صارت خدمتك صعبة في الأرض، فإن كل استقامات ذهبت منها»

ثم يؤكّد ربنا في صلاته أنّ الديمقراطية والعدل هما السبيل الوحيد لسعادة البشر فيقول «أنت وحدك فتيبة طاهرة نقية أيتها العذراء الجميلة، أنت وحدك قوية يا آلهة النصر، أنت وحدك تحفظين المدن وتحرسينها، أنت لك كل ما يلزمك من القوة، ولكن لاغرض لك غير السلام، فما واحشة الشرائع العادلة يا أيتها الديمقراطية التي مبدأها الأساس أن كل خير هو آت من الشعب، وأن كل مكان ليس فيه شعب يوحى إلى النفوس عظام القراءع فإنه ليس فيه شيء، أيتها الآلهة علمينا كيف نستخرج الماس من الجمجمة الجاهلة»

هكذا يكون الشعب طريقه الذي لا طريق سواه «أنتي أؤمن بك أيتها الآلهة، ومتى كنت قوياً بك فانتي أقاوم كل نصع يفترى، أقاوم ارتياحي الذي يجعلنى أشك في الشعب، أقاوم اضطراب فكري الذي كلما وجد الحقيقة لا يكتفى بها ويدفعنى الى البحث عنها أيضاً، أقاوم هوسي الذي يعني من الرضى بحكم العقل حكماً قاطعاً.. أنتي أفضل أن تكوني الأخير في منزلتك على أن تكوني الأول في سواه»

وتتجسد الرومانسية الثورية في ترانيم ينشدها في محارب العقل والعدل والشعب «فاعلمي أنتي سأوقف نفسي على خدمتك، واربط روحي في هيكلك، سأنسى كل نظام غير نظامك، وأجعل غرفتي بجانب غرفتك، بل أعظم من ذلك أنتي سأجعل نفسي إذا استطعت متعصباً متعيناً اكراماً لك، فلا أحب شيئاً غيرك، أنتي سأتعلم لغتك وأنتي كل لغة سواها، سأكون ظالماً لكل شيء لا يتعلّق بك، سأجعل نفسي أحقر خادم لأحرق أثباتك، سأمدح سكان أرضك وأحب نبئهم كل شيء حتى عيوبهم»

لكن كل الحقائق نسبية الا شئ .. واحد هو اليمان بالشعب.

«أحلام كل الحكماء فيها شئ من الحقيقة، وكل شئ في هذه الأرض ليس الا رمزاً وحلماً، فان الآلهة تذهب وقر كالناس، وليس يحسن أن تبقى أبديّة، واليمان الذي كان للإنسان لا يجب أن يكون له قياداً .. ولكن يفضي ليؤكد «ladmou حقيقة الا دموع الشعب» (٣٧) ولكن فرح لا يكتفى بتقديم «صلوة ربنا» فان له صلواته الخاصة، صلاته الأولى أوردها في مقدمة روايته «أورشليم الجديدة» فهو يوجه حديثه الى «المسيحية» التي يرمي اليها «بالحسناه المريضه» فيقول:

«وأسناه، عاد الغالب الى عادات المغلوب. ان المادة قويت على الروح.. والمصالح على المبادىء .. والتقليل على الفكر والعقل، فهاتوا لنا معولاً آخر للهدم مرة ثانية. بينما ياملاتكة السماء بجراح جديدة لمداواة هذه المستنة المريضة، ولكن رحماكم فلتكن سكين هذا الجراح نعيفة، أننا نشقق على جسمها التتحليل وتقبلاها الرقيق وجمالها الساحر ونفوس الملابس المتعلقة بها»

فاليسجية بحاجة الى مدد فكري وفلسفى جديد.. او هذا مايعتقد.

«هات روحك يا بروذا لتعلمنها الصبر والقناعة، هات فكرك ياكونفو شيوس لتعلمنها الحكمة، هات بلاختك الالهية يا فلاطون لتتدخل الى عروقها دم الفلسفة ممزوجة بالأنوار السماوية، هات عقلتك يا أرسطو لتنقية عقلها، هاتوا ياصحاماً، فميس واسكتدرية وأتينا ورومما كل حكمتك وفلسفتكم لعلها تشفى.. واياكم أن تقولوا أنها في غنى عن كل ذلك بما لديها من المبادىء، الساذجة، فإنها نسيت مالديها، ونسست الفطرة والسداجة، نعم أن فاحاها لا يزال يردد ويتزمر بالفاظه ولكن ياللascf أن قلبها لم يعد يفهمه ولا يقتنع به، ولذلك ذهبت منها صحتها وجمالها» (٣٨)

واذا كان حال المسيحية قد وصل عنده الى هذه الحالة فان ثمة جديداً..

«أن الشعب الحديث الخارج من رمال بلاد العرب قد استولى على ذلك الفكر الذي هجرته وهجم عليك بسلاحك بربنا في أول نشأته من تلك الحقائق التي أودت بك، لقد زحف مثل الوحدة والعصبية والاصلاحات الشعبية والحياة الروحية والميشية الطبيعية والمساواة والاخاء والحرية، ومن فرط ثقتك بنفسه وببنائه يظن أنه وحده سيمثل الوحدانية.. وبهذه المناقب سيسلولى على الكرة الأرضية»

لكنه وبعد أن يمتحن الاسلام يعود فيرتد الى موقفه السابق «وبسبقي هذا الملك حتى تفارقه تلك المناقب كما فارتلك فيصيبه ما أصابك»

ثم يحبس الجميع مسلمين ومسيحيين أنفسهم وهم يقرأون العبارات التالية «وفى ذلك الوقت تنظر حان كلاما على الأرض آخرين فى المصايب تنظران الى الأمم والمبادىء الأخرى التي تمىء بعذرك»

لكنه بعد ذلك يدعو الجميع.. من كل الأمم الى أن ينشدوا معاً «المجد لله في الأعلى لأن الله خالقا عظيم»

ويتووجه فرح أنطون في احترام شديد الى رجال الاكليلوس قائلاً «ياأساتذتي الأعزاء.. الذين مات أكثرهم الآن. انى أراكم أحياناً فى أحلامى، ولكنى أراكم كذكار حلو عندي.. فانسى لم

أخنكم بقدر مانظرون، نعم قلت أن تاريخكم غير كاف، ونلسفتكم أضعف من الفلسفة التي تعلمنا أن لا تقبل شيئاً خاصاً وراء الطبيعة، ومع ذلك فلا أزال تلميذنا لكم، فانت مثلكم أعتقد أن الحياة لاقدر لها ولا قيمة إلا بصرفها في الأخلاص والحقيقة والخير. الا أنكم تنسون هذا الخير تفسيراً ضيقاً وتجعلون هذه الحقيقة مادية مجسمة، وأن كنتم مصابين من حيث أساس الموضوع» (٣٩)

## طائر البحر الأبيض

.. هذه العلاقة الشديدة التعقيد بين فرح وبين الدين يعود فيفسرها تفسيراً أكثر تعقيداً في كتابه «أوراق منثورة»، يقول «أن نفسى ستكن بعد وفاتى فى خراب كنيسة القديس ميخائيل، بشكل طائر البحر الأبيض، وسيبقى هذا الطائر حانياً فى الليل حول أبواب الكنيسة ونوادلها تانها عن المدخل شاكياً متالماً وهكذا تبقى نفسى المسكونة حائمة متاللة حول هذه الأكمة إلى الأبد» ..  
ويعود فرح لي逞ش فى كتابات عمر المختار ويستخلص منها عبارة ملقة للنظر «ليست الهياكل والكمبة سوى أماكن للمعبادة، وأمصالات الأجراس الاتسبيع بحمد القادر على كل شيء... وكذلك محراب الجامع والكنيسة والهيكل والصلبيب، وكلها ليست في الحقيقة إلا أشكالاً مختلفة لحمد الله وعبادته» (٤٠)

ويخوض فرح معركة فصل الدين عن الدولة.. وعن التعليم.  
«ذلك أن الدين علاقة بين المخلوق والخالق، فاليسوعي حر في أن يعبد الله كما يشاء، وليس من حق الدولة أن تتدخل في شيء من ذلك.. وفي التعليم يجب وضع الدين جانباً.. أما الدروس الدينية والميدانية، الدينية فتدرس في المعابد والمنازل» (٤١)  
وهو يدافع عن حرية العقل والفكر بلاقييد «لایجوز للناس أن يمنعوا العقل البشري من الانطلاق في جو الفكر لطلب الحقيقة والعلم والنور بالآلات العقلية التي منحه الله إياها دون تضييق على هذه الآلات وايقانها في مجريها»

.. ومن هنا المنطلق يقترب فرح في انبهار شديد من فكر ابن رشد، ويتسنى بالجانب المادي منه ويتحدد عنه مطولاً.. ربطة عن ابن رشد عبارات تشير في نقوس المؤمنين حرجاً بالغاً.. فهو ينقل عنه ملاحظاته عن الخلود والبعث فيقول أن الخلود للإنسانية أولى للعقل الفاعل العام أما العقل الخاص المنفصل فإن من صفاته الفتنة وبناء عليه يكون العقل الفاعل (الإنسانية) خالداً، والعقل المنفصل الخاص (الإنسان) فانياً، وبناء على ذلك لا يمكن بعد الموت حياة فردية» (٤٢)  
إلى هنا وتشور ثورة عارمة ضد، خاصة وأنه في ختام حديثه تهرب من الإجابة عن مدى صواب أو خطأ هذه الأفكار وقال أنتا تجد «في بناء كل واحد من الفلاسفة رمل وصخر أى ضعفاً وقروة»

.. واستمر الجدل، ولم يكن فرح من ذلك النوع الذي يتراجع أمام ضغط.. وتصدى له الإمام محمد عبد وثار بينهما جدل عنيف برغم أن فرح أنظرون كان يسجل دوماً اعجابه بالشيخ محمد

عبد «فانتا نطالع بامعان لامزيد عليه كل ماتنشره رصيفنا مجلة النار الفرا ، من الدروس التي يلقيها فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد مفتى الديار المصرية فى الجامع الازمر تفسيرا للقرآن، فنجد في كل صفحه من صفحاتها روحًا جديدة اذا تم انتشاره، كان بمثابة اصلاح عظيم في العالم الاسلامي» (٤٣)

واحتمم الجدل بين علماً، وحاول البعض أن ينحرف به إلى جدال بين مسلم ومسحي، ويكتب حافظ ابراهيم بيته من الشعر يزد به الاماں يقول فيه:

وأنت لها إن قام في الغرب مرجف

وأنت لها إن قام في الشرق مرجف

ويغضب فرح ويكتب إلى حافظ معاشرها «حافظ، حافظ، أنت لم تحاسب نفسك لما نظمت هذا البيت» (٤٤)

.. وخوفاً من تحول الأمر إلى فتنة اتفق الرجال إلى ايقاف جدل كان جدلاً عقلياً وعلمياً،  
ويرغم ذلك كله.. ويرغم أنه قد تهمكم كثيراً على رجال الدين المسيحي.. ويرغم أنه يقول في روايته «الوحش، الوحش» ان تاجراً قد تقدم بشهادة الى السيد كلدن فرد عليه كلدن «هل تريد أن أجعل أحد خدامى يجعل لك مثلها العديدة، ومن بينها شهادة رئيس دينى كبير مقابل عشرة ريالات فقط» (٤٥)

برغم ذلك كله فقد وقف أحد رجال الدين المسيحي هو الارشمندرية ايصانياً عبود (دير مار جرجس المحسن) يرثيه عند وفاته قائلاً:

«آيه، آيه يا فرج، أنت مامت، أنت مشيت إلى الخلود، على ضؤ يرعاك.

كفروا، كفر الأولى مادعوك رسولًا، وجihad الرسولية يعيق من شق قلمك، إن لقني كتبك وبين تعانيف سطرك تلمع أحضني السيف نضالاً وانتصاراً ودفعاً.

كم سبكت من روحك؟ من ضؤ عينيك؟ من دم فؤادك؟ إنك لن على درجات التضحية حملت كلمة البشرة إلى بني جلدتك.

بسميك حكت أكليلك الخالد

بريشتك الساحرة طرذت ثياب العرس فادخل إلى فرح ربك»

.. ويحق لنا أن نزداد دهشة..

د. الرومانسي اشتراكياً،

قدم الرومانسي الشاعر صلوات عديدة، لعل أجملها وأكثرها رقة وعدوية صلاته الشهيرة أمام شلالات نياجرا، والتي زقلها أثناء وجوده في أميركا، تلك العلاقة التي وصفها أحد الصحفيين بأنها «من أجمل وأنفع ما كتب في العالم بأية لغة من اللغات» (٤٧)

وقف فرح أنطون خاشعا أمام الشلالات الجباره ليقول:

«أتذكر أيها الشلال يوم كان شاطئك مرتعاً لآولئك الهنود المساكين قبل أن يصل إليك البعض  
ويغتصبوا أرضهم هذه ظلماً وعدواناً»

ثم يمضي سريعاً ليتحدث عن عملية التحويل الرأسمالي التي غيرت وجه أمريكا «قد غيروا  
أرضك ومن عليها أيها الشيخ، وهم يظلون انهم حسنتها وحسنوك، وجعلوها وجملوك، وما جمالهم  
الا كجمال المرأة الدمية زخرف خارجي، وطلاء سطحي، حك هذا الظلام، قليلاً فتجد جيفة منتهى»  
بل انه يؤكد أن الوحوش الضاربة التي كانت تترع في الماضي على حفاف الشلال أشد رحمة  
وأقل وحشية من وحوش الرأسمالية «فإن الأمم تتبعادي وتتسلىج تأهلاً لاقتتال أنقطع من اقتتال

الذباب، والشعوب يأكل في داخلها كبارها صغيرها، وقوتها ضعيفها كما تفعل أسماكك»

«فروكفلر يملك من المال ألف مليون، بينما ملايين من البشر يستمطرون الخنزير ولا يجدونه. وهو  
يستخدمهم بأجر تافهة لزيادة ثروته المطلحة بدمائهم وعروقهم، وهم يستثنون ومعهم لأنهم  
مضطرون، والسلطة في الأرض ضعفت وكانت تحمل فان الناس أستطعوا العروش والنبلوك، ولكنهم  
أقاموا مكانها لكل واحد منهم ملايين من الرؤوس، فقويت بذلك سلطة المشعوذين والدجالين  
والجهلاء الناصحين، الذين يتسلقون الشعوب ويضلونها، كما كان أخصاء الملوك يتسلقونهم  
ويضلونهم. والأفراد يتخاصرون ويعتمدون، ويفترش بعضهم بعضاً بأيديهم وألسنتهم وأقلامهم،  
تنازعاً على الرزق والسيادة.. وقبع هذا الرزق وهذه السيادة. إذا كان لا يبلغ اليهما إلا بالرجوع  
إلى وحشية وهمجية أشد من الوحشية والهمجية الأولى.. فإذا كان كل هذا هكذا، أيها الشلال،  
فأين الارتفاع الذي يزعمونه وما فائدتك في استبدال ذاتك القديمة بهذه الذباب الجديدة التي لها  
طbury تلك» (٤٨)

ومنذ اليوم الأول من القرن العشرين يقف الرومانسي ليورتل للقرن الجديد تراويم تتحدث عن  
الاشتراكية. في اليوم الأول من الشهر الأول من القرن العشرين.. يكتب فرح أنطون في مجلته  
«المجامعة»:

.. «يصدر هذا الجزء من الجامعة يوم انتهاء القرن التاسع عشر، ودخول القرن العشرين،  
فوداعاً أيها القرن الراحل وسلاماً أيها القرن القادم..»  
لكننا يمكننا أن ننظر للحدث التاريخي من أكثر من زاوية، فآية زاوية اختار فرح أنطون  
ليتحدث منها عن القرن الراحل:

.. «لتر هذا القرن على لهيب الثورة الفرنسية، ومدافع نابليون يدوى صداتها في الجهات  
الأربع.. ولقد كان من تأثير هذه الثورة أنها وضعت أساس الحرية في العالم على أساس ثابتة  
لاتترنزع، وفتحت عيون الألم في الشرق والغرب، فكان تلك الشعلة التي أحرقت فرنسا حينها  
من الزمان قد أثارت الدنيا بأسرها»

لكن الثورة البرجوازية.. ليست كافية ولها فإنه «لاريب أن عمل القرن التاسع عشر من هنا  
القبيل ناقص نقصاً عظيماً، ولكن هذا القرن عمل كل ما كان يستطيع عمله. وإذا لم يكن له من  
فضل غير النهاده بالحرية والمساواة للأفراد والشعوب لكتافة ذلك فضلاً على القرون الحالية، لكنه لم

يناد بذلك فقط بل أعطى الأفراد والشعوب قوة توصلهم الى أغراضهم اذا راعوا التواميس الطبيعية وابتغوها بلا افراط ولا تنفيط»  
لكن فرح لا يستطيع أن يكتفى بذلك، ثمرة فضل آخر للقرن الراحل.. «ذلك أنه من أعمال القرن التاسع عشر الاجتماعية استفحال أمر الاشتراكين استفعالاً نفع المبادىء، الديمقratية وأفاد ضعنا، الامم، أفاده تذكر لهم بالشكر.. وتفصيل ذلك يطول ابراده فنكتفى بهذا البيان الوجيز» (٤٩)

وحتى قبل بداية القرن، كان الأمر واضحاً بالنسبة لفرح أنطون، وكان موقفه من النظام الرأسمالي، بل والعالم الرأسمالي ككل واضحاً أيضاً.

ففي ١٢ نوفمبر ١٨٩٩، حدث كسوف في الشمس أثار هواجس الناس بقرب نهاية العالم، وينتهزها فرح أنطون فرصة لپيادي بنهضة عالم قائم وقيام عالم جديد.

«مني ينتهي» «هذا العالم» .. «يسألون متى ينتهي هذا العالم، ونحن نقول لهم متى ينتهي، يعدل الحكماء، ينتهي حين يعامل ولاة الأمور شعوبهم كما يعامل الآباء أبناءهم، ينتهي حين تتفق الحكومات ماندفعها الشعوب إليها من الضرائب والرسوم الضرورية في تعليم الشعوب وانقادها من آفة الجهل الهائلة، لاعلى البذخ والأمور الكمالية. يومئذ ينتهي عالم الجهل والشقاوة والفقر والرذائل والأوهام ويقوم عالم ثان تباهي شعس النضيلة الباهرة والإدب الفضفاض والعلم الصحيح، والا فسواه موتنا وحياتنا في العالم الحاضر، وسواء خرابه وعماره، اذا بقي على ما هو عليه الآن» (٥٠)

والغربيه.. مطلب هام عند فرح أنطون، قس克 بها دوماً، ونماضل دفاعاً عنها في كل حين.. .. «وعندنا أن أولى حاجات الكاتب المرأة والحرية، ونريد بذلك حرية الفكر والنشر، ومحظ الحرية، تدخل فضائل كثيرة فإنه متى كان الكاتب يكتب بحرية واستقلال فكر، فإنه يكون صادقاً منصفاً عادلاً... ويشترط أن تكون الحرية مطلقة في أقواله لا أن يتكلم بحرية في هذا الموضوع لأن الحرية موافقة لمصلحته، ويداهن ويصانع في ذلك الموضوع لأن الحرية فيه مخالفة لصلحته» (٥١)

وهو ينشر ترجمة لوثيقة حقوق الانسان الفرنسية مؤكداً.. «حقوق الانسان لا يجوز أن يدوسها انسان» (٥٢)

ويخوض فرح معركة من أجل مجانية التعليم والزاميةه، مؤكداً أن ذلك ضروري لنهاية الوطن وخطورة أولى نشر المعرفة «فالمعرفة تجلو عن النفس غياب الجهل، وتعلمهها كل فضيلة، وتدنيها من أبواب السماء. المعرفة عدوة الظلمة وصديقة النور، عدوة التوحش وصديقة التمدن، عدوة الضلال وصديقة الحقيقة، عدوة الرذيلة وصديقة النضيلة.. هذه هي المعرفة التي نعنيها» (٥٣)

.. ويدافع فرح عن حقوق المرأة وحريتها.. وينشر على صفحات الجامعة تلخيصاً وانيا لكتاب، «المرأة الجديدة» لقاسم أمين معلناً تأييده للكتاب ولاتهيه من أفكار (٥٤).  
ويعرف فرح أي طريق يقترب منه، ويعرف أنه طريق صعب وملوي، بالشك، ويعرف أن

الدفاع عن الاشتراكية يتطلب تضحيات.. ويقول «ليست كل نظرية جميلة يود الناس أن ينذلها، ولهذا نقبل تحبيب الجمورو في المبادئ، الديمقراطية والاشتراكية يجب الاستعداد للجهاد في مذادمة الاستبداد والاستعباد وتأييد الحرب بالقوة» (٥٥) .. نعم بالقيقة.

ولابأس من ذلك فان فرج يعتقد «أن في كل قوم أو شعب أو أمة أفراداً مخلوقين لكن يضطروا بضمائهم الشخصية ويلذاتهم النفسانية، وأخيراً بعيانهم لأجل مصلحة شعبيهم.. والأمة تكون قوية أو ضعفية بقدر ما فيها من هؤلاء، الذين خلقوا ولأجلهم لا هذه اللذة، لذة تضحية الفرد لأجل الجماعة» (٥٦).

ولهذا فان فرجا يشمر سعادية ليبدأ هجروما شديدا على الأغنية».

«تراهم يركضون، ويجدون، ويجمعون المال أكاداس الى أكاداس فتخالهم صاعدين مرتفعين والحقيقة انهم مازالوا يدورون ضمن تلك الدائرة، ويزيدهم الفن انحطاطا»

ويتحدث عن الفن فيقول «ماقولك في رجل بليد جاهل لا يعرف من الدنيا شيئا غير جمع المال بالطرق المحلاة والمحرمة، وهمه في غش الناس للربح منهم، جسمه كجسم الشور غلاطة وضخامة، وعقله كعقل عصافير، وكل أفكاره متوجه الى جهة واحدة هي التغلب على غيره بكل الطرق، فعنده الفسق والسرقة وتعمد ضرر الفير وخرق حرمة كل نظام وكل شريعة بطرق يعرفها ويعرف أنها لا توقعه تحت طائلة الشريعة، والاستئثار بكل شيء والاستخفاف بكل شيء»

في الأرض والسماء، اذ لا قيمة لشيء عنده غير المال» (٥٧)

وهو يعلق على ديوان المصطفى صادق الراغب ويتوقف أمام أبيات يقول:

أرى الانسان يطغى حين يغنى  
وما أدنى الهبوط من الصعود  
ليس من العفاني وهو ظلم  
جزاء السمعي يكتب للقمرد

ويعلق على البيت الأخير قائلا «هذا البيت الأخير يعدل وحده ديواناً كاملاً، فإنه عبارة عن خلاصة الانتقاد الذي يوجهه بعض العلماء، وال فلاسفة الى أغنيائهم الذين يتنعمون وهم قعود في مجالسهم دون عمل يعلمونه بطبع عشرات ومئات وألوف من البشر المستخدمين عندهم» (٥٨) .. أما كيف نقاوم ذلك، فان فرج واضح أيضاً أن جمعيات العملة في الزراعة والتجارة والصناعة هي التي تسوق اليوم السياسة والسياسة في سبيل الارتفاع، بقضيب من حديد» (٥٩)

## آفات العمدن الرأسمالي

ومنذ وقت مبكر يكتشف فرج أنطون آفات المجتمع الرأسمالي «للتمدن الحالى آفات، كما أن له حسنان، ومن هذه الآفات تكن بعض البشر من دوس القانون استناداً الى القانون وقتل حقوق الانسان استناداً الى مبدأ حقوق الانسان. ومن هذا القبيل حالات الفن الطائلة في أمريكا.. أن الفن الطائل يوشك أن يكون خطراً داهماً على الهيئة الاجتماعية. أنه خطر الاحتياط، فإنه قد

نشأت في تلك البلاد صناعة جديدة مدارها تأليف شركات احتكار البضائع والسلع ومواد المعيشة، فشركة تحترك الفرلاز، واحدة تحترك السكر وأخرى تحترك البن.. وهذا الاحتكار لا يستوجب اذنا من الحكومة ولا راضى من أرباب الصناعة ولموانقة من الأهالى بل يتم بالرغم عنهم جميعاً. أن ما يريده الأغنية في البورصة من الأرباح الفاحشة بلا تعب ولا نصب مبني أكثر على غش الناس وخداعهم ليضاعفوا ثروتهم الطائلة بحركات مالية تستنزف أموال الأمة» ويختتم فرج مقاله مشبهاً الرأساليين بدواع العلق الذي يقص دما، البشر «ومن الغريب أنه مامن أحد يجهل مانطوت عليه هذه العلق الهائلة التي تقتضي دماء الشعب وحياتهم هؤلا، الذين يدعون الشرف والاستقامة لكونهم لا يخالفون نص القانون» (٦٠).

ولم يكن من السهل أن تمر كلمات كهله دون هجوم.. فيبعد أن نشر فرج أنطون روايته «أورشليم الجديدة» هاجمته المقتطف هجوماً شديداً.. ولم تكن المقتطف وحدها «فقد علق الكاتب الفاضل الشيخ سليم خطأ الدجاج في جريدة المصباح البيرونية تعليقاً انتقد فيه الرواية وقال أن مبدأ مجلة الجامدة هو مبدأ الكومينزم» أي الشيوعية»

لكن فرحا ليس من النوع الذي يتراجع أمام هجوم زادت حدة، بل لعله واحد من هذا النوع من الناس الذي تزداد صلابته كلما ازداد تعرضه للهجوم فيرد رداً عاصفاً «تولستوى وفولتير.. هؤلاء الأعظم مع كونهم من الطبقة العالية، ومن أهل المال كان دأبهم أن يحاربوا بكل قواهم ذلك الفساد الاجتماعي والسياسي المبني على سلطان المال الذي يسمّ دم الأمة لأنّه يقتل العدالة فيه، ويجعل القانون العروبة في يد المال يليل معه جيشاً مال ويحصر السلطة وال蔓افع والأملاك والإرثاق في أفراد قاتل، ويكون باقي الأمة أجزاء مسخرين لهم يتبعبون ويذكرون وغيرهم يتمتع بشمرة تعفهم دون أن يهتم أو يفتّم لحالة الأمة والعملة (العمال) الذين يجمع ثروته منهم» ولعل فرج أراد أن يلوح لمنتقديه أنه ليس وحده في الميدان فيقول: «ويظهر أن هذا الداء (الاستغلال الرأسمالي) قد بدأ ينتشر في الشرق انتشاره في الغرب، فقد قرأتنا منذ مدة عدة فصول في الجرائد العربية فيها برق ورعد على سلطان المال في الشرق، منها مقالة في جريدة «الصاعقة» المصرية هي في الحقيقة صاعقة لم تقرأ قط مقالة بلية بموضع كموضعها، وأخرى في رصيفه في البرازيل..»

بل هو ينذر خصومه بأن الصراع سيشتد بين الاشتراكية والرأسمالية.. «ويظهر لنا مما نقرأ أن هذه الحركة آخذة في الاتساع والانتشار، ونحن نأسف لها لأنها ستكون في مستقبل قريب أو بعيد سبب نزاع شديد بين الشرقيين كما هي بين الغربيين ولكن للأسف لا يوقف مجرى التواميس الطبيعية. ومتى جاء ذلك الزمان وصار معلوماً في الشرق إن هدم الفساد الاجتماعي مقدم على هدم الفساد السياسي لأنه بدون الفساد الاجتماعي يستحيل وجود الفساد السياسي، وستذهب دولة الاستفراط العصري (المملكة الفردية) الذي أرزوّج ماتكون بضاعته في صفحات رصيفتنا المقتطف، ودولة الاحتكار المالي الذي يقيم له المقتطف في صفحاته صوراً ومقاييس تجد أولئك الأميركيين الطفاة الذين يحتكرون أرزان الأمة ويعيشون فيها كالعلق مبنصون دمها ولا ينفعونها» ثم «وتقوم دولة التعاون الاجتماعي والتضامن البشري بين جميع طبقات

الأمة» (٦١) (التشديد من عندنا).

.. هل أذكركم أنتا في عام ١٩٠٣ ولم تزل ..

وفي ذات العام استخدم فرج أنطون أقوى طلقاته ضد المجتمع الرأسمالي فأصدر روايته الشهيرة والمبدعة في آن واحد «الدين والعلم والمال».

وفي هذه الرواية أقام فرج أنطون ثلاث مدن احدها يسودها الدين والأخرى يسودها العلم والثالثة يسودها المال، ثم أقام حواراً وصراحاً بين مثلثي القوى الاجتماعية في هذه المدن ليبرز فيه حقائق الصراع الطبقي بين العمال ورأس المال ..

ونعتقد أن هذه الرواية تثلل أول اطلاقة ماركسية شبه متكاملة على الفكر المصري. ويسجل فرج في البداية أنه لا يكتب رواية بالمعنى المفهوم «سميناه رواية على سبيل التساهل لأنه عبارة عن بحث فلسفى اجتماعى فى علاقه المال والعلم والدين وهو ما يسمونه فى أوروبا بالمسألة الاجتماعية، وهي عندهم فى المنزلة الأولى من الأهمية لأن مدینتهم متوقفة عليها» (٦٢)

ويطرد الرواية شاب اسمه حليم اتى من أقصى البلاد ليشاهد المدن الثلاث. لكن حليما ليس شخصاً عادياً فقد «كان وهو في المدرسة قد لمح في ذهنه عصرًا يسميه مؤرخو اليونان العصر الذهبي ويسميه كتاب المسيحية الفردوس الأرضي فيقى منه في فكره أثر»

وفي الرواية يجلس رئيس الاجتماع.. رئيس جمهورية المدن الثلاث ليعلن افتتاح الجلسة معلناً «اما الآن فانتا نسمع الشكاوى التي اجتمعنا للنظر فيها بصدق وحسن نية..»

«فنهض زعيم العمله وقال: ان شکوري العمال من طمع أرباب الأموال. فالعمال يتبعون ويجدون وأرباب الأموال يعتمون ويتلذذون، فمن العدل ان يشارك أولئك هؤلاء في كل شيء..»

فنهض النائب عن أرباب الأموال: أن شکوري أرباب الأموال لم تكن من العملة أنفسهم فانتا تحب عمالنا كما تحب أولادنا، كيف لا لهم رفقاؤنا وشركاؤنا في أعمالنا، وإنما شکوكانا من بعض الطامعين الذين يشرون خواطيرهم ويحرضون طبقتهم لتلتصل الحكومة العمال عن هؤلاء المحرضين فيستتب السلام بين الجميع.

نهض رجل من فريق العلم وقال: اذا صع أنه متى رفعت يد الذين يسمونهم محرضين بين العمال فقد زال نصف شکوري أهل المال، وإنما يبقى عليهم في هذا الموضوع أن يبحثوا هل يرافق السلام الذي يحصل حينئذ هنا، العمال وراحتهم وسعادتهم، أم يبقى سلامهم متداً أدبياً ومادياً كسلام أهل القبور. وانتا عشر أهل العلم نفتخر في هذا العصر بأننا قد حللنا في هذه المسألة كل أهل الاديان وصار هنا الأول التفكير بانها ضل الشعوب وترقيتها بينما نرى أهل الاديان يسلمون الشعوب بأيديهم الى الأطماع المختلفة فكان فعلهم مثل ملك يخلعون أنفسهم بأنفسهم ولذلك نراهم يكترون من التزلف للاغنياء وأرباب الأموال، ويجارونهم في كل شيء حتى فيما يخالف مبادئهم الدينية.. وبالمهم الشعب في أثناء ذلك بالتجزيل عليه ليشغلوه بالأوهام والأحلام عن مصالحة الحقيقة» (٦٣)

## الشعب المهدب يخون الشعب المسكين

ثم يبدأ فرح أنطون في كشف النقاب عن حقيقة الاستغلال في المجتمع الرأسمالي.. فالجلسة الأولى كانت للاستماع إلى الشكاوى أما الثانية فكانت للمرافعات.

وكان أول المتكلمين زعيما من زعماً، حزب العمال فقال: لقد احستم في تخصيصكم الجلسة الأولى لمشاكل العمال وأصحاب الأعمال لأن هذه أكبر المشاكل.. ومنى حلناها حلتنا معها سواها.

ولكن لا سبيل إلى حلها إلا بمشاركة العمال في ريع الأعمال. فانتا الآن تخدم أصحاب الأعمال نخدم كما يخدم العبد سيده. وأسعدنا حظاً وأعظمنا قدرنا بتناول في الشهر مائة فرنك أي يأخذ في السنة أجره ١٢٠٠ فرنك فإذا افترضنا أن عدتنا في العمل ٣٠ عاملًا كان مجموع ريعنا جميعاً في العام ٣٦ ألف فرنك على حين أن العمل يربح في كل عام مليون فرنك ربحاً مجردًا، وكل هذه القيمة تذهب وتنتصب في صندوق صاحب العمل مع أنها نحن السبب في ريعها.. ولنترك مسألة الربح جانباً ولننظر إلى مسألة أخرى، وهي أن العمال والمستخدمين قوم لا يتناولون في اليوم أكثر من فرنك واحد أجرة لهم فكيف يمكن أن يفكيم هذا الفرنك خصوصاً إذا كان لهم أولاد عليهم القيام بأدفهم.

لذلك نطلب منكم نحن العمال باسم الإنسانية والآخاء البشري أن تتصرفون نحون الأكثري في البلاد ويدعونا لانقدر أن نصنعوا شيئاً، فحرام أن نصنع كل شيء، وعلى ظهورنا تلقى كل الأحلام، ثم ترك الحكومة فريقاً قليلاً من أصحاب الأموال يحتكر منافع البلاد وفوائدها وخبراتها ويسخر لنفسه الأمة كلها.

ويؤكد الكثير من الباحثين أن هذه الكلمات تطل منها.. ملامع قراءة متأنية لكتاب «رأس المال» بالتحديد، وفرح أنطون لا يخفى ذلك فعندما يرد أصحاب رأس المال بدعين أنهم يتمسكون بمذهب الحرية ويردد آراء عديد من الفلسفنة يؤيدون «حرية» الاستغلال الرأسمالي.. يرد مثل حزب العمال قائلاً «إذا كان في حزبكم فلاسفة كبار وعلماء، أعلام، ففي حزبنا من هم فوق العلماء والفلسفه.. أنه كارل ماركس».

ويجري النقاش طويلاً.. يقف العمال والعلماء في جانب ويقف رجال الدين رجال المال في جانب آخر.. ولكن فرح أنطون لم يكن بسيطاً إلى هذه الدرجة فهو يعرف الفارق بين العلماً والعمال.. بين الشرة الحقة والأعطال، بين الماركسية واشتراكية الدولة الثانية، بين العمال وفكرة مشتغلة البرجوازية الصغيرة، فالعلماء يحاولون التوصل إلى حل وسط. ويكتفون بزيادة الأجور وفرض ضريبة الإيراد ويعدون قانوناً بذلك لكن العمال يرفضون ولا يقبلون الا «الدولة الاشتراكية»، ويستيقظ الناس صباح اليوم التالي للجلسة ليجدوا على الجدران في كل مكان شعارات حمراء ضخمة تقول «الشعب المهدب يخون الشعب المسكين».

ثم يوجه فرح أنطون خطابه إلى الكادحين قائلاً: «أيها العمال المستخدمون.

لقد خدعوكم وضحكوا عليكم، فلا تصدقونهم، ولا ترضوا باقتراحاتهم، اذ لا يغرس لهم من هذه الاقتراحات سوى ارجاعكم الى العبودية بالاجرة وانتم لا تطلبون الضريبة على الابراد ولا زيادة رواتبكم بل تطلبون مشاركة أصحاب الاعمال في اعمالهم. فإذا رفضوا هذا الطلب فان حقوقكم هي الاستيلاء على المعامل والمزارع والمتاجر والمصانع لأنها ملك لكم بحكم الطبيع وهو خير من حكم الشرع. فاستولوا عليها ولا تخافوا. (التشديد من عندهنا)

أيها الاخوة: هل تعرفون الذين خانوكم. خاتم أولئك الذين يسمون أنفسهم علماء ومفتولين، ومادروا أن الاعتدال لا يحصل حقاً ضائعاً.. أيها الأخوة: نحن في غنى عن الجميع، واعتمدنا على أنفسنا طريقنا فلنجتماع اليوم على أبواب المصانع والمزارع والمتاجر لتناقش أصحابها الحساب، ونريهم قوتنا، ونبليقهم نهاية أتنا نطلب الموت أو مشاركتهم في أرباح أعمالهم» (٦٤)

وتنفجر الثورة ويتجمع العمال صائحين «الاشتراكية أو الموت» «عجباً الاشتراكية» لكن جنود الجيش كانوا يحرسون المصانع فصاح العمال: أيها الجنود، نحن وأنتم آخران لأننا من أبناء الشعب فلا تسيئوالينا وصدرت الاوامر للجنود بالجهوم.. لكن خمسين جندياً ينضمون الى العمال.. أما البقية فكان النظام العسكري متآصلة في نفوسهم فساورا كالعميان الى حيث يقودهم رؤساؤهم، فتمكّن الجندي في ذلك النهار من تفريغ العمال»

.. ويقع فرح أنطون في المأزق الدرامي، فكيف ينهي روايته، هل ينهيها بانتصار الاشتراكية، هكذا ببساطة ومن أضراب عمال واحد في عام ١٩٠٢، أم ينهيها بهزيمة العمال فيحيط الشمار التي أراد لها أن تزهو..

.. هكذا قرر فرح أن يهدى الحلم، وأن يطوى الصفحة دون نهاية أو خاتمة للصراع مرجحاً بأن الصراع لا يزال وسيظل مفتوحاً.. وهكذا استيقظ حليم من نومه ليجد المدن الثلاث وقد أصابتها صواعق وزلازل، وانتهت الرواية.

ولعلنا ندرك الأثر الذي تركته رواية كهذه.. لقد أثارت تأييداً وحماساً وهجراً وانتقاداً.. ويعلق عليها مصطفى صادق الرافعي بقصيدة رائعة يتوعّد فيها النظام الرأسمالي بشورة يقون بها القراء..

يظن الأغنياء الفقر ضعنا .. وكم من حية تحت الحراب  
ولا يخشون من جاعوا لديهم .. وليس أضر من جوع الذئاب (٦٥)

ولا يتوقف فرح عن معركته فعندهما أضرب لفافو السجائر يساندهم فرح بشدة، بل هو يطلب فتحوى من الإمام محمد عبده بشأن مدى التزام الدولة بضرورة التداخل في المنازعات بين العمال وأصحاب الاعمال، ويرد الشيخ محمد عبده بفتحوى باللغة الأهمية والدلالة تدين أسلوب الاستغلال الرأسمالي ادانة صريحة» (٦٦)

وعندما اشتعلت ثورة أكتوبر في روسيا ١٩١٧، كان فرح أنطون معها ودافع عنها دفاعاً صريحاً وصادقاً.. ويؤكد صديقه الحميم وزميل نضاله نقولاً حداد «لقد اطلع فرح على مؤلفات ومقالات وأخبار عديدة تنفي معظم ما شنحه خصوم البلاشفية عليها، وكان يؤكد أن الحركة البلاشفية كتجربة اذا فشلت أضرت الحركة الاشتراكية أمداً مديداً» (٦٧)

وعلى صفحات الأهالى تتوالى مقالات وأخبار تزيد ثورة أكثرير تأييدا حاسما..

.. « جاء من لندن أن مؤتمر الاشتراكيين الفرنسي فى تور قرر الانضمام الى المؤتمر الشعوبى الثالث (الكونفدرال) وبعد هذا العمل كحفلة من سلسلة التطور الاشتراكي فى الغرب، كما أنه يعد فوزا هاما لنظرية اشتراكيي موسكو» (٦٧)

.. « انه من أوجب الواجبات على المدنية الغربية جميعها أن لا تترك عهدا تاريخياً ذا صحة استثنائية وعلى جانب عظيم من الخطورة دون أن تكون على علم تام بعناصره .. أنه لأجرام عظيم ذلك العجز المخجل الذى ظهرت به أوروبا الغربية جميعها عن تفهم حقيقة المثل الروسي الأعلى .. وتنظر أننا لا نخرج عن دائرة الحقيقة اذا قلنا أن قوة الدفع التي شهدت مظاهرها في روسيا السوفيتية لم تكن لتقوى على اخراجها نظم آلية تعصب بل من المحقق أن هاتيك النظم كانت تدمر تحت القوة الضاغطة بقليل من العناء لولم تكن مرتكبة على عامل روحي ثائر » (٦٩)

وتقف الأهالى دوما مع روسيا السوفيتية .. فتدین الصحف الغربية التي تشن حملات من الأكاذيب ضد السوفيت .. وتقول: أن صحافة الغرب ذات شهرة طائرة فى تحريف الأخبار بل واحتلاتها ، وتدین الأهالى الهجوم البولندي على روسيا السوفيتية وتتوالى نشر الاحتجاجات ضد هذا العذوان ..

.. وتترافق الكلمات .. فالقلب الثائر يترافق.

## هـ - مرواث :

ولقد يكون غريبا أن رجلا كفرج .. حادا في كلماته، شديدا في خصومته، واضحًا في انتسائه يحظى عند وفاته بكل هذه المدائى، التي عندما جمعت شغلت كتابا كاملا ..  
ولقد طالعنا مرثية الاشتدربيت ايضائيا عبد عن دير مار جرجس المحسن .. وطالعنا فقرات من مراثى عديد من الكتاب والصحفيين .. وبقى أمامنا أن نقدم بعض النماذج ..

«السيدة الفاضلة روز أنطون  
أرجو أن تتقبل خالص عزائى فى وفاة التقى شقيقك ولقد كانت خسارتنا  
فيه فادحة»

سعد زغلول رئيس الوفد المصرى

«لقد رأيت فرحا مرارا، ولكن لم أكلمه الا مرتين أو ثلاثة،.. فسمعت من نبرة صوته ومارأيته من خشوع نظراته، وأحسست موضع دائه، فقلت له مواسيا «انك يافرح أنتدى طليعة مبكرة من طلائع هذه النهضة العامة

وسيعرف لك المستقبل من عملك مالم يعرفه الحاضر، وستكون حين يفترق الطريقان خيراً ما كنت في هذا المتنقى المضطرب.. فأوّلاً برأسه إيمانة شاكرة، وحرك يده حركة فاترة وقال: إنه يا أخي تيار جارف لعماذا يعقل المستقبل بالحاضر، وماذا يبالي السائر للقد بن كان قبله في منتهى الطرق»

عباس محمود العقاد

«إن الفراغ الذي أحدثته وفاة فرح أنطون في الأدب العربي لن يملأ أحد في أيامنا البواء هذه.. وأنتي لأنذك الساعات اللذيلة التي قضيتها أطالع مجلدات مجلته الجامعه، ولقد تركت اذ ذاك في نفسك أثراً شبهاً بذلك الأثر الذي يتركه دين جديد في قلب حديث الآباء، فكانت تتعلّج في صدرى لواقع واحساسات غامضة وتتفتح أمامى أبواب ترك في نفسى شيئاً يشبه مقام الكشف عند الصوفيه»

سلامه موسى

\* على «فرح» فلحزن الشرق حزنه

لما هو فرد اما هو جبل  
لقد كان طروعاً للحقيقة راسخاً  
قبل رواسيها وليس يميل  
فمن كان صدقنا في قم الدهر بيننا  
وجل البرايا كلية وفضول  
فمن كان لا يرضي الحياة حقيقة  
فعاش ليقظى والجليل جليل  
فيما لأسيلى كم يقتل العقل نابعاً  
وكم عاش بالجهل الهوى جهول  
ليالى النسيم المقرمات قصيرة  
وليل الشتاء المشعر طويل

مصطفي صادق الراهنى

جـ - خاتمة:

وهل من خاتمه أفضل من هذا البيت:  
ليالى النسيم المقرمات قصيرة      وليل الشتاء المشعر طويل  
لكن فرحاً قد أكد لنا أن الليل زائل.. زائل.. وأن ليالى النسيم المقرمات آتية.

- ١ - فرج أنطون - حياته وتأييشه ومخاراته - ملحق بالسنة الرابعة من مجلة السيدات والرجال - سبتمبر ١٩٢٣ - مطبعة يوسف كوي بصر - ص ١٠
- ٢ - مناهل الأدب العربي - فرج أنطون مكتبة صادر - بيروت (١٩٥٠) - ص ٣
- ٣ - نقولا حداد - مقال - ملحق مجلة السيدات والرجال - المراجع السابق - ص ١٠
- ٤ - مارون عبود - جدد وقدماء - دار الثقافة - بيروت (١٩٥٤) - ص ٢٥
- ٥ - أحمد أبو الخضر منسى - فرج أنطون - مطبعة الاعتماد (١٩٢٣) ص ٢٠
- ٦ - محمد أبراهيم (صاحب مجلة الأكسيبرس) - مقال بملحق السيدات والرجال - المراجع السابق - ص ٢٨
- ٧ - لطفى جمده - مقال بملحق مجلة السيدات والرجال - المراجع السابق - ص ٢٠
- ٨ - المراجع السابق - ص ٢٢
- ٩ - أحمد أبو الخضر منسى - المراجع السابق - ص ٣٤
- ١٠ - المراجع السابق - ص ٢٩
- ١١ - نقولا حداد - مقال بملحق مجلة السيدات والرجال - المراجع السابق - ص ١٣٢
- ١٢ - الأهالى ١٩٢١/١/١٤
- ١٣ - الأهالى - ١٩٢١/١-١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠
- ١٤ - الأهالى ١٩٢١/١/١٤
- ١٥ - الأهالى ١٩٢١/١/٢٥
- ١٦ - لمزيد من التفاصيل عن دور الجمعية المصرية بباريس ودور اليسار فيها راجع : د. رفعت السعيد تاريخ الحركة الشيوعية المجلد الأول - أيضا د. رفعت السعيد - عصام الدين حنفى ناصف - دار الثقافة الجديدة - القاهرة
- ١٧ - الأهالى ١٩٢١/١/٢٦
- ١٨ - الأهالى ١٩٢١/١/٢٧
- ١٩ - لمزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد - نقولا حداد - دار الثقافة الجديدة (١٩٧٢) - ص ٥٩
- ٢٠ - نقولا حداد - بحث تحليلي - ملحق مجلة السيدات والرجال - المراجع السابق - ص ١٣٦
- ٢١ - أحمد أبو الخضر منسى - المراجع السابق - ص ٣٧
- ٢٢ - مارون عبود - المراجع السابق - ص ٢٠
- ٢٣ - عباس محمود العقاد - مطالعات فى الكتب والحياة - ص ٦٩
- ٢٤ - سلسلة مناهل الأدب العربي - فرج أنطون - مكتبة صادر - المراجع السابق - ص ٧

- ٢٥ - مارون عبود- المرجع السابق- ص ٧
- ٢٦ - لطفي جمعه- خطاب التأبين- المرجع السابق - ص ٢٤
- ٢٧ - محمود ابراهيم - مقال - ملحق مجلة السيدات والرجال- المرجع السابق - ص ٢٨
- ٢٨ - مارون عبود - المرجع السابق - ص ٢٤
- ٢٩ - مارون عبود - المرجع السابق - ص ٢١
- ٣٠ - فرح أنطون - مقال - الروايات ونفعها لنا. نقلًا عن مناهل الأدب العربي- المرجع السابق- ص ٦٨
- ٣١ - الجامعة - السنة الرابعة (١٩٠٣) - الجزء ٦، ٧، ٨ - ص ٣٠٢
- ٣٢ - فرح أنطون - مقال: الروايات ونفعها لنا- المرجع السابق
- ٣٣ - G. AHMED - THE INTELLECTUAL ORIGINS OF EGYPTIAN NATIONALISM. (OXFORD) 1960 - P 41
- ٣٤ - كامل عسلى- الآتجاهات التقديمية في الفكر العربي الحديث- رسالة دكتوراة، غير منشورة - ص ٢٦٣
- ٣٥ - البلاغ - ٥ مارس ١٩٢٤-مقال لعباس العقاد
- ٣٦ - كتاب مفتتح إلى عطرفتلو - رشيدتك والي بيروت قبلة ووالى بورصة الآن- مجلة الجامعة- السنة الرابعة (١٩٠٣) الجزء ٦، ٧، ٨، المرجع السابق - ص ٣٣٦
- ٣٧ - راجع النص الكامل في: مجلة الجامعة- السنة الرابعة (١٩٠٣) العدد ٦، ٧، ٨، المراجع السابق ص ٣٠٦ وما بعدها
- ٣٨ - فرح أنطون - أورشليم الجديدة أو فتح العرب بيت المقدس، والرجل المريض والإسرائيلية الجميلة فيها - الاسكندرية فبراير ١٩٠٤ ص ٢
- ٣٩ - الجامعة- السنة الرابعة (١٩٠٣) المرجع السابق - ص ٣٠٤
- ٤٠ - مناهل الأدب العربي- المرجع السابق - ص ٣٥
- ٤١ - كتاب مفتتح إلى عطرفتلو رشيد بك - المراجع السابق ص ٣٣٥
- ٤٢ - مناهل الأدب العربي - المراجع السابق - ص ٦٩
- ٤٣ - المراجع السابق - ص ٩٢
- ٤٤ - مارون عبود - المراجع السابق ص ٢٩
- ٤٥ - المراجع السابق - ص ٣
- ٤٦ - ملحق مجلة السيدات والرجال.
- ٤٧ - لطفي جمعة - خطابه في حفل التأبين - المراجع السابق - ص ٢٢
- ٤٨ - مناهل الأدب العربي- المراجع السابق ص ٤٢
- ٤٩ - الجامعة - السنة الاولى- الجزء العشرون ١٩٠٠-١١-١٥ مقال القرن العشرون وما زال عمل القرن التاسع عشر ص ٤٥٧
- ٥٠ - الجامعة - السنة الأولى - الجزء السابع عشر ١٨٩٩-١١-١٥ - ص ٣٨٢

- ٥١ - الجامعة - السنة الرابعة - الجزء الرابع - يونيو ١٩٠٣ - مدل : الكاتب الشرقي  
رجاجاته - ص ٢٣٠
- ٥٢ - الجامعة - السنة الثالثة - الجزء الرابع - نوفمبر ١٩٠١ - ص ٢٥٠
- ٥٣ - مناهل الادب العربي - المرجع السابق ص ٣٥
- ٥٤ - الجامعة - السنة الثانية - الجزء العاشر - ص ٦٢٦
- ٥٥ - ملحق مجلة السيدات والرجال - المرجع السابق ص ١٣١
- ٥٦ - المرجع السابق - ص ٩٩
- ٥٧ - لمزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد - ثلاثة لبنانيين في القاهرة - دار  
الطباعة بيروت (١٩٧٣)
- ٥٨ - الجامعة - السنة الرابعة، العدد ١٠٢٩ - ص ٣٧٤
- ٥٩ - مناهل الادب العربي - المرجع السابق - ص ٦١
- ٦٠ - الجامعة - السنة الثانية - الجزء ٢٤، ٢٣، ٢٢ - ابريل ١٩٠١ - ص ٧١١
- ٦١ - الجامعة - السنة الرابعة (١٩٠٣) - العدد ١٠٢٩ - مقال أورشليم الجديدة (آراء  
الرضا) - ص ٣٧٣
- ٦٢ - فرح انطون - الدين والعلم والمال- المدن الثلاث- الاسكندرية - ١ يوليو ١٩٠٣ -  
المقدم.
- ٦٣ - المرجع السابق ص ١٤
- ٦٤ - المرجع السابق - ص ٤٣
- ٦٥ - الجامعة - السنة الرابعة - الجزء الخامس أغسطس ١٩٠٣ - ص ٢٩٧
- ٦٦ - محمد عمارة - الأعمال الكاملة للامام محمد عبده - الجزء الأول - المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر بيروت - ص ٦٧٢
- ٦٧ - نقولا حناد - ترجمة حياة فرح انطون - ملحق السيدات والرجال - المرجع السابق -  
ص ١٤
- ٦٨ - الأهالى - ١ - ٣ - ١٩٢١
- ٦٩ - الأهالى - ٢ - ١٥ - ١٩٢١

## الكشف عن أقنعة الإرهاب:

### بحثاً عن علمانية جديدة

د. نصر حامد أبو زيد

هذا عنوان أحدث الكتب التي صدرت للمفكر الناقد الدكتور غالى شكري، وهو كتاب لا يتعرض للارهاب بالمعنى السياسي الشائع في الكتابات الصحفية والذى ينصب في الأساس على سلوك الجماعات الاسلامية في المجتمع المصري. الإرهاب الذي يسمى الكتاب للكشف عن أقنعته هو الارهاب الفكري المضرر لافق الخطاب الدينى وجده واغنا في فطين من الخطاب أيضاً هما الخطاب السياسي القروي والخطاب الثقافي الأدبي. لذلك انقسمت الدراسة على مدخل وثلاثة أقسام: يتناول المدخل قضية «العرب بين الدين والسياسة»، وبخصوص كل قسم من الأقسام الثلاثة لنطع من أنماط الخطاب، فيختص القسم الأول بموضوع «السلطة بين السلفية والعلمانية»، ويختص الثاني بموضوع «القرمية بين الطائفية والعنصرية»، بينما ينصب الثالث على «الثقافة بين الابداع والقمع». وقد اعتمد الكتاب في عرضه لأنماط الخطاب على عدة وسائل حققت لها قدرًا هائلًا من الموضوعية، ففي المدخل تم طرح اشكالية التداخل بين الدين والسياسة في الفكر العربي من خلال عرض ومناقشة الأبحاث التي قدمت في ندوة «الدين في المجتمع العربي» التي عقدت في القاهرة في شهر أبريل ١٩٨٩ م. وفي تحليل الخطاب الدينى اعتمد المؤلف على: ١- المذكرة التي بعثت بها جماعة الاخوان المسلمين الى وزارة الداخلية بعد قيام ثورة يوليو بشهرین وقانون الجماعة المرفق بالذكرى، وهو القانون الذي أقرته الجماعة عام ١٩٤٥ وعدل عام ١٩٤٨ -٢- حوار مباشر أقامه المؤلف مع بعض الرموز المؤثرة في تيار السلفية الجديدة المعاصرة: المستشار طارق البشري والكاتب الصحفي فهمي هويدي. وقد أضيف لمادة هذا الحوار الشهادة المكتوبة التي قدمها المفكر كمال أبو

المجد وأجاب فيها عن نفس القضايا التي طرحت في الحوار. ونفس الوسيلة- الحوار المباشر- تم بها عرض الخطاب العلماني بالحوار مع كل من: المستشار محمد سعيد العشماوي، الدكتور ميلاد حنا، أنسور كامل عشان، الدكتور فرج على فودة، توفيق حنا. وفي تحليل الخطاب السياسي القومي اعتمد المؤلف على مادة متعددة المصادر والمنابع والاتجاهات فقد اعتمد أولاً على تحليل مضمون أربعة كتب جامعية معتمدة في تدريس مادة «المجتمع العربي»، ثلاثة منها تحمل ذات العنوان أحدها للدكتور على عبد الواحد وافي، والثانية للدكتور عاطف أمين، والثالث لمجموعة من الأساتذة هم: أحمد عزت عبد الكريم، محمد عبد السلام كفافي، محمد محمود الصياد، عاطف وصفي. ويحمل الكتاب الرابع عنوان «المجتمع العربي والإسلامي» للدكتور عبد الحميد بخيت بجامعة الأزهر. واعتمد المؤلف ثانية على تحليل كتابين آخرين يدوران حول تجديد الهوية المصرية للفكرين مسيحيين هما كتاب الدكتور لويس عوض «دراسات في الحضارة»، وكتاب ميلاد حنا «الأعمدة السبعة للشخصية المصرية». وإلى جانب تحليل مضمون الكتب اعتمد المؤلف-

ثالثاً- على تحليل موقف الكنيسة مثلثة في تصريحات البابا شنودة من مشروع إنشاء حزب سياسي كل أعضائه المؤسسين من المسيحيين ولم يكتف المؤلف بذلك في مسألة الحزب المسيحي بل قام بتحليل شهادات أربع مجموعات من المثقفين المسيحيين مثلون النخبة المسيحية، هذا بالإضافة إلى شهادات على الشهادات قدمها كل من الشيخ عبد المنعم التمر والدكتور أحمد هيكل والشيخ يوسف البدرى وأمانو الهمضى وأبراهيم شكرى. وكان لا بد لاستكمال الأوجه المتعددة للمسألة القومية من مناقشة التطبيع مع العدو الصهيونى، وهنا تعتمد المادة شكل الحوار الذى يشارك فيه أربعة من الصحفيين سافر أحدهم إلى إسرائيل عدة مرات. وأخيراً يعتمد الكتاب فى مناقشته للخطاب الثقائى الأدبي على تحليل معطيات بعض المعارض الفكرية التى خاضها المثقفون مثل قضية ترجمة رواية الكاتب الأمريكى- اللاتينى مارير فرجاس ليوسا «من قتل مولير» وما أثارته من نقاش انتهى بتحويل مترجمها الدكتور حامد أبوحمد الأستاذ بجامعة الأزهر إلى مجلس تأديب. والمعركة الثانية هي معركة محريم الفنون خاصة الموسيقى والفنان والتعيش. وكانت القضية الثالثة والرابعة بثابة قضية واحدة ذات وجهين، أولاهما قضية سلمان رشدى التى تحولت إلى قضية داخلية مصرية، وثانيتها قضية رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ. وإلى جانب الشهادات المستقاة من الصحف والمجلات يقوم المؤلف بتحليل كتابين هما «قضية سلمان رشدى»- ملف جديد فى صراع الإسلام والغرب» و «الطريق إلى نبيل عبر حارة نجيب محفوظ»، الأول كتبه جمال سلطان وكتب الثاني كل من محمد يعيى ومعتز شكرى.

## ١- أساباب سقوط مشروع النهضة:

هذه المادة الغزيرة الشريحة المتعددة المصادر والمنابع ليست هي على أهميتها- ورغم ما ينحدر من موضوعية فى عرض أنماط الخطاب الثلاثة موضوع التحليل-. أخطر ما يقتضيه لنا الكتاب، بل التحليل ذاته بأدواته الحادة المرهفة وما وصل إليه من نتائج هو الذى يعطى للكتاب أهمية فائقة

في حياتنا الثقافية المعاصرة، لأن مصر وحدها بل في العالم العربي كلها. وعلى طول الكتاب يجاهتنا تحليل للخطاب يمضي على مستويين: المستوى الأول رد المضمن المطروح في كل خط إلى سياق الشعاني الفكري الأشمل ورد هنا الأخير إلى سياق الاجتماعى التاريخي، وهذا هو التأويل التحليل بشق التحليل والتفسير المستوى الثاني كشف المضمون والمسكوت عنه في كل خطاب، لا يعني كشف «الفحوى» من «النطريق» بالدلالة الفقهية القديمة، بل يعني اكتشاف الباطن الذى يقوم عليه الظاهر ولا يستقيم إلا به. وهذا الباطن الذى يكشف عنه المستوى الثاني من التحليل يمثل الشق الثاني من عملية التأويل، شق اكتشاف المفزي والدلالة. ومن البديهي القول إن الحديث عن مستوىين للتحليل، وعن شقين للتأويل، هو من قبيل التبسيط لأغراض العرض / التحليل الذى نقدمه للكتاب هنا. ان عنوان الكتاب دال بذلك على ما نذهب إليه بشرط أن نفهم الإرهاب بأنه الإرهاب الفكري الذى يتولد عن بنية ذهنية تقوم على العنصرية والتعصب. هذه البنية الذهنية (الارهاب) تقتل الباطن الذى تخفيه أقنعة الدين والسياسة والثقافة فى بعض أحاجاها الساذحة الآن والمسيطرة. ومهمة الكتاب الكشف عن تلك الأقنعة وانتزاعها ليتبدى الإرهاب واضحا جليا بحيث تسهل منازلته وهزيمته. وهل ثمة مهمة أخطر من هذه فى ظروف وضعينا الثقافية الآتية.

واذ يكتشف تحليل نقاط الخطاب الثلاثة عن قيمتها على بنية ذهنية واحدة فلابد من التفصيش عن أسباب سيادة تلك البنية من جهة، ولابد من البحث عن حل نتجابز به الرفع القافى الراهن وما يولده من واقع اجتماعى اقتصادى من جهة أخرى. وإذا كانت سيادة تلك البنية الفكرية (الارهابية) ترجع إلى سقوط مشروع «النهضة» بعد سلسلة الأزمات التاريخية التى مر بها فان البحث عن حل لابد أن يبدأ من معرفة أسباب السقوط. لقد قامت معادلة النهضة على تلقيقية بين التراث والوافد الغربى أو بين الاسلام والحضارة الغربية، وهى صيغة ابنت على أساس نفعى برجحاتى يحكم الطبيعة المهزولة المتهاقة لنشأة الطبقة الوسطى فى احضار الانقطاع المعلى من جهة، وفى تعبية للرأسمالية الغربية من جهة أخرى، لذلك تحولت معادلة النهضة الى تبرير للتكنولوجيا الغربية باسم الاسلام، وتحول الاسلام الى غطاء أيدىولوجي لتبرير توجهات الطبقة وتكرس علاقاتها. وحتى المشروع الناصرى ويتوجهاته القومية التحررية ولاقتائه الاشتراكية لم يسلم من تلك الواحة التقليدية. وحين سقطت الناصرية سقطت معها اللالاتات ولم تبق الا السلفية التى عززتها وساندتها توجهات «الافتتاح» الاقتصادى العائى بكل حصاده الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والسلوكى، والثروة النفطية الهائلة بكل ما أحده من آثار مدمرة وما حققته من تغييرات لصالح بنية الفكر السلفى فى مجلياته المختلفة. ومن العوامل التى لم يلتقطها إليها كثيرون أن قيام الكيان الصهيونى العنصرى المسمى اسرائيل ساعد فى تعويق أزمة النهضة وجعل يسقطها وساهم فى حقن السلفية- بالمعنى الاجتماعى والثقافى العام الذى تعد السلفية الدينية أحد تياراته بدماه جديدة. ومن المفارقات المؤسسة أن الخطاب السلفى الدينى حين يدعى الى قيام حكم دينى يعزز بدوره- بطريق التقذية المرتدة المعروفة فى المجالات الكهرومغناطيسية- الأساس الدينى العنصرى للكيان الصهيونى. وهنا يزول الموجب من تعارض

نظام الحكم الايراني مع اسرائيل، وتعاون نظام التعبيرى فى تهريب الفلاش الى اسرائيل، بل ويزول العجب من تزامن قيام اسرائيل مع قيام باكستان ومساعدة نفسقوى الاستعمارى وتحقيقها لأنفاسها فى السيطرة على العالم العربى ومناطق المخزن الاستراتيجى للبترول بواسطة اسرائيل، وللحفاظ بالسيطرة الاقتصادية والمحافظة علىصالح البريطانية فى شبه القارة الهندية بواسطة باكستان التى انضمت عقب اغلاقها دولة الى حلف شمال الأطلنطي.

ان سقوط النهضة نتيجة العوامل السالفة يعنى أن صيغة التوفيق يجب أن تسقط لحسابات تركيبية تقوم على ادراك موضوعى لأطراف المعادلة. وهذه الصيغة التركيبية لا بد أن تقوم على أساس وعي علمى تارىخي بامتدادنا التاريخي - الاسلامى وغير الاسلامى على حد سواء - من جهة، وينبئه الحضارة الحديثة من جهة أخرى. ولا يمكن ابداع هذه الصيغة التركيبية الا من خلال «علمانية جديدة» تكون بمنها فى جدول أعمال «ثورة ثقافية شاملة» هي جزء من مشروع حضارى جوهره الديمقراطى والاشتراكى. هكذا يعبر عنوان الكتاب الرئيسى وعنوانه الفرعى معاً عن: محليلا الشكلية بكشف «أقىمة الإرهاب» من جانب، وتلميس الخل بـ«البحث عن علمانية جديدة» من جانب آخر. ولكن يسامح هذا العرض التحليلي فى تعميق القضايا والمشكلات المطروحة فى الكتاب فاتنا سنقوم بالكشف عن الجذور التاريخية لعدد من قضاياه الرئيسية، وبذلك نساهم فى البعد التأويلى الخاص بالتحليل والتفسير. وستقوم من جهة أخرى بالمساهمة فى بعد الكشف عن الدلالة والمغزى، وهو البعد التأويلى الثانى آملين فى المساهمة بذلك فى طرح بعض الحلول التى تعمق بعض جوانب الثورة الثقافية الشاملة التى نسعى جميعاً لتحقيقها.

## ٢- الاشتباك بين الدين والدولة:

ان قضية القضايا فى واقعنا وفي ثقافتنا ذلك الاشتباك المعقد التاريخي بين الدين والدولة من جهة، وبينهما وبين الفكر والثقافة من جهة أخرى. وظاهرة «الاشتباك المعقد التاريخي» تختلف عن علاقة التفاعل الخصبة والخلاقة التي تجدها للدين فى كثير من الثقافات المعاصرة. وليس صحيحاً أن الحضارة الأوروبية الحديثة قامت على أساس «الارتداد» عن المسيحية كما يحلو للكثيرين أن يؤكدوا، فالحقيقة أن المسيحية - لا الكنيسة - أحد الروايد الهاامة - إلى جانب الوعى التاريخي بالتراث الرومانى واليونانى من جهة ومنتجات التقدم العقلى والعلمى التي أخرجتها الحضارة العربية الإسلامية من جهة أخرى - لتلك الحضارة. والمجتمع اليابانى الحديث يستند فى بنائه الثقافية والاجتماعية على مجمل تفاعل تركيبى للقيم التي تطرحها الأساق الدينية الثلاثة: «الشنتوية» «الدين القومى الوطنى الذى يتمثل فى عبادة - يعني الاحترام والتجليل والتقدير للحضىع والدلة- أرواح الأسلاف، و «الزرادشتية» الصينية الأصل بما تترجمه من نسق للعلاقات بين الحاكم والمحكومين من جهة وبين سائر أعضاء المؤسسات الاجتماعية المختلفة من جهة أخرى، والنسل الدينى الثالث هو «البوذية» الهندية الأصل بما تترجمه من قيم الطهارة والاخلاص والزهد. لكن المثالين المطروحين هنا - الحضارة الأوروبية الحديثة والمجتمع اليابانى - لم

يخلوا من حالة الاشتباك التي ماتزال قائمة في واقعنا، وذلك حين تحقق الكنيسة مع الاطفال وجحدت دلالة النصوص الدينية لغير الطبقة وتكريس استغلالها. ونفس الأمر حدث في المجتمع الياباني حين تم استدعاء «الشنتوري» وحدها لتكريس عنصرية شرقية ضيقة تخدم مصالح الطبقة المسيطرة وتبرر توجهاتها الاستعمارية ومحالفتها مع العنصرية النازية. وفي كلتا الحالتين حسم الصراع بين الدين - سلطة رجال الدين المتخرين لخدمة الطبقة المسيطرة - وبين حركة الواقع التتجهة للستقبل لصالح حرفة المستقبل، وتم فرض الاشتباك بشكل حاسم ونهائي. ليس مطلوبًا اذن عزل الدين عن الحياة كما يروج المبطرون، بل المطلوب وبالحال تصحيح درره باعطائه فعاليته الحقيقة ليكون جزءاً من النسيم الملي لنهضتنا وثقافتنا ومجتمعنا.

والسؤال المطروح دائماً: لماذا عجز مشروع النهضة العربية عن تحقيق ما تحقق في سياسات أخرى والتفصير الطبقي الاجتماعي / الاقتصادي هام وصحيح لكنه ليس كافيا، فالاشتباك بين الدين والدولة والثقافة لم يتمته التاريخي الذي يمتد الى الحلقة الفرعونية اذا ركزنا على المجتمع المصري. ان اتحاد الاله والحاكم في شخص واحد يجعل الحديث عن «علاقة» بين الدين والدولة، او بين الدين والسياسة، حديثاً بيسطيفياً. مخلاً. واذا تجاوزتنا الحلقة الفرعونية وقفزنا الى الحلقة العربية فن السهل أن نعدد بدايات الاشتباك في الخلاف الذي وقع بين المسلمين عقب وفاة النبي (ص)، حيث طرحت مسألة الخلافة وطرحت بعض أشكال التعددية السياسية بين الانصار - أهل المدينة- المهاجرين من أهل مكة. طرحت بعض الصيغ مثل «منا أمير ومنكم أمير» أو «منا الأمراً ومنكم الوزراء»، ولكن الخلاف حسم لصالح مبدأ «القرشية» التي اعتبرت منيع «النبوة». وكان ذلك التوحيد بين القبيلة / العصبية وبين الدين مقدمة ساهمت في سياق مجمل الظروف الموضوعية الاجتماعية الاقتصادية في الوصول الى مبدأ الحكم الشيوقراطي الذي أعلن على لسان الحلقة الثالث عثمان بن عفان حين خبره الثوار بين التخلّى عن الامارة وبين القتل فقال: لا أخلع قميصه الله . وقد استمر المبدأ فاعلا بصرف النظر عن المصياغات اللغوية المختلفة وتطور حركة المجتمعات التي يعتنق أهلها الاسلام. تغيرت الصياغة في عصر الدولة الامورية- مثلاً- لتكون عقيدة «الجبر» التي تتنى حرية الارادة الانسانية هي قاعدة التعامل بين السلطة والشعب، الى جانب أنها تبرر كل مظالم السلطة استناداً الى أن كل ما يقع على الأرض إنما يقع بقدر الله. وقد كان من الطبيعي أن يؤدى اشتباك الدين والسلطة السياسية الى اخضاع الفكر والثقافة للتأويلات السلطوية للدين.

واخضاع الفكر والثقافة للسلطة السياسية/ الدينية يمتد أيضاً إلى العمق التاريخي لمجتمعاتنا، لكن ذلك الاحضاع يتزا من في الملة العربية مع اقرار مبدأ السيادة القرشية بعد اعطائه بعدها دينياً لقى دينياً مسماً في عصر النبي تعدد قرارات النص الديني، وهي القرارات التي تتلامم مع واقع التعدد القبلي واللغوي في الجزيرة العربية. وقد تم الغاء ذلك التعدد لصالح القراءة القرشية، حين أصدر الخليفة الثالث عثمان بن عفان توجيهاته للجنة التي شكلت لجمع القرآن بأن: «ما اختلف فيه فاكتبوه، بلسان قريش». ومن الضروري هنا تأكيد أن الأساس الذي استند إليه مفهوم «القرشية»

- سوا، في بعده السلطوي الديني أو في بعده الثقافي - أساس عصبي عرقى لأساس ثقافي حضاري، وهو أساس يستبعد الموالى ذوى الأصول غير العربية بصرف النظر عن الميلاد والتنشئة. ويسبب هذه الطبيعة العرقية العنصرية استبعاد الصحابى عبد الله بن مسعود من عضوية اللجنة استبعاداً تاماً، فى حين تولى رئاستها زيد بن ثابت الأصفهانى صاحب سنا وصحبة. وقد غضب ابن مسعود غضباً شديداً خاصة وقد أشهر أن النبي (ص) كان يحب أن يسمع قرائته للقرآن لأنَّه كان يقرؤه بشهادة النبي (ص) «كأنَّه أنزل عليه»، فعبر عن غضبه قائلاً: «والله لقد كنت أقرأ القرآن على البنى وهذا (زيد بن ثابت) فى صلب رجل كافر» ولأنَّ مفهوم القرشية بالمعنى العرقى العنصرى توحد بالدين والسلطنة والثقافة انتهى الصراع الذى نشب فى المجتمع الاسلامى الأول بسيطرة الأمريين، وكان هنا التطور فى حقيقته مثل انحرافاً عن الأهداف الأصلية والجوهرية للإسلام. لذلك لم يكن غريباً أن يكون الأمريين هم أول من رفعوا الصاحف على أسنة السيرف طالبين الاحتكام إليها لجسم صراع سياسى اجتماعى فى طبيعته، وبذلك وضعوا أساس قاعدة الاحتكام إلى النصوص الدينية. ومن البديهي أن يكون المعنى资料 الدينى الحاكم - أو الحكم - هو المعنى الذى يحقق أهداف السلطة ويرت توجهاتها. هكذا استطاع النظام الأمرى أن يخوض معركته ضد كل القوى ففى حقيقته مثل انحرافاً عن الأهداف المعارضه له على مستويين: مستوى العصبية العرقية وما يرتبط بها من مخالفات من جهة، ومستوى التأويل التفكيلى للتوصُّص الدينية ثم تعميم هذه التأويلات ورفعها إلى مستوى العقادى المقدس من جهة أخرى. وعلى المستوى الثقافى والفكري أمكن قمع كل التأويلات المناهضة لتأويلات الأمريين - أو بالأحرى تأويلات رجال الدين الموالين لهم والذين يقومون بخدمتهم - بالتصفيه الجسدية لأصحابها. قتل الخليفة عبد الملك بن مروان معيضاً الجهنمى سنة ٨٠هـ وقام ابنه هشام بن عبد الملك بقتل غيلان الدمشقى سنة ٥٩٩هـ بينما ذبح خالد بن عبد الله القسرى - أحد ولاته بنى أمية - الجعد بن درهم سنة ١٢٠هـ أسفل المنبر بعد صلاة عيد الأضحى بعد أن أنهى خطبة صلاة العيد قائلاً: «عباد الله، قوموا إلى عبادكم وأحضرياتكم فاتس مضجع بالجعد بن درهم». لقد كان هؤلاء الشهداء من الموالى، وتلك جريمة فى مجتمعات القبيلة العنصرية، لكنهم أضافوا إليها كبيرة مناهضة التأويل السلطوى للدين فقدموا تأليلاً يتبين حرية الارادة الإنسانية.

### ٣- تجاور العلمانية والسلفية :

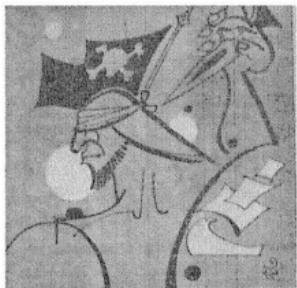
هل يمكن الحديث بعد ذلك كله عن قيام حكم غير كهنوتى، وهل يمكن القول بأن تاريخ الإسلام لم يعرف ما عرفه تاريخ المسيحية من سلطة كنسية. لقد قامت السلطة السياسية - وما زالت تقوم - بدور الكنيسة وجعلت من أيديولوجيتها معياراً للصواب والخطأ الدينين. وإذا كان كمال أبو المجد ينفي عن الإسلام أنه يدعو إلى حكومة دينية فإنه يصف الحكومة الإسلامية المغروب فى قيامها بأنها مجرد حكومة أيديولوجية (ص ٨٦)، ويتناسى أن الإيديولوجية تظل هي الإيديولوجية الدينية التى يوصى معارضها بالكفر واللحاد. وفي حديث طارق البشري اعتراض على

من يستشهدون بالتجارب التاريخية للحكومات الدينية للكشف عن استخدام الدين واستغلاله من جانب السلطة السياسية بأن الفجوة بين «النص» و«التطبيق» موجودة في كل النظم السياسية (٨٧) ويتجاهل الفرق بين النصوص الدينية والنصوص البشرية، حيث يمكن بأساليب النضال المختلفة اجتياز الفجوة بين النص وتطبيقه في النصوص البشرية، بل ويمكن تعديل النصوص ذاتها. وهذا أمر يستحيل تحقيقه ضد نظام ينطوي بالنص الدينى ويتحله تناعماً لأيديولوجيته السياسية. ومن الغريب أن ينكر فرج فودة من منظور علمنى أن الإسلام يعرف شيئاً اسمه رجال الدين (ص ٩٦)، ظاناً بذلك أنه يسحب البساط من تحت أقدام دعامة الحكومة الإسلامية. والحقيقة أنه يتتجاهل الواقع التاريخي من أجل السجال الأيديولوجي الذي يؤودى في النهاية إلى فوز دعامة الحكم الإسلامي. ومثل فرج فودة يلجنأ فهمى هويدى إلى السجال الأيديولوجي فينسف المشروع الإسلامي من الأساس حين يذهب إلى أن القرآن كتاب هداية لا يعرض إلا للمبادئ، العامة دون التفاصيل والجزئيات، وليس مطلباً منه أن يعطيها نظريات سياسية أو اقتصادية ولا تshireات ولا قوانين (ص ٧٨).

هكذا تكشف المخارات والشهادات تجاوز العلمنية والسلفية حيث ظلت الأولى محكمة بأفاق تراثية تبريرية بينما حاولت الثانية الاستناد إلى النصوص الدينية بعد افراغها من التاريخ الاجتماعي الذي تجسست على أرضيته. ولم يكن الخطاب القومي السياسي - والمفترض أنه خطاب علمانى بالأساس - يمعزل عن هذا التجاوز، فالتبنيت مفاهيم القومية العربية في مرحلة المد الناصري بالعرقية العنصرية من جهة وبالمحتوى الدينى من جهة أخرى. وهكذا صار للفكر القومي مرجعية ظاهرة هي الميثاق الوطنى وأخرى باطنية هي الدين: «وكلا المرجعين يمثلان نصوصاً لا وقائع» (ص ١٦٢). ويبقى الفارق بين سلفية الاصلاح وسلفية السقوط أن الأولى واجهت المضارة الثانية - الراديكالية بتعبير المؤلف - الواقع المأزوم بعد سقوط المشروع الناصري فاحتلته باستدعاً، الإسلام الرجعى البدوى النفعى. ولقد أسهمت مفاهيم القومية المشار إليها في الترحيب بالسلفية الأخيرة التي أسقطت «العرق / العنصر» واحتفظت بالدين (ص ١٦٣).

وهكذا يؤودى الاشتباك والتداخل بين السلطة والذين إلى ترسیخ مبدأ «الاحتکام إلى النصوص» المؤولة تأويلاً أيديولوجياً مسبقاً من جهة، والمستند إلى سلطة سلفية من جهة أخرى، وحيث يلجنأ المجددون - أو السلفيون الجدد - إلى محاولة العودة إلى النصوص خارج سياق التأويلات التاريخية التراثية - النصوص الخام في تعبير حسن حنفى - فإنهم يؤكّدون أولية سلطة النص من جهة، وينتزعون النصوص من سياقها الموضوعى اللغوى التاريخى من جهة أخرى.

والنصوص فى نظر المجددين أما أن تعبّر بالايجاب - ذكر الحكم فى شأن بعينه - أو تعبّر بالسلب - الصمت، وما سكتت النصوص فهو فى حكم الاباحة طبقاً للقاعدة الفقهية التي ترى أن حكم الاباحة هو الأصل مالم تحدى النصوص غير ذلك. وطبقاً لهذه القاعدة يرى كمال أبو المجد أن الإسلام ليس ضد مبدأ «الفصل بين السلطات» وأنه: «لا يتخذ موقفاً معاكساً على الاطلاق، إذ ليس له موقف من الصيغ التنظيمية حتى تغير وتتطور بطبعتها» (ص ٨٩). ونلاحظ هنا أن



المبدأ- الفصل بين السلطات- الذى صاغه الفكر الانساني فى نضاله الدامى الطويل الذى خاضه ضد كل صنوف القهر البشري الارض لا يتأصل فى وعيها الا بالعودة الى النصوص ولو بالمعنى السلبى. وهذا تعميق لمفهوم «الحاكمية» القائم على: ضرورة الاحساس الدائم بالعيوبية للله» (ص ٩١). ولتأكيد مبدأ الحرية الانسانية- حرية الفرد بكل محابياتها فى القول والعمل والعقيدة- لابد من العودة الى النصوص ولو بانتزاعها من سياقها الموضوعى اللغوى- وهو مانطلق عليه اسم «التلورن نقضا لمصطلح التأويل»- ففيصبح جزء من آية (البقرة/ ٢٨٢) هو: «وليضار» كاتب ولاشهيد» «أقدم تقرير مكتوب لحرية الكتابة والقول واذا أخذنا فى تفسيره بعموم اللفظ» (ص ٩٢). وأيا كان نهج الاتجاه الى النصوص، وأيا كانت طبيعة النصوص التى تتخذ اطارا مرجعيا، فإن المحصلة واحدة فى كل أنماط الخطاب التى حللها الكتاب وهى جعل النصوص لا الواقع هى نقطة البدء والمعاد. وليس من الغريب اذن فى ظل سيطرة الخطاب السلفى الرجعى أن يعاد طرح كل القضايا التى كنا نظن أنها حسمت: الربا، عمل المرأة وزيهها، النظم والمؤسسات السياسية والاجتماعية الحديثة، الفنون والأداب، وحتى الاستعانتة بوسائل الحساب الفلكى العلمى لتحديد أولى الشهور العربية.

وليس غريبا فى هذا السياق أن تقف الكنيسة موقفا معاديا من نظمى لوقا، وهو موقف لم تتخذه ضد أىا من مكرم عبيد أو سلامة موسى (ص ٢٠٠). ولغرابة كذلك أن يشاع عن ميشيل عفلق بعد موته أنه كان قد اعتنق الاسلام، والرسالة واضحة لتفصير ربطه القومية العربية بالاسلام تاريخا وثقافة وحضارة، فلابقيم ذلك من منظور السلفية الرجعية مع كونه مسيحيًا (ص ٢٠٢). ولا تزيد أن نقول أنه من الطبيعي أن ثقافتنا صارت تحتاج الى فتاري رجال الدين- لرأى النساء والشققين- لتحليل النصوص الأدبية والفنية والفكريه أو لتجزئها (ص ٢٤٤-٢٤٥). ولا تزيد أن نقول انه من الطبيعي كذلك أن يخضع مثقفينا ومبدعينا لابتزاز الارهاب الفكرى فيرفع لجىء محفوظ دعوى قضائية ضد جريدة المساء القاهرية لأنها

بادرت بنشر حلقات من «أولاد حارتنا»، ويكتب يوسف ادريس ماكتب ثم يعتذر عنه (ص. ٢٧). وأخطر من ذلك أن تشارك الأغلبية في طقوس سلمان رشدي مع الاعتراف بعدم قراءة الرواية. وهي الطقوس التي قت فيها تلقائياً أهالة التراب على «أولاد حارتنا»، بل على نبيل ذاتها. في هذا السياق المشبع بالارهاب الفكري الديني والسلطوي والثقافي يتعتمد أن يزول العجب من كم العنف المعروض في دور السينما في مصر محلية كانت الأفلام أم أجنبية، ولامجال كذلك للعجب من أن تكون أفلام الكاراتيه العنيفة زادوا يومياً لقطاع من الأطفال الذين تملّك أسرهم أجهزة الفيديو. الارهاب الآن يتوجّل في الطرق، لارهاب الدولة فقط أو ارهاب الجماعات، بل ارهاب الذي مجسده حركة الشاب المراهق المصري الذي تشاجر مع أبيه فهاجم بوابة القصر الجمهوري مسلحاً مساء يوم ٩/٢/٩٠ وسلوك عضو مجلس الشعب الذي أخذ يلوح بمسكين اثناء القاء كلمته التي وجه فيها الخطاب الى الرئيس شخصياً - رغم عدم وجوده في المجلس - مطالباً اياه بالقضاء على الفساد والتطبيق الفعلى لقانون «من أين لك هذا»، هذا رغم أنه نائب من نواب

#### ٤- الإرهاب يتغول في الطرقات

هل يمكن الاتفاق بعد ذلك كله مع التفاصيلية المفرطة التي يستنتجها المؤلف من بعض الوقائع الثقافية الجزئية ليقرر أنه: «ليس صحيحاً أن حجم الردة السلفية قد بلغ مرحلة الخطر» (ص ٢٣٧، ٢٤٥) ؟ إذا كان المقصود بالردة السلفية ظاهرة المد الذي السلف الرجعي فليس هذا المد هو مكمن الخطر الوحيد. والمؤلف يقرر أن السلفية كانت موجودة طول الوقت، ولكنها تكتسب خطورتها من مجمل السياق الموضوعي الذي أدى إلى سقوط مشروع النهضة، الخطورة التي نبعت منحقيقة أن كثيراً من أباطاط الخطاب - التي نقشت في الخطاب والتي لم تناوش- تتجاهو بمع منطلقات السلفية ومحظى في جبلها كما يقول المثل العربي. هذه السلفية المركبة بلغت مرحلة الخطر دون شك، وهذا الخطر يبدو في جعل الإرهاب بنية اجتماعية سياسية ذكرية تتجلّى في العلاقات الاسرية تحليها في أضخم المؤسسات الاجتماعية والسياسية والثقافية / الفكرية.

هذا الارهاب المركب الذي يتغنى بطرائق وأساليب متباعدة في أ Formats:  
الذى يجعل البحث عن علمانية جديدة تكون جزءاً من ثورة ثقافية شاملة مطلباً ملحاً. ولا حاجة  
ليس冤 القول بأن الثورة الثقافية الشاملة لا تقتصر عن النضال من أجل تحقيق ثورة اجتماعية  
شاملة تساهم الثورة الثقافية في توجيهها وتحقيقها في نفس الوقت تحقيقاً كاملاً. ودون  
الارتباط البينيوي البديلى بين الثورتين تظل أي مشروعات للنهوض بما ينشأه استثناء للبذور في  
الهوا، أو تعليق للتغير الاجتماعي بالانتقادات والهبات الجماهيرية العفوية التي يسهل  
احتواها وتغريها من أي مضمون تقلمنى. وإذا كانت جذور الإرهاب المتعددة تختبئ في الزمان  
مكتسبة من عمق وجودها التاريخي أصله زانقة. كما سبق البيان. فان الثورة الثقافية في

شملها لابد أن تبدأ: «من طرح الاستلة القديمة والجديدة والمنسية والمُؤجلة»، ولابد لها من إعادة طرح الأصول لمناقشتها الجزيئيات (ص. ١٤). والعلمانية الجديدة لابد لها من الانقطاع المفزع عن الماضي بعد تأصيله وذلك باكتشاف «القوانين المضرة في حركة التراث إلى داخلها» (٢١: ٢)، وأن الاستناد إلى سلطة النص - خاصة النصوص الدينية - يعد سمة جامدة في أنماط خطاب الإرهاب السائدة، ناهيك أن النصوص الدينية قتلت اشكالية تجنبتها كل أنماط الخطاب شبه العلماني مشروعات التهضة السابقة، فللاشك أن طرح هذه الاشكالية الآن يعد مطلبًا جوهرياً لتأسيس علمانية الجديدة. انه واحد من أخطر الاستلة الجديدة المُؤجلة، بل المنسية.

ان التماطل مع التراث لم يتحقق لأنه لم يتachelor في بنية وعيها، ولأن القوانين المضمرة لحركته لم يتم اكتشافها، ولذلك ظلت عناصر الاشتباك الفاعلة في بنية حية في بنية وعيها. والتساؤل عن أصول ذلك الاشتباك وعلله هو من قبيل الكشف عن بعض القوانين المضمرة في حركة التراث خارجنا وداخلنا على السواء. لقد ظل الجدل يدور في سياق مشروع النهضة بين السلفيين والعلمانيين على أرضية واحدة داخل حدود الاحتكام إلى النصوص الدينية. سواء كان الاحتكام ببارزا كما هو الأمر في خطاب السلفيين أم كان الاحتكام ضمنيا كما هو الحال في خطاب العلمانيين. وياستثناء هنا الفارق الشكلي ظل الخطاب العلماني عاجزا عن انتاج وعي علمي بعافية النصوص الدينية، وظل يتعامل مع النصوص الدينية من منظور الخطاب السلفي الذي يركز على جانبيها الالهي ناقلا حقائقها بوصفها وقائع تاريخية من جهة، وبرصيفها نصوصا للقرية تنتفع دلالتها بالضرورة من تفاعل علاقاتها التربوية بالسياق الثقافي الاجتماعي التاريخي من جهة أخرى. ان المصدر الالهي للنصوص الدينية لا ينفي عنها طبيعتها اللغوية بوصفها رسالة موجهة الى متلقين عبر متلقين اول - هو النبي (ص) وهو أيضا رسول حامل لرسالة مطلوب منه ابلاغها - وكلهم بشر يعيشون في واقع تاريخي ويتنفسون ثقافة تحمل اللغة مركز القلب منها. وإذا كان الخطاب السلفي يتجاهل كثيرا من تلك الحقائق لحساب الالهي والمقدس والمطلق فان رؤيته تلك تصطدم بضمون الرسالة الكلى ومقصد الروحى الاساسى الذي هوا الانسان بوصفه كائنًا اجتماعيا.

هذا التجديد بجانب النصوص الدينية يجعلنا نتساءل: أهو الاله يتجلى للذات بذاته، أهو التجلي الذاتي أم التجلي للغير الزمانى والنسبي؟ والاجابة لاخلاص عليها، وهذا يشير سؤالا آخر: اذا تجلى المطلق للنسبى فهل يظل على اطلاته أم يتلبس بالنسبى ويشتبه به؟ والاجابة لا تحتاج لتأكيد ويكون الالهى اذا تجلى في اللغة- كما هو الأمر في حالة الاسلام- أن يكون بشريا، وليس من قبيل المصادفة أن يكون القرآن «تنزيلا»، وهو اسم دال في سياق جدلنا اللاهوتى هنا. لقد كان تجلى المطلق في المسيحية وظهره في صورة المسيح البشـر- ابن الانسان بحسب التعبير اللاهوتى- ولذلك ظهر الخلاف حول طبيعة السيد المسيح بوصفه خلانا لا هوتها وهو في حقيقته خلاف أيديولوجي ذو أبعاد اجتماعية تاريخية. وبالمثل نرى أن التركيز على الالهى في النصوص الدينية من أجل نفي البشرى الاجتماعى التاريخى موقف أيديولوجي. وابرار الانسانى والتاريخى، في النصوص الدينية يصادم هذه الأيدىولوجيا من جهة، ويستند الى حقائق اميريقية

لا سبيل الى انكارها من جهة أخرى. ان النصوص الدينية ليست في التحليل الأخير سوى نصوص لغوية بكل أبعاد اللغة الثقافية الفكرية الاجتماعية. ولا سبيل لهم تلك النصوص واستخراج دلالتها الا بضمها في ذلك السياق الكاشف عن المخاص في دلالتها.

وياكتشاف المخاص والتاريخي يمكن الوصول الى العام في دلالة تلك النصوص، ولا يصبح الحديث عن العام والخاص تكرار ماطرحة علماً، أصل الفكرة من دلالات جزئية تناسب مع مستوى وعيهم المعرفي من جهة، وعلى منطلقاتهم الفكرية والأيديولوجية من جهة أخرى. لقد اكتفى علماء الأصول بالوقوف عند العام والخاص من منظور فقهي لا يرى للنصوص واقعاً أو سياقاً خارج إطار علوم القرآن بكل ماقتلى، به من مرويات نقلية تحتاج للفحص والفرز، وذلك دون أن يقفوا منها موقفاً تقدرياً شاملـاً. أما العام والخاص في التحليل التاريخي للنصوص الدينية فمعناه الكشف عن الدلالات التي أستقطها التطوير اللغوي الشفافي وصارت مجرد شواهد تاريخية وفصلها عن الدلالات العامة التي توجد في كل النصوص الأصلية في جميع الثقافات. ولابد من الاشارة إلى أن عملية الفصل هذه بين المخاص والعام في دلالة النصوص الدينية ليست عملية تتم مرة واحدة والى الأبد، بل هي عملية متتجدة مع تجدد آفاق القراءة يتتطور الشفافة والمجتمع وتقدم الأدوات التحليلية وتطور الوعي. ان تحقيق الوعي العلمي بتأريخية النصوص الدينية لا يجب أن ينطلق من أي مداخل أيديولوجية حتى لا يقع الخطاب العلمي في شرك المجالية الأيديولوجية، بل يجب أن ينطلق من التحليل السبوليوجي للوقائع التاريخية من جهة، ومن التحليل اللغوي الشفافي من جهة أخرى.

ومن شأن هذا الوعي المُلْمِسِ أن يساهم دون شك في فض الاشتباك بين الدين والسلطنة السياسية من جهة، وبينهما وبين الثقافة من جهة أخرى، وذلك حين يسلّبهم جميماً مسألة «الحاكمية»، التي تعني الاختِفَاك لسلطة النصوص في البنية السلفية المضمرة في أفق خطابهم. ومن شأن هذا الوعي أن يساهم كذلك في وضع لبنة في بناء العلمناتية الجديدة التي تتقاطع مع الماضي والتّراث من خلال تأسيلهما معاً، ولعمل هذه اللبنة أن تكون بثبات «حجر الأساس» لهذه العلمناتية المأمولة. ولعمل هذا الوعي أن يكون في النهاية اسهاماً في التّحْرير الشاملة للمقبلة، والتي تزدهر بها: «أكثر شمولًا من أن تكون مجرد محير سلطة الدولة من سطوة رجال الدين، بل هي إلى جانب ذلك وغيره برنامج متعدد المراحل والجوانب والوسائل لتحرير البنية الاجتماعية ذاتها من السيطرة الشي MQ طيبة المغلقة في التّخلف» (ص ١٤٣).

## نحوص



قصة:

جميل عطية ابراهيم / شوقى نهيم / محمود الورداوى / وجيه  
عبدالهادى / ابراهيم فهمى / محمد جبريل / جميل حتمل

شعر:

كمال الجزاولى / سمير عبد الباقى / محمد سليمان / السماح عبدالله  
/ محمد النبلى / طاهر البرباجى / مصطفى الجارحى / مدحت منير

## بوميات

جميل عطية ابراهيم

كان أخي الأكبر هو الذي إقترح بنا مقبرة خاصة بالأسرة، فاشترى الأرض، وبدأ في إعداد ترتيبات البناء.

في البداية اختللت الأسرة حول هذه الفكرة، بعضهم تحمس وبعضهم تسام، ووجدتني من المتعسسين لفكرة المقبرة وقررت أن أجيبها بالاحجار وأحواض الورد، وأن آبني نصباً عالياً وأضع عليه قنالاً، وكانت أعرف أن اختياري سوف يعترضون على هذه الكماليات وقررت أن أحمل نفقاتها بمفردي. فالمقبرة بدونواجهه رخامية وأشجار عالية لا تعد مقبرة وتجاوز ثمن الأرض الألف جنيه، وقدر المقاول تكاليف البناء بألف اخرى، وأخبرتني صديق له خبرة بالخلافات أتنى في حاجة إلى مائة وخمسين جنيهاً لتجهيز مدخل المقبرة والفناء الخارجي بالنباتات والورود.

و恃سل أخي الأكبر الأرض وقام بتسجيل العقد في البطريركية وفقاً لقواعد امتلاك أرض المقابر، وسدل الشمن نقداً نيابة عنا، وأعد الرسومات الهندسية، وتعهد والدى بسداد نصيبهما من الثمن أيضاً، ورباعت والدى نصف مصاغها الذهبى، أما أخي الصغرى فقد حزننا عظيماً. وبدأت أحاديثنا تدور في معظمها حول المقبرة وبناء المقابر، وكان أخي الأوسط يستمد للزواج فبدأت عائلة خطيبته تشاركتنا الحديث حول المقبرة وتكليف بنائها، فقد كانت من مفاخرنا، فأسرتني تسعى وقد تجحبت في امتلاك مقبرة خاصة بها، واسترجعت الاستران حوات مؤسفة عن اثرياً من العائلة ما توا فجأة دون تحسب لهذا اليوم، فدققنا في مقابر «الصدقة»، ففي العام الماضى رفض هنا وهو من أقارينا دفن حرم صديقة مجلع فى مقبرته، وتهرب من وعده ساعة الدفن، وادعى أنه قد نسى المفتاح. لكنه صرخ لوالدى بعد ذلك، بأنه يتسام من فتح المقبرة في بداية العام. فالمقبرة

اذا فتحت في بداية العام فلن تكتفى بجثة واحدة . وتبداً في سحب الاجها ، واحداً بعد الآخر . وزعمت والدتي أن هنا رجل خسيس من مصفره ، فعلى الرغم من أنه يقوم بجمع التبرعات للكنيسة كل أحد ، وأنه يعاون الأب سرجيوس ويصحبه عند زيارة المرضى ، ويحمل له البخور ، ويؤدي الطقوس ، فهو رجل خسيس ونذل .

وتوقف هنا عن زيارتنا ، لكن أخي الأكبر كان يتصل به سراً لأنها ، امور المقبرة ، وكان هنا يقول لأخي أن أهم شيء في هذه الحياة هو تأمين بيت الآخرة ، وتعلمت منه آداب الحديث عن المقبرة ، فعندما يتحدث إلى أبي ، يطلق على المقبرة «القرية» ويقرنها بكلمة معيبة دانما ، أن يقول مرضع الراحة الأبدية ، أو عندما يستريح العبد الشقى من عذابات الدنيا ويلبس نداء ربه ، ولا ينسى أن يقول هنا لوالدى أيضاً ، بعد عمر طويل ، أو عندما يسلم الانسان الوديعة إلى خالقه ، لا بد له من تربة .

وكان أبي على التقىض من والدته ، يتفهم مشاعر هنا ، ويتعاطف معه ، ويقول أن الرجل قد أدى واجبه نحو ديميانة زوجة مجعل ، فقد فتح لها مقبرة خاصة بأطهار الكنيسة والقديسين ، واشتكى والدتي هنا للأب سرجيوس ، لكنه طيب خاطرها ، وقال لها ، أن الانسان عاجز عن مواجهة الشر ، فالخطيئة الأولى في دمه ، وأن المسيح قد جاء ليحمل علينا خطاياناً وبخلصنا ، وظل هنا يعود إلى والدته بعد كل صلاة ، ويقول لها في ود ، السماح يا مقدسة ، أنا أخطأت ورب الكنيسة رب سماح ومحبة ، فتشجع بوجهها عنه ، وتره عليه بكلمات قاسية . و هنا يمتد إلى والدته بصلة قريبة بعيدة ، تزعم أنه كان يود الزواج منها في شبابها ولكنها كانت ترفضه بشدة لذاته ، وقد فضلت والدى الغريب عن العائلة عنده لشهامته ، فيضحك قاتلها لها : هذه أحداث من ستين عاماً مضت . انسى يا إمراة .

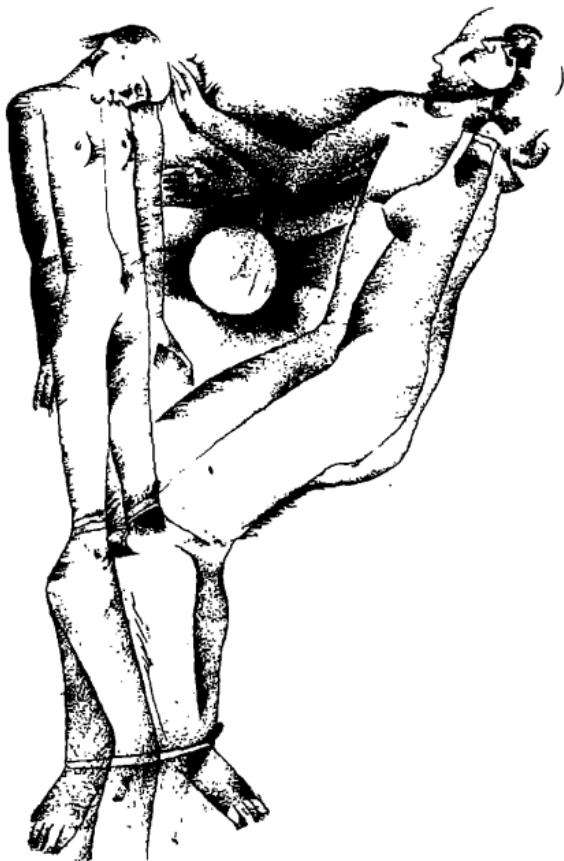
فتقول له غاضبة : من أربعين عاماً فقط .

ونضحك جميعاً ، ويفضحك أبي أيضاً منها . وعندما لم يؤيد الأب سرجيوس والدته في هجومها على هنا ، بدأت تنتقده علانية ، ويدأت تحاسبه على نذور الكنيسة وتقييد التبرعات في دفتر خاص .

وذات مرة ادعى أن الأب سرجيوس يدخن السجائر بعد الصلاة ، وأن زوجته تذهب إلى شاطئ العجمى وترتدى المايره ، فصدمت مشاعرتنا ، وانهى أخي الأكبر مدافعاً عن الكاهن ، وطلب من أبي أن يتدخل في الأمر ، ولكن أمى كانت عنيدة في صراعها ، وصرحت أنها لن تكتفى عن مهاجمة هنا حتى آخر نفس فيها ، وأنها على استعداد لتسدد نفقات المقبرة بمفردها ، وانها ليست في حاجة إلى معاونة أخي الأكبر او مشورة هنا ، وباعت بقية مصاغها ورصدت ثمنها للمقبرة .

وكان يضايق أخي الصغرى تدخل والدته في كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالمقبرة ، وطريقة مهاجمتها ل هنا وراعي الكنيسة ، وانها باع مصاغها من أجل المقبرة ، ولكن حماس والدته لأمتلاك مقبرة كان قد ملك مشاعرها ، فنكظمت أخي على مضمض .

وأنهم كل منا في تكاليف المقبرة فيما عدا أخي الكبرى المتزوجة ، فقد رفض أبي أن يسمم زوجها معنا ، وطلب أبي أن تكون المقبرة بإسمه وأن يوضع إسمه على قلعة رخام مصرياً بكلمة



من الكتاب المقدس عليها، وكانت أختي الصغرى ترى أن مصاغ والدتي التي يبددها من أجل المبرة هو نصيبيها عند الزواج، أما زوج أختي الكبيرة فقد غضب من والدي ومنع أختي من المجنينا، وحزن والدى بعدها حزنا عظيما لحرمانه من رؤية أحفاده الصغار، أما والدتي فقد كانت تذهب إلى زيارة أختي الكبيرة سرا في غياب زوجها ..

قصة

## يا جمبي المتبين

شوقى فهيم

نادراً ما ينعد نوم القيلولة حتى السابعة مساء، لكن هذا ماحدث في ذلك اليوم في شهر يونيو الماضي. كنت نائماً بفعل الاقراس المهدئة عندما دق الباب فقامت زوجتي وفتحت.. رأت يداً تحد مسكة بمظروف أخضر في حجم الفولسكاب، وبحركة آلية تناولت المظروف وقبل أن تقل كلمة كانت اليد قد اختفت، وصاحب اليد أيضاً. كان الظلام قد حل في الطرفة الممتدة بين أبواب الشقق، أطلت برأسها ثم مالت على سور السلم لترى من الذي اعطتها الرسالة، لكنها لم تر أحداً كأنه «قص ملح وذاب».. لم أسمع حتى وقع اقدامه وهو ينزل.. تأولتني الرسالة. اضطاعت المصباح. كان مكتوباً على المظروف الأخضر، ويخط بدائي أشبه بخطوط الأطفال، «رسالة الـ ولدى عبد الله عبد القادر علام» وفي أسفل المظروف، وعلى الطرف الأيسر، كتب بخط أصفر، «من طرف والدك عبد القادر علام».

سألت زوجتي في مزاج من الدهشة والغرف.

- من الذي أرسله؟

- أبي ا

قالت غاضبة:

- وهذا وقت مزاح؟ من الذي أرسله؟

قلت بجدية: أنها رسالة من أبي.  
وتبادلنا النظرات.

في صيف ١٩٥٤، أى منذ أربعة وثلاثين عاماً، اختفى والدى. كنت يومها رضيعاً في شهرى السادس، وكلما كبرت تلقيت معلومات أكثر عنه وعن ظروف اختفائه، كانت أمن بالطبع هي المصدر الأنسى ل المعلومات، ثم أخواتي، واقاربي، والجيران، والمعارف. كان أبي يعمل أميناً للمخازن في المجلس البلدي لمدينة بنى مبارق، ثم نقل - بعد أسبوع من ولادتي - ليعمل سكريراً للمجلس البلدي في مدينة سمالوط الملاصقة لبني مزار. استأجر غرفة في سمالوط. يأتى كل يوم خميس لينضم بصحبة الأسرة ويغير ملابسه ثم يسافر في صباح السبت. كان موعد مجتمعه الأسبوعى ثابتًا لا يتغير. عن سمالوط يأخذ قطار الواحدة والنصف ظهراً، ليصل محطة بنى مزار في الثانية إلا خمس دقائق، وفي الثانية والربع يطرق باب بيتنا فتسري فرحة طاغية في كل أرجاء البيت متوجة برائحة الطعام الذي أوفكت أبي على الانتهاء من اعداده.

وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر يونيو ١٩٥٤ كانت الأسرة تتضرر ربهما في موعده العاد، في الثانية والربع، وكانت الأم قد انتهت من طهو البايمية، والأرز، واعدت السلطة وغسلت الفاكهة ووضعت الأطباق على المائدة. ولم يأت الأب.

قالت الأخت الكبرى: نغرف الطعام ليبرد قليلاً حتى يجيء أبي. وفعلت ذلك.

الثانية والنصف ولم يأت. برد الطعام

الثالثة.. الرابعة... الخامسة. وعندما غربت الشمس كان القلق يملأ البيت.

في السابعة دق الباب، كان زوج أختي الكبيرى. أخبرته الأم. ذهب إلى سمالوط. كانت حجرة أبي مغلقة بقفل من الخارج وقال الجيران إنهم رأوه آخر مرة خارجاً من حجرته بعد ظهر يوم الأربعاء، طوال الليل تم البحث عنه في كل الأماكن المحتملة، وفي الصباح تم إبلاغ الشرطة وكسروا القفل وفتحوا الباب، كانت الحقيبة التي يحملها عند سفره موجودة وبها الملابس التي سيأخذها معه. وكان ثمة قدر به خضار مطبوخ.

تشكلت فرق من الأسرة والأقارب والجيران والمعارف وتم البحث عنه في كل المستشفيات القريبة وفي نقاط الشرطة المجاورة، وقام فريق من الصيادين بمسح ترعة الإبراهيمية من سمالوط حتى مغاغة حيث توجد مصنفة تمنع ابحار الجش. وما من قائلة. قبل انه سقط في ترعة الإبراهيمية عندما كان يسير مساء الأربعاء، يحذا شاطئها ثم داهنه أضواه قوية لسيارة نقل، وقيل ان وراء اختفائه موظف في المجلس البلدي مروييس لأبي، متهم بالاختلاس. ولكن تحقيقات الشرطة والبحث الدقيق عن أبي لم تسفر عن أي نتيجة. وكان الأمل ينوى يوماً بعد يوم. وعبر السنوات الأربع والثلاثين صار أبي ذكرياً ترفق على البيت وسؤالاً ملقاً لاجواب عليه.

والأن يجيئنى خطاب منه. الآن- بالذات- ها هو يرسل لي رسالة وأنا مهزوم أمام العالم. لطالما حلمت به كلما صاح على الخناق قلت للطبيب النفس الذى يعالجنى عن الرؤيا التى تتكرر بين ليلة وأخرى فى الشهور الأخيرة مابين النوم واليقظة كنت آراء وقفا فى مهابة فى رданه الأبيض الواسع فارداً ذراعيه كطائر خرافى ينادينى بصوت عميق «تعالى الى أيتها المتعب.. تعالى بحملك الثقيل وأنا أريحك». وكانت روئته تغمزنى بالدف، والسكنية.

فتحت المظروف.



كان يحتوى على رسالة من الورق الأصفر كتب عليها بخط نسخ مشكل: «من عبد القوى علام الى ولده عبد الله.

اقرأ هذه الرسالة وأعمل بما أمرك به. انت والدك. وانت من صلبى. أنا حى موجود. وستلتقطى يوما ما. اسميك عبد الله، وانت الابن الراى الوحيد لي. احفظ اسمى عاليا. واياك واندثار أيامى. كذب الذين قالوا انى غرقت أو قتلت، فأنا حى موجود. اذكر اسمى عند شروق الشمس كل صباح. احلق شعرك دائما ولا تضع نظارة على عينيك. احفظ أيامى من الاندثار. انت والدك وانت من صلبى. وستلتقطى يوما».

عندما انتهيت من قراءة الرسالة كانت موجة من الرهبة والذهول تعصف بداخلى وكان العرق يتصبب من جهتي.

قالت زوجتى: هذا امر مريب.. نحن لانعرف من الذى أرسل هذه الرسالة.  
قلت لها: لقد عشت طيلة اربعة وثلاثين عاما وانا اتلهم لرؤيا ابى ولو فى الحلم. والآن ها هو يبعث لي برسالة.

- هل جئت. لقد أختفى والدك منذ اربعة وثلاثين عاما. والآن يرسل لك رسالة لماذا لم يأت بنفسه؟

- قد تكون له ظروف خاصة تمنعه من المجىء. ربما يكون قد تزوج من سيدة اخرى ويخرج من مقابلة امى.

- أن امك الآن تجاوزت السبعين من عمرها، وأبوك لو كان حيا، فإنه تجاوز الشانين، فهل هناك حرج فى مثل هذا السن؟

لم أرد على زوجتى. نهضت وارتدت ملابسى وذهبت الى منزل امى. ورغم أنها الآن ترى ورغم أنها لا تعرف القراءة والكتابة الا أتى اطلعتها على الرسالة. وما ان وقع بصرها عليها حتى صاحت:

- انه خط ابيك تماما. ما زالت اذكرة. كنت اعلم أنه حى موجود.  
ذهبت الى شقيقاتى المتزوجات فأجمعن على ان الرسالة من أبى فعلا، وانها بخط يده. وعندما

عدت الى والدى اطلب منها البحث فى البيت عن أية أوراق قدية بخط ابى انجرت باكية:  
ـ لماذا أنت شراكاً مكناً ؟ هل تريد قتل أبيك مرة أخرى بعد أن علمتنا أنه حى و موجود ؟ ألم  
يقل في الرسالة أنت ابنه الوحيدة ؟ ألم يعرف عنوانك ؟ ألا يكفى كل هذا لاتيات أنه صاحب  
الرسالة ؟

عدت الى البيت يصرننى احساس جديد وقوى: أن لي أبا حيا موجودا في مكان ما . وسوف  
لتلقى في يوم ما . واستسلمت زوجنى لهذه الروح الجديدة التي تلبستنى . وعندما طلبت منها ان  
تفصل شعر رأسى وتزيله بالموس فزعـت ولكنها أمام اصرارى نفذـت ما اريد . نظرت الى وجهى فـي  
المراة فلم اتعرف على نفسي . آتني مخلوق جديد بلا شـعر . لكن ما هذا الشـارب ؟ أليس هذا  
شعرـا ؟ ألم يقل ابى في رسالتـة «اخلقـ شـعرـكـ دـانـسـاـ» «وأخذـ المـوسـ وحلـقـ شـارـبـىـ . نـظـرـتـ الىـ  
المـرأـةـ هـاـ أـنـاـ شـخـصـ جـديـدـ . ولـكـ ثـمـةـ شـعـرـ فـيـ وجـهـىـ ..ـ الـمـواـجـبـاـ هـلـ أـزـيلـهـ .ـ وـعـنـدـماـ أـحـسـتـ  
زوـجـتـيـ بـأـنـوـيـ فـعـلـهـ خـرـجـتـ

ـ أـيـاكـ أـنـ تـرـيـلـ حـوـاجـبـكـ سـأـتـرـكـ لـكـ الـبـيـتـ لـوـ فـعـلـتـ ذـلـكـ .ـ  
وـاـذـ كـانـتـ صـرـخـتـهـ قـوـيـةـ تـرـدـ صـدـاـهـ فـيـ غـرـفـةـ الـحـمـامـ اـدـرـكـتـ اـنـهـ جـادـةـ فـيـ قـوـلـهـ فـتـرـاجـعـتـ عـنـ  
حـلـاقـةـ حـوـاجـبـ .ـ

على العشا . راحت زوجتـىـ قـعـنـ النـظـرـ فـىـ . قـلـتـ لهاـ انـ تـنـتـنـاسـ الـأـمـرـ وـلـاـ وـخـارـلـ النـظـرـ الـىـ .  
فـىـ الـيـوـمـ التـالـىـ نـهـضـتـ قـبـلـ الشـرـقـ . سـعـبـتـ الرـسـالـةـ وـأـعـدـتـ قـرـاءـتـهـاـ ..ـ وـاـذـكـرـ اـسـمـيـ عـنـدـ  
شـرـقـ الشـمـسـ كـلـ صـبـاحـ ..ـ خـرـجـتـ إـلـىـ الشـرـفـةـ وـتـرـجـهـتـ نـحـوـ قـرـصـ الشـمـسـ الـبـازـغـ وـأـنـاـ أـرـدـدـ :ـ أـبـىـ  
حـىـ وـمـوـجـودـ ..ـ أـبـىـ حـىـ وـمـوـجـودـ ..ـ وـسـوـفـ نـتـقـابـلـ ..ـ وـسـوـفـ نـتـقـابـلـ ..ـ ثـمـ أـعـدـتـ قـرـاءـتـهـ الـرـسـالـةـ فـىـ  
الـشـرـفـةـ وـعـنـدـماـ وـصـلـتـ إـلـىـ عـبـارـةـ «ـوـاـخـلـقـ شـعـرـكـ»ـ تـوـقـفـتـ وـاخـذـتـ أـنـكـ .ـ اـنـ كـلـمـهـ «ـشـعـرـ»ـ هـاـ  
جـاءـتـ فـيـ صـيـفـةـ الـمـطـلـقـ .ـ لـمـ يـقـلـ شـعـرـ رـأـسـكـ .ـ أـوـ شـعـرـ وـجـهـكـ .ـ لـمـ يـقـلـ شـعـرـ رـأـسـكـ .ـ أـوـ شـعـرـ  
وـجـهـكـ ..ـ أـوـ أـيـ شـعـرـ أـيـ جـزـءـ الـجـسـمـ .ـ اـذـ هـوـ يـقـصـدـ كـلـ الشـعـرـ الـذـىـ عـلـىـ الـجـسـدـ .ـ مـنـ  
شـعـرـ الرـأـسـ إـلـىـ الـمـواـجـبـ إـلـىـ الذـنـقـ إـلـىـ الـعـاـنـةـ إـلـىـ مـاـحـتـ الـأـبـطـينـ وـشـعـرـ الـأـرـجـلـ ..ـ كـلـ الشـعـرـ ..ـ  
دخلـتـ الـمـطـبـخـ وـأـعـدـتـ بـعـضـ الـخـلـوىـ مـنـ الـعـسـلـ الـأـسـوـدـ وـالـلـيـمـونـ بـالـطـرـيـقـةـ التـىـ تـبـعـهـ زـوـجـتـىـ  
لـازـالـةـ الشـعـرـ .ـ دـخـلـتـ الـحـمـامـ وـازـلـتـ اـولـاـ حـوـاجـبـ ثـمـ شـعـرـ ذـرـاعـيـ وـتـحـتـ .ـ إـبـطـيـ .ـ كـلـ شـعـرـ فـيـ جـسـمـ  
إـلـتـهـاـ .ـ نـهـضـتـ زـوـجـتـىـ مـنـ نـوـمـهـاـ وـدـخـلـتـ الـحـمـامـ .ـ عـنـدـ مـاـنـظـرـتـ إـلـىـ وجـهـيـ صـرـخـتـ فـزـعـاـ وـأـخـذـتـ  
تـصـرـخـ «ـلـقـدـ تـوـقـتـ عـنـ اـسـتـخـدـمـ عـقـلـكـ»ـ ..ـ تـفـعـلـ فـىـ نـفـسـكـ كـلـ هـذـاـ بـسـبـبـ وـرـقـةـ اـرـسـلـهـ اـحـدـ  
الـسـخـفاـ ..ـ ثـمـ رـاحـتـ تـصـرـخـ بـصـوـتـ أـعـلـىـ وـأـعـلـىـ ..ـ اـنـكـ بـشـعـرـ وـمـعـتـوهـ .ـ حـذـرـتـهـ اـنـ لـاتـسـادـىـ فـىـ  
اهـانـةـ أـبـىـ وـرـسـالـةـ اـبـىـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـوـقـفـ .ـ كـانـ لـاـبـدـ مـنـ قـتـلـهـ حـفـاظـاـ عـلـىـ ذـكـرىـ أـبـىـ وـرـسـالـةـ .ـ  
وـقـتـلـهـاـ .ـ وـهـاـ أـنـاـ إـلـآنـ قـاـيـعـ الـصـالـةـ وـرـاءـ الـبـابـ مـسـلـحـاـ بـسـكـنـ كـبـيرـ وـقـطـعـةـ حـدـيدـ ..ـ اـنـظـرـ الـأـوـغـادـ  
الـذـينـ سـيـجـيـثـونـ .ـ

## دقائق

محمود الورداي

.. خرجت أخيراً إلى طريق خالٍ وواسع. كان الفضاء قد امتد وحولى وفي كل مكان.

كنت أسير مرهقاً مكدوداً، أشاهد دوائر الدخان تصاعد على يسارِي، وتومض حرائقها الصغيرة المنتشرة في تلال القمامات المتناثرة في البعيد. كانت البنت قد توقفت عن البكاء، منذ أن كففت عن الجري، الذي كان فيما يبدو يسبب لها الملايين من التقوى على احتماله. وعندما هدأت، هدأت هي كذلك. غير أن جسمها كان يخرج من البطانية، ولباسها التي كانت مرتبطة وملفوقة جيداً، لا أدرى ما جرى لها.

بعد قليل، سمعت صوت العربية والجواود: العربية تترقّع بعجلاتها الخشبية، أما صوت دقات أقدام الجواود، فيدق دقات خفيفة سريعة متتابعة. أغلقت قائلة: ليس من المقبول أن يكونوا هم، أولئك الذين يطاردونني منذ البداية، وكيف يتأنّى لهم أن يطاردوني في عربة محركها الجياد، بعد أن فارقتها - مرغماً - بضميرتها الفليطة حتى الخصر، ورائحة البرتقال العذبة تروع وتخبيء في دقات.

ها أنا وحدي إذن، ومعي الطفلة الصغيرة.

وخطرت مسرعة نحو شجرة جرداً، على اليسار، واختبأْت خلفها قدر ما أستطيع بينما كنت أتابع العربية وهي تظهر على مرصد في الطريق. تبيّنت الجواود يغب صاعداً، ثم هيبة الولد الصغير القاعد على الحافة وحده والعربة تهتز نحوه.

غادرت مكانني، وجرت معرضاً طريقاً متهلاً فرحًا لخلاصي الوشك، كان ولدًا صغيراً أسر، وكان يضحك ضحكة واسعة جللى، ويغطى رأسه بطاقية بيضاء. ساقة اليمني كانت مثنية تحته

بينما تدللت المسرى من طرف العربية الخشبية الصغيرة التي بلا أسوار، شد اللجام بقوة، فتوقف الجواه البني متنهلاً يهز رقبته الطويلة اللامعة في غضب. رفع لي وجهه الضاحك، ففقرت بجواره، وأرخى اللجام ليتنطلق جواهه مجنحاً الريح والخلاء.

لقد أدركت من بعيد أنه هو. وهاجمني فرح طاغٍ حين استطعت أن أهتدى إليه. إنه هو بلاشك إمام المساجد ومطلع الأنوار للرامع. الجامع العتيق. هذا هو الصحن يبدو غائماً، ومن خلفه غابة من أشباح الأروقة الخالية المستعدة في الليل. نعم.. هو جامع عمرو بن العاص. استراحت نفسي وغمزتني هذه عجيب. ولم ألبث إلا قليلاً، حتى وجدتني أهتف: ما الفائدة في تعرفي على هذا المكان أو ذاك، سادمت لأن استطيع أن أحدد بالضبط، أو على أي نحو، علاقته ببقية الأماكن.

يبدو أنه هنا تكمن المشكلة.

ثم عاودني إحساس القديم بالذنب لأنني أسرعت بمقادرة مكانى في أول الأمر، إلا أنني عدلت من وضع البنت على حجري، وأخللت أحوال إعادت ترتيب ملابسها ثم بطنيتها، وتحن نهرين بعنف فوق العربية التي أشرفت على ميدان واسع مضى «وعلق» بالناس والبيوت تحتها الذكاكين. ومع ذلك، ليست هذه هي المشكلة في الوقت الحالى. المهم الآن أن أتشبّث بالعربية، وأرقب الطريق هذه المرة بحذر، حتى أغادرها بمجرد أن أجهاز النقطة الفاصلة بين تعرفي على المكان، وبين تأكدى من علاقة هذا المكان بالأماكن الأخرى.

شوارع وشوارع قطعتها العربية، كلها مضيئة ومزدحمة، حتى انتهينا إلى ميدان آخر يطل على أطلال السور القديم العالى. وترقينا لنلتقط أمرين أشارتا وهمَا واقفتان على الناصية. كانت الأولى ترتدى «ملالية لف»، والثانية جلباباً أسود طربلاً، وطلعت كلتاها ومرتا بجواري، وأنا قاعد بالقرب من الطرف المواجه للطرف الذى يجلس عليه الولد.

عاودنا سيرنا عابرين الشارع الذى يصل حتى أطلال السور القديم. كانت ثمة فتحة تخترق السور، وتشكل امتداداً للشارع. وعلى اليمين واليسار، كان السور يمتد هناك فى الظلام غالباً بأبحجاره الصفراء الكالحة. وتقلت لنفسى، ها نحن قد غادرنا مدينة كاملة، مادام هذا السور قائماً، وربما نكون قد دخلنا مدينة أخرى. وفي كل الأحوال يجب أن يكون لهذا السور معنى ما.

ويفتت لطمئنى دوار ثقيل جعلنى أغمض عيني بسرعة، غير أننى خفت أن أفقد قدرتى على حماية الطفلة، ونحن نجلس على حافة العربية، ففتحت عينى ثانية. كانت الراحلة تتسلق ملائكة لم يلم وعجيج وطين ولطف وصبية ووجه يحيطون باحرزمة جلدية تبرز منها أطراف السكاكين والمدى، وينتعلون أحذية طويلة تصل بالقرب من الركبتين.

البعض يقود متنهلاً قطعاناً من الجمال تخب مهتزة بأسنانها، والبعض الآخر يقود قطعاناً من الفتى، والتى جبعهم منشغلون بسلخ وتنشفية الأجساد المعلنة أمامهم فى الضوء الباهر. كان النبض والسلخ والقطع والدم قائماً على قدم وساق، والناس منصرفون بكليتهم بعملون جاهدين نشطين وبيلون على قدر من الحماس والحرارة.

وما إن تجاوزناهم حتى تنفست الصعداء، وتراجعت قليلاً بظهرى أشم الهواء فى الشوارع الخالية وتحن نمبر مزلقاناً للقطارات، لتستوى العربية ويستقيم سيرها متخلاصة من الاهتزازات

واللطبات المفاجئة.

في حارة مسقفة قهلت العربة، وعلى الجانبيين كان «الصناعية»، تاعدين أمام أبواب الذي كين يصنعن من قماش الخيام أعلاماً ورایات وصوراً فرعونية وزخارف موشاة بالقصب الملون، تحت أضواء المصايبع الملقة بجوار الالاتيات الباهنة.

والتفت إلى المرأةين من خلفي، فوجدهما، وقد مالت كل منها برأسها، واستغرقتا في حديث شاركت فيه الأيدي والنصف العلوى من الجسم. غير أننى كنت مع ذلك حذراً: أقرب الطريق بانتباه، بعد أن لمحت في لللة ملابس البنت ولفائفها، ونinctت من وضعها على حجرى بطريقة مرحة، حتى أنها استسلمت للنوم، متخلية عن تلك العبرة الخفيفة التي كانت معقودة على جهتها.

حين شاهدت البوابة الضخمة المقترحة، عرفت أنا وصلنا إلى «باب زويلة». استرحت ودخلتني الثقة والطمأنينة، بعد أن توقف الولد بعربيته بجوار سور جامع الصالح طلائع. وفي الفناء الحجرى قدام الجامع، وغير السور، كان ثمة كشك خشبى صغير مدهون باللون الأسود، وأمامه لافتة معلقة بين عمودين مكتوب عليها: الحزب الوطنى الديمقراتى.

وومض فى ذهنى سريعاً ان باب زويلة هذا يفضى إلى «الفورية» أليس كذلك؟. ومن هناك يمكننى أن اكتشف الطريق إلى شارع الخليج. ومادمت قد تبييت بباب زويلة وجامع الصالح طلائع وسور جامع المؤيد القريب» فلاشك أن اكتشاف الطريق إلى شارع الخليج بالقرب من سجن الاستئناف، نعم، ومديرية الأمن ومحكمة مصر، كلها أمور سهلة وقريبة المنال، هل ألمح إذن في الوصول إلى مكان أعرفه؟ وهل استطيع أن أجبر أنا والبنت؟..

المرأتان جاوزتا نانى، وقفزتا إلى الشارع، ثم توتفقا أمامى تتبعثنان. راحت الأولى تعدل ملابسها، فيان تميص نومها الأخضر الداكن قصيراً، وجسمها النحيل الملحوظ. أما الثانية، فقد استقامت بجسمها الثقيل الراسخ، وأرسلت لي نظرة طويلة، قبل أن تفاجئنى قائلة.

«إسند العيل بيديك.. ضع يدك تحت ظهره...».

ثم استدارتا، وعبرتا الميدان الصغير نحو باب زويلة. كانت المرأة الصغيرة تعرج عرجاً خفيناً، وهى تستند على المرأة الأخرى. بحثت فى جيوبى منتطلعاً إلى الولد الصغير، سائق العربة، بوجهه الاسر الباسم. جيوب السترة والسروال والقميص، رحت أجوس فىهم فأجد أوراقاً وعلبة سجائير وكبربوتاً ومنديلأً.. لكن الولد هو اللجام بين يديه وانطلق بالعربة، وهو يلوح مبعداً..

## أطعمه من طعامى

وجيه عبد الهادى

أسيير ١٠٠ ماكلت قدمائى عن السمع فى الطريق.

يسير فوق ظلى.. دائمًا يسير فوق ظلى.

شمس أصيلنا لموب، يغرقها الخجل عندما ترى الزنجبي الاسود قادماً بسدائله الكثيفة.

قال ابنى:

- زاد اللين بضرع البقرة. يجب أن تعود بها إلى الدار.

لابد أن الأولاد جميعاً يتذمرون.

ما استطعت أن أجيب صوتي مازال ناعماً ١٠٠ وشجر السرو الطويل غاب عنه الظل.

وبدت الأرض الشاسعة حول الساقية- بحراً دامساً.

فقط تذكرت فريد كلبي الطيب.

يحلو أبداً مصاحبته. يرخي أذنيه. يهز ذيله. يبدل صوته العالى إلى شيءٍ رقيق غير أنباح.

يجرى مداعباً قدمائى. أندى يدى عالياً.

يقفز أملأاً أن يطولها. أرىت على ظهره. ينبع على أحد جانبيه يفتح فمه كمن يبتسم. دائمًا

حولي.

فى البيت أطعمه من طعامى. فى ألغىط من غذائى أعطيه. دائمًا حولي. يمشى. يقتضا.

سحبت البقرة. يمشى حقول القطن. ويسارى المروى. جسر المروى ضيق، لكنه الطريق الوحيد

بين القرية والساقي

۱۰۷

قناديل فوانيس، نتفا ببعضها بدت في قلب الليل ألاسرد.

ألوصول إلها حلمني. أبظنني منه صوت كالرعد صدر عن فريد. كان خليطا من الموارد والباح.

التفت. تبدل شعر رأس بشك ١٠٠

إحتوانى مايشبه أللهم. النباح. العواء. صوتى المتحشرج. الظلام. سيقان الشجر.

جذوعها. الاشباح. حلقي ألجاف. ذهني المترقد.. خوار البقرة

أصوات كالهدير. نتفقطن أليضاً، بحر من الرميم يزحف مع الاصوات التي تبشرنى بالخلاص.

- فرید.. فرید..

الرأس مرفوع في شموخ وبيقظة. على بعد خطوة واحدة منه، كان الذنب ممدداً وقد أتى نبوت أبي على بقية الحياة فيه.

بـدا جـم فـرد يـنتفـض. يـنـتفـض. يـدـاـي تـقـرـبـانـه مـن قـلـبـي بـقـوـةـ...

الرأس يهتز دون نظام. الاسنان تنزف. اللسان يتذلّى. يرتعج الجسم بشدة ويسكن. لكن البقرة وصلت إلى الدار.

سأر أنا.. ماكلت قد مای عن السعی فی الطريق.

يسير فوق ظلى. دائما يسير فوق ظلى.

١٠٠ مات فرید

١٠٠ - أضيطة كثيرا يحاول أن يتوس راس ظلي

أسم المخطوطة

رسالة الخطيب

١٥٦

٦

أنا أنس الله مصطفى و سبـ الـ أـنـسـ

کارگاه فیدر ایجاد و قلمه (پرس فرقه ظاهر) استثنی جزو عندهما از است. علی ظاهر (سیر

فقط (١) أسلوب تناوله يختلف عن غيره.

وتفنن حاتم سعد ظلماً في انتقام

لهم انت أنت الباقي ما بقي  
أنت أنت الباقي ما بقي

## يا مجمع العشاق

ابراهيم فهمي

.. يوم وراء يوم، سنة وراء سنة، كل الأيام واحدة، وكل السنين، يكتبني موظف التعداد رقماً واحداً بالدفاتر، ولا يكتب أسماء «صحابة» فارقونى دون خبر، ونساء الحارة والجيرة، لا يكلموننى، لأنى ملأت فمى، ورميت على الرجل المرسوم على الورقة المالية من فتاته، ولأنى لأنقش اعلامه شارة على باب حجرتى، ولا اتباهى به كما يتباهى صغار العهد باعلامه على الدراجات، ولأنى لأنص على كمى شارة الكفتين الموشومتين باعلامه.. ولأنى....  
.. يكتبنى موظف التعداد رقماً واحداً بالدفاتر، وانا املأ حجرتى بالمرابيا، كى أرى ظلى فيؤانسى، فانا اثنان، ثلاثة، أربعة، والقلب واحد، أكلم نفسي، أرقص لنفسى، واغنى، (ولأحد يرقص وحده، الا الطير الذبيح ياقمر)، أنا اثنان، ثلاثة أربعة، يدى فى يدى، كتفى على كتفي، يامجمع العشاق فى ليلة عيد، يامجمع الصحابة فى رقصة «أراقيد»، ساعة وراء ساعة، سنة وراء سنة، كل الساعات واحدة، وكل السنين.

\*

\*

\*

«يا سر الليل، أنت ولدى الواحد مثل حبة قمر  
حبة قمر فى صدر تخلة، يائز العين وحيد الرجال  
تطعم الأنذال فيه، وحدك فى الدنيا من بعدى  
كيف المجرى عن الفيض، فكفت أمك عن الولادة

كتخلة كفت عن الطرح فى عزها، وبطن أمك لا ينته  
فيه قرش، ولاروح أثني، ولاروح ذكر، والناس وحش  
كواصر، قرشك أبىك، قرشكك أمك، قرشكك آخرك  
فى الغربة، آخرك فى السفر»

.. تطير الطيور عند منزل الشمس فتحججها، تجروح الحواصل، فتنسى الطيور المواطن، والجرح  
كافر «ياق默» لما تشبع البطن، يشبّع القلب، تجروح البطن، فيجروح القلب، ولا يحب الأوطان، أمدا  
«ياق默» قلب جائع، ولا يعرف العشق جائع، وعلى كل قرش «ياق默» سيد غريب، ملك اذا دخل  
الأغراض أسيادا على بلد جوعى، أفسدوها، وجعلوا أغزة الأهل، مهانة، .. بكم تشتري اباك  
ياولد؟ ... لا يبحر النيل ولو اتسع، ولا بالراكب، ولو حملت من بلاد الأجياد عطرًا، من يحبك  
ياولد يشتريك، ولا يكسر الرجال إلا الجرع والحرم، من يحبك ياولد يشتريك، ولا في بلاد الكفر  
واحدة مؤمنة...  
«ياق默، لما تدخل ببوابات البلاد أدخلها من قلوب النساء»، وعاشرة واحدة كأنها الدنيا

كأنها الناس، بالعشق أمدا لا تكون وحدك  
وعاشرة واحدة تعطيك فى كل بطن رجل  
ياولد، وحيد الرجال، يطبع الأنفال فيه»

.. هالوقت أجلس على المقاهى، كطارئ كسرت الريح جناحه، تلاعنى النساء، فاحسب أن لون  
الجوارب من لون سيقانهن، واحسب أن «الروج» على الشفافة من ورد «المجنانين»، لا يجتمعن به  
جماعة، الا حينما يتفردن بهى بين كراسى العربات فى عز الصيف، كان حمهمن البارد، ظل الدمعيرة،  
والبنات ينظرن لى بعيدة، وعين على العربات، وعين على الرجل المصور على الورقة من ثناها،  
أحب أن أجعهن حولى، كطير حطت على كفى من كل لون، فاعطيهن العشق كلاما على  
قصاصات من ورق، وهذايا، والعرق دم، فيمسحون به العرق، لما يتضيب من على وجههن، أكتب  
على المصور بعيتى مقاطع من قصص لم يكتبه أحد قبلى ولا بعدي، لما يخطف اللصوص من  
ثناهه قلمى، واحفظ وجههن حتى المساء، فارسمها على الحوائط، وعلى الوسادة، وعلى زجاج  
النوافذ، وعلى المعاير، والورق، كأنى اثنان، ثلاثة، أربعة، فتحن جماعة، لكن موظف التعداد،  
يطرق على الباب، بعد سنة، وراء سنة، يكتبني وحدى رقمًا بالدفاتر، وكل يوم فى صباحه،  
أصرخ، أسؤال الناس، من أى طريق، يبدأ الطريق، تتشابك على الشوارع، والناس من حرلى  
شاردون فى عيونة. فى ثناهه، هلا أحبتنى الساعة واحدة يابنات، والمملعون من ثنة الملعون، من  
بلد الملعون، يزاحمنى، يلوح للبنات يتبعته، وأنا أتعاهد على الحب فى الصباح، فتيعاقد معهن  
على الأسرة فى المساء، ولا في بلاد الكفر واحدة مؤمنة... .

أفرح ياولد مثل الطير العائد، ترى  
العشق يطير بالمحاصل الصغيرة  
 فوق السحاب، أفرح ياولد  
«والثانية»، أمان على القريب،  
أمان على المهاجر، افتح بلادك  
بربابة، واعط العهدود سلاماً،  
ولاتقتلها على العابرين، اسمع ياولد،  
لا يقتل بوايات السماء على الطير الا  
الشياطين....

(وقتها، كان يخرج رجال الصيد، ويضربون على الطير المهاجر جماعة، طلقة «على الفاضي»،  
بعدها يفترق الضعيف، ويجتمع عن السرب الجميل في طiranه البعيد، تقول لي: «لاتشي وحدك،  
ياولد كيتيم القنم، ولاطэр وحدك، فصيبدونك من أول طلقة».

.. الساعة، أمشي وحدى، كما العاشقين في البوادي، وحدى كما الأنبياء، والناس الجماعة،  
فرقتهم ورقة من قشة الملعون، والناس الروحاء لا تجمعهم معجزة. لا واحدة لبست لي «البرجار»،  
ولا واحدة رقصت بهيام، ولا واحدة ترمى لي وردة، ولاقطعة حلوي، الا للرجل الضحوك على ورقة  
من فنانة، وغمزة واحدة بائرين منه تكفى، فيخلعن له الفساتين والجوارب، وقصاصان النوم،  
وشنادات الصدر، يليس قبعته، ويتكلمن لغاته، ويقدم له الرجال نساجهم عاريات فيمحنجهن  
البركة، وينعهن في كل قبلة رغيف، يرفعون اعلامه على شواشى التخل، ويرسمونه على  
الشوارع، زينة، يكتبون اسمه الأجنبي، والحرروف ذهب، ووحدى أمشي، لا صرته على كفى،  
ولاقبعته على رأسى، ولا أزین دراجتى باعلامه، وحدى، أخلع الاعلام من دراجات الصغار،  
فيوقننى عسكري الكمين، المزينة أكتافه بشاراته، وحدى أمشي فى ليالي الأعياد، أقتنى أن  
تفتح لي أم حضنها، فاقتز فيه ساعتها يشتبه في عسكري الكمين، ويسألنى:  
- اسمك....؟

-اسک...

1000-

- عنوانك؟

.....

..و يترجمونه بـألف لغة، يحبون أن ينسبوا نسبـيـاً اليـهـ، و دمـيـاً اليـهـ،

.....؟.....، .....عمرك؟..... ووجهى صغير كصغار المراعى، لما تشرة عن القطيع، يعلموننى الحب على يديه، والعشق على يديه، وحدي، لكم دينكم، ولى دين، مالعبد، الا واحدة، تمشط لى شعرها كالجبلية نفترتارى، وتغزم لى العملاط من متاع الأمرا، تضمهما فى ضفائر شعرها بلا حساب... هلا أحبتني، الساعة واحدة بياتن..... هل؟.....؟



... ارسم على الحوائط وجه «إنباب»، «أبي» ولم يكن وجهه، ووجه أمي، ولم يكن وجهها، وجه «زينب على».. ولم يكن، وسكنية محمود، ولم يكن، وبحرية بحر، وهانم محمود، وصالحين عثمان ولم يكن، نور الدين محمود، ولم يكنوا...، أكلمهم طوال الليل، فلابكلموني، وحدى تطاردنى وجوه الذين طردونى من الشارع، بين آخر الليل وأوله، يطرون على الابواب، ويحطمون الكوالين دون دستور، يعلقون شارات من فتنته على صدورهم، يقلبون الكتب رأسا على عقب، يزقون من على الجدران، صور «الخياب»، والبلاخر، و«البروش».

- اسمك...؟

- طريقك...؟

.. ويرطون لى بالف لغة من لغاته، ووحدى، ولا أحد الساعة يفهم «لغاي»، والأهل المارسون على مصاعد العمارات، والبيوت، متغلقون عنى، يضعون عصانيمهم على آذانهم حتى لا يسمعونى، وعلى عيونهم حتى لا يروننى، أقول السلام، ولارده أحد على...، «وقدر الدين» وتاج الدين لأبد، ولارده أحد على، تخبوون عيونكم منى، أم من العاهرات، لما يصعدن درجات السلام مع المصطافين فى ليالى الصيف، أم من الزوجات المصطحبات رفاقهن فى غيبة الأزواج المسافرين، وفي آخر الليل، تفتحون عيونكم، وأذانكم على بنات الليل الهايبات بالعملات من فتاته، وتقاسو نهن بالنصف، ولا فى يدي ورقة واحدة من فئة الملاعون، أعطيها لكم، تفتحون لى حجرات المراسة فى البدرومات، فابيت ليلة، أخاف أن يطلق على صيادو الطيور النار، فيرمونى، وبيسمونى لبحارة السفن بجروجى، وهالزمان «ياهوى» زمان النخاسة، لكتنى أمشى الساعة، شوارعكم علانية، أقول للناس...، «لكم دينكم، ولى دين، ولا أنا عايد ماعبدتم، يوم وراء يوم، سنة وراء سنة، (وحدة) كل الأيام واحدة، وكل السنين..»

-«تمر»، ما شاء الله، هوى،  
 تمر محظوظ، «هوى»، شايف  
 ياولد، تطير الطيور جماعة، للعب  
 مواسم، فتعجب عين الشمس، جماعة،  
 جماعة، تطير الطيور، تضرب الفضاء  
 بمناحيها، كأنه يصر، وكأن الطيور  
 مراكب، بارك الله في نفس الجماعة،  
 ياولد، بارك الله في المراكب، واليوم عيد...

.. الساعة، تطير الطيور...، «وحايده»، مثل، فتظل معلقة مابين الأرض، وبين  
 السما، فلاترى لها مهبطا، والارض نار وشوك، تطير الطيور ولا للهجرة مواسم، ولا للصيف  
 مواطن، ولالشتاء، تطير الطيور، «وحايده»، مثل، ووحدي الساعة ياهوى، وعسكري  
 الميدان يلتحفط العملات من الطريق، ولا يتركتني أمر من أسامه، ولا يوقف لي العربات، الا اذا  
 أعطيته عملة من فئاته، ولا معنى، فيشد الورقة من فئة الملعون على يده كحد السكين على  
 رقبتي، وحدي وكل الأيام واحدة، وكل السنين..

.. يكتبني موظف التعداد رقم واحدا في الدفاتر ولا يكتب أسماء «رفاقه» رحلوا دون أن  
 يخبروني، ونساء الحارة والجيرة لا يأكلونوني، لأنني لا أعلم اعلامهم على باب حجرتي، بابها،  
 كنتم تعرفونه يارفاق، كأنه ببابات معبد قديم، معلق على صدره تمثال صغير، وشير(١) من  
 الخوش.. تسر الوانه الناظرين، ومراود ومسكاحل، وسيف وسكن، وعين سكمة، تهدونني  
 بالساعات، فتصير سنوات، أشتري لكم خيراً وزيناً وجيناً، وأوقد لكم ناراً، وأضع لكم التمر مع  
 الششار، والا بريق، فيضرب هواء الشتاء الباب، فأقوم لكم معطرًا لابساً الجديـد، وجلبـاب وطاقيـة  
 شبـكة، ولا أحد منكم رفيقاً، طوال الليل، اسمع هاتـنا يهتفـ لي «يا قـمر»، ياـبراهـيم، صدقـتـ  
 الرؤـيا، صدقـوني يارـفـاق لـأـنـأـخـذـ منـ اللـيلـ الـلـاـسـاعـةـ، وـمـنـ النـهـارـ ساعـةـ، تـرـتـبـ الأـنسـابـ، وـالـبـطـرونـ،  
 وـالـشـعـابـ، فـيـ سـلـسـلـ وـاحـدـ، وـجـمـعـ وـاحـدـ، وـنـسـبـ وـاحـدـ، ... أنا منـ «الـثـورـةـ» «الـكـنـزـ» عنـ نفسـيـ،  
 فـيـحـثـواـ لـنـاـ مـنـ عـهـدـ آـدـمـ، عـنـ أـبـ كـبـيرـ، يـجـمعـ العـيـرـ، وـيـنـفـخـ فـيـ النـفـرـ، فـمـاـ هـيـ الـأـصـيـحةـ وـاحـدـةـ،  
 وـالـجـمـعـ وـاحـدـ، وـالـأـبـ وـاحـدـ، وـالـأـمـ لـوـدـاسـهـاـ الـغـرـيبـ وـاحـدـةـ، صـدـقـونيـ يـارـفـاقـ، لـأـنـأـخـذـ منـ اللـيلـ الـلـاـسـاعـةـ،  
 تـرـتـبـ الأـنسـابـ، فـتـرـقـهـ، المـلـعـونـ مـنـ فـتـةـ الـمـلـعـونـ، مـنـ بـلـدـ الـمـلـعـونـ، فـتـكـونـ الأـيـامـ عـشـتاـ  
 وـالـسـنـينـ مـحـبـةـ، يـوـمـ وـرـاءـ يـوـمـ، سـنـةـ وـرـاءـ سـنـةـ، كلـ الأـيـامـ وـاحـدـةـ وـكـلـ السـنـينـ، وـمـاـ صـدـقـونيـ ..

«يـالـقـمـرـ»، أـدـخـلـ لـلـوـبـ الـبـلـادـ مـنـ الـلـوـبـ  
 النـسـاءـ، وـعـاـفـةـ وـاحـدـةـ تـكـنـىـ،

والعشق يا ولدى، لا يأتى الا فى الماعيد،  
يفيض البحر فى الماعيد، وعینك على  
السماء، تثير أبراجك بولد غرام جديد،  
لعلها فى بلاد الكفر، واحدة مؤمنة...»

..الأرض غريبة، والطير من دم واحد، يعرف أخاه فى الدم، وفي السفر، والمسا، واسعة  
للفناء، ضيقة على العشق، ولا تعرف أى نفس بأى أرض تعشق، تحط الطير على أشكالها،  
فهلا حطت على يدي واحدة، كأنها ياما، افتح لها فمى، فتشرب من ريقى، والبنابع كلها وباء،  
(يفيض البحر، لكن لا تعرف يا ولد كيف...) .. ويطرح النخل، ولا تعرف يا ولد كيف؟ .. وتعشق  
العين، ولا تعرف يا ولد كيف...؟ ..  
«أبو دومة». يا أخي فى الله، وفي الطريق، تسمعها لما يدق كاعبها الأرض، فترجم بعداً من  
العشق فى ساعة صوفية، اضرب تدميك فى الأرض، وهز الخصر، ارقص، فكأن البنات أوطن،  
وكان العشق وطن...!  
..يا أخي فى الله، لا تعرف نفس بأى ارض تعشق، وهلا نادتني يا أخي، حبيبة من بعيد،  
فامرتها، الا ترفع فستانها، فالارض من تحتها، لا هى ماء، ولا هى زجاج أقول: «فاعتدلى مهرة  
تسعى الى خيال، أين منك، أين، حضرة عشق، فاقول هيا نتمثل، وأقول: في بلاد الكفر واحدة  
مؤمنة، لاتعلق على صدرها شاراته، ولا تتشنى في شوارعه، ولا سجد في صلواته، وكان الأوطان  
عشق، وكان العشق وطن...!

«يا لعر، أدخل قلوب البلاد  
من قلوب النساء، وعاشرة  
واحدة تكفى، والعشق لا يأتى  
 الا فى الماعيد»....

..يا أخي فى الله، يغرنى الرجل من فناته بالهدايا، لافى يدى جيبة، يغرونها بآياته، كى  
يأخذها فى ذراعه من ذراعى، فيراقصها رقصة الميلاد، ويعطينى مفاتيح المدينة، كى ارسم  
شاراته على بيته واحبه كما يحبونه، كى يكلمنى الناس، ولا يرمى الصفار بأحجاره،  
وساومونى عليها، «بنت جميله»، يرمونها له فى النهر، كى يفيض له المجرى المعاند، يا أخي  
لافى يدى حبيبى يساومونها على أنا الحبيب، فتقول:.. حبيبى فى عيونى بالدنيا لا أبيعة، يوم  
وراء يوم، سنة وراء سنة، كل الأيام واحدة، وكل السنين غرام..

..يا أخي في الله، يا أخي في الطريق... كيف يكون الفتح، والسيف في زندك، عين على نحرى، عين على متاعى، ونسايا سبايا بعد مقتلى، كيف الفتح يابن الطريق، وكل نفس في الحياة بقىش، ما الفتح يا أخي إلا فتح قلب يتيم بالمردة، والاحياء على الأرض موتي، والموت في التبرير حياة، وهالزمان نساؤه، قلوب من طلاسم، فتفتح لك بخففة قصع، أو بورقة من فتات الملائين، خبرتني يابن بلاد المردة... العشق وبين أوطانة؟... وبين...؟

«لبيك، اللهم، لبيك،  
إن الحمد، والنعمـة، والمـلك للـه،  
وـحدـك، لـبيـك، لا شـريك لـكـ، لـبيـك»

..يا أخي الطريق، بالآخر العيد، كل سنة والطيبون كرام، فاضرب يدك في سيالك، واعطنى...  
قرشاً، لاهر من فتاته، ولا من فتاتهم، ولاغلبه سيد غريب، يا أخي دخل الأسياد غnaire، فاعزز  
من فتاتهم، يا أخي العيد، رقبتى في يمينك فانحر، مبارك من ليس وكبير، ضربوا الازلام على  
اسمى، وضربوا الأنداخ، تدحـاً في قـدحـ، فـرـقـعـ النـصـابـ عـلـىـ، دـمـيـ فـداءـ النـاسـ «كـلـهـمـوـ»، وـدـمـىـ  
عـتـقـ النـاسـ «كـلـهـمـوـ» لما رهـنـوا رـقـابـهـمـ فـيـ يـدـ، وـذـهـبـ الزـوـجـاتـ ثـمـ وـرـقـةـ منـ فـتـاتـهـ، وـنـهـرـهـ  
الـزـوـجـاتـ وـفـاـ، لـدـيـنـ مـنـ فـتـاتـهـ، وـالـدـمـةـ بـرـاءـ، بـأـىـ قـعـرـ أـهـتـدـىـ، وـالـنـاسـ بـدـلـواـ عـلـىـ دـيـدـنـهـ التـوارـيخـ  
هـجـنـهـاـ، وـقـبـطـيـهـاـ، وـأـنـظـرـواـ هـدـيـةـ الـمـيـلـادـ، وـشـجـرـةـ الـمـيـلـادـ.

....يا أخي العيد، رقبتى في يمينك فانحر، مبارك من ليس وكبير، دمى عتق رقبة من الأسر،  
وعتق السبايا بالحرائر، يوم وراء يوم، سنة وراء سنة، أنت طيب، والطيبون كرام...!»

«يا ولد، يـعـرـفـ الصـيـادـ، الطـيـرـ الـضـعـيفـ مـنـ جـنـاحـهـ،  
.. تـرـاهـ فـيـ آخـرـ السـرـبـ، كـانـهـ هـمـةـ وـالـلـهـ  
لـىـ لـلـبـ السـمـاءـ الـظـلـامـ، يـضـربـ عـلـيـهـ الرـجـالـ  
لـيـسـطـ لـىـ دـمـهـ، وـلـاـ يـرـقـ السـرـبـ مـنـ  
الـطـيـرـانـ الـجـمـيلـ، كـىـ يـحـلـ فـوقـ أـجـنـحـهـ  
موـتـاـءـ...»

«يا أنبياء»، يا أبا الناس، يامجمع الاحبة في ليلة غرام، الساعة، أقف في الميادين (وحدي)،  
أبدأ مدخل بطني عشاء الليل، ولا فجرية الصباح، فيعرفني الناس من فتاته، لما أصرخ بالهتاف،

ولعن اللون الغريب والدم الغريب من أسلافه، أقف في وسط الشارع كطائرة سقط من السرب المهاجر، والسبع الطياب،.. والأرض غريبة لاتربيع الجناح الكسيس، فمريميني رجاله بالحجارة،.. وتسلل عيرنى دموعاً، لا هو بكا، العشق ولا هو بكا، نبى، كان للريحيل بكا، وللحزن بكا،.. والفرح بكا،.. ما رفت العين الا على زمن من زمانه... هلا يابنات لي حبيبة، أقول لها:.. هيا ياببيبتي نظير حول منزل الشمس بجناح، فتدخله أمتنا من أرض، أخذت في العيون... يرشوتني بالأصابع، كى يعرفوني من بين الطيور، ولما أطير يطلقون النار على، هلا يابنات لي حبيبة تأخذنى بين كفبها، تفتح فمى كأم،.. تزيد أن تضعنى فى ذورق كالرضيع النبى، لكن الماء آسن، والريح خادعة، فتجرى بين الصنا والمروءة، ولا طريق بين الأزهر والحسين، ولا مهتدى...، بين مراكب الشمس، وطريق الكباش، ولا دليل...، وأنا على كتفها أخر، فيسمعن صراخى، ويساومونها على بجرعة ما، أو بورقة من ثفات الملاعين، فتقول:.. حبيبى فى عيونى، بالدنيا لا أبعدك، وأقول:.. فى بلاد الكفر واحدة مؤمنة...،

«يابنت، ياعوداً من قصبا، وقرضاً من  
عسل، كتبوا التواريف على القروش  
من جهة، ورسموك على جهة،  
سيدة لنا، لعبنا ملكاً وكتابة  
ورسمناك حبيبة من حمنا، طلبنا  
والعيدية» فى العيد، وعهدك الساعة  
من عيذنا، كتبوا العواريف على جهة،  
ورسموك على جهة سيدة لنا...،

.. هلا أحبتنى الساعة واحدة يابنات...، أضرب لها على الهاتف رقمًا فى صدرى، فتهتز أسلاك البرق فى كل المقطورط، وتكون الساعة، ساعة صلاة، يتكللها المشاق، أقول: «تكلمي، أهلا، وسهلا، مرحبا، فكان الكلام زغاريـد، سجل عندك فى القلب موعدى، فاكتبه على يدي،.. وعلى مسودات الورق، سجل فى القلب موعدى، ولا تلتبس عليك ياقبر المواعيد...، أغلق ورقة على ظهر الباب أمام عينى، أصحو لها قبل النجمات...، موعد العشاق يوم صلاة، أعلمها العشق، وأول الشهداء عاشق...، واتركوا لنا طريق من يابنات، وبایعوـنا...،

.. هلا أحبتنى الساعة واحدة يابنات...، أضرب لها على الهاتف، واطلبها فى الحال، لما يطول على النهار، كأنه عام بآلف..، وحدى كأنى يتعيم الطير فى مواسم التزاوج، والجرع فى قلبى، والبطن خوا،.. والقصع المنثور على وجه الأرض لنا طعم فى فخاخ، فنظير، والسماء بالارض، أنفس من زنازين أوصى الملعون أبوابها، واسترى على العرش، واستراح..،

.. هلا أحببتي الساعة واحدة يابنات، أغنى لها:  
ـ طلع البدر على.. من ثنيات البلاد.  
.. كأني أعملها على يدي، انش حمام.. للحاصم هديل، للعشاق غنا، للفرحة جناح  
ـ طلع البدر على من ثنيات البلاد، فتطير.. نظير تقلبين. جناحين، لكن الغضا، بالارض  
بالسماء ملك لديه، فتصيدنا أسلاك البرق، وأسلاك الحالات صواعق من نار، ومصايد للطير،  
كأني أعملها على جناحي، فتسقط من جناحي، ولا أعرف من أى جهة كرية يتذدق الدم، مني،  
منها، ولاتراب الأرض مراهم للجراح، ولاترابها يسلم..

ـ تطير الطير يا قمر، والمعجمة جناح،  
والعشق جناح، فيضرب عليها من  
لايفرد جناحه، ويطير، فيسقط  
على أرض غير أرض البلاد، ولا يقتل  
بوايات البلاد على الطير الا الشياطين،  
هاهى بلادك يا قمر، باتساع جناح يطير  
كعطف البصر، أولها، وآخرها رحابه،  
تعرف يا قمر، كيف تهدلت عليك البلاد لما  
تضيق في عينيك السماء، ويرتد جناحك،  
ولاتكون الأرض لك، ولا السماء الرحابة»

واسم البلاد، بدلوا حروفه على حرفه، وغيروا «أساميه»، من اسمه، لاعاشت أساسيه،  
ولا عاش المسئي، تقول لي يابباب : مالك ياولد ترقص كما غوازى الطريق؟.. هلا نسيت ياسيد  
العشاق، يوم كان اسم البلاد في فمك حاضرا كرد السلام، فارقص، وأغنى معك، لما كنت ترقص  
وتغنى لها، فيسمعك الحبيب، وغناء البلاد من غناه العبيب، وللعشق جناح يطير،.. الساعة  
يا أول العشاق، لأحد يهمس لي باسم البلاد، فاغنيه وحدى، والناس عجم على لسانه، وحدى ولا  
أحد يفهم «لغاي»، يامن يقول لي اسم البلاد ولو على سبيل التحية، فاعرف مذاق الخنين..

... «أبر دومه» يا أخا القصيد، تكتب بيبيا من الشعر ليسمعه الجوعى، فيفروحا أم تكتب  
بيبيا من الشعر، لتشتريه من باعة الشعر على التواصى، كل حرف بقرش، لكن كل قرش برغيف،  
من يفرح بك، وانت تغنى، جائع أم شبع، أم أدلك على مخرج، أن تغنى في الناس مؤذنا بالشعر،

وكل بيت بمياد عيد جديد، أو تنادي في الناس،.. من فيكم ملأ البطن وشبع؟.. ومن فيكم جوعان.. الشباعي يسمعونني، والجوعى يسمعوننى بعد أن يشعروا، وانت سيد المارفين، لا بدفع الصوت جائع، ولا يفرج جائع، أو هل بذلك على مخرج جديد، أن تخلي ردامك،(.. تلبس كل يوم رداء جديدا..) والناس عربايا، يسمعونك، نعم لكن عيونهم على حرف يشتعل نار، أم على ردائك الجديدا..

.. «عبد الحكيم قاسم»، يارفينا، كنت تحسب أن الناس ورائك من أول نداء، فتحفظت من الكتاب، كل آيات الجمعة، لم يستمع إليها، وفتحت أحضانك، الدين لله والوطن للناس، والحب للبلاد، طرق بعصاك كل ببرت الفقرا، بيتك، بيتك، والمساجد، مسجدا، طفت ببطوابير المجتمعات، وبالعشاق، وضعت النساء أمامك، والرجال خلفك،.. قلت... البحر من ورائك،.. هالرجل الملعون أمامك،.. لكنه ياصديق، يقسم الورقة المالية نصفين، يعطي الجوعى نصفا قبل الاقتراء، ونصفا بعده،.. ياحبيبي، أيام «الهلالى سلامة» راحت، «يامجم الاجبة فى ليلة عيد، والجوع كافر ياصديق،.. مافق البيوت حرمتها رياتها على المساجد، وخزانة الكتب فى بيتك، لا هي صوامع قصح، وشجرتك الخضرا، على باب مجلة «القاهرة» خضرا.. خضرا،.. لكن لا هي نخلة يرميها الفقرا بالحجارة، فتسقط اطيب التمر، والبلاد تراب من حريق، لاطرخ النخل ولا الصبايا.. هات يدك يارفيفيك، الساعة، جسدى عكاز فى يدك، لما يحاصرك الصفار فى الشوارع والموارى، يرفرفون لك بأعلام الملعون من فناه، فيكيدون لك، ووهدك، يوم وراء، يوم، سنة وراء، سنة، كل الأيام واحدة، وكل السنين.... قاسم «ياحبيب، هلا جشتني تلف البلاد بلدا، بلدا، وبيتا، بيتك، وبطنا، كفى الكتابة متعمدة، والليل «سهرابة»، والصبح ضئ، تعالى.. تعالى، وساعدى عكازك، نضرب أبواب البيوت، وتنادى على الصبايا، فنى كل بيتك ياصاحى، صبية، قنديل من الزيت، وقرص من عسل، من أين جاكم، أن زهر التهود لم يمسسه أبداً غريب، صحيح يارفيفيك، تجوب المرأة أبداً، ولاتتبع، لكن الجوع كافر ياحبيب، افتح خراجلك، وأنا بالنيابة عنك أهادى بالرغيف، ياحبيبي متى دخل الأسياد بلدا، جعلوا أعزء من فيها مهانة، كيف بالله على، كيف بالله عليك، تقرأ الصبايا وراء الكوانين سطروا من العشق، والتمر غال، وأخذلت تواريخ السنين، هجرتها وقبطيها، والارض لافتت الا حنظلا وفتي الصبية غائب وراء قرش غريب، كيف بالله على كيف بالله عليك، والصحيفة التي عليها اسمى واسمك، يقدمها لنا، وللمساكين يانع الفرول فى إنطار الصباح، كيف ياحبيب الناس، والصبايا، والمساكين، وحبيبي..!

.. الولد «قمر» بألف قمر، وقمر البنات الرواقص،.. هل رأيتموه ياصحاب، هو الساعة فى شرق المدنية، هو فى غرب البلاد، هو الساعة مسافر، هو الساعة حاضر، الولد «قمر»، قمر بالف قمر،

وزينة ليالي الحصاد، هل رأيتموه يا صاحب..؟  
 .. حجرة واريعة جدران لا تكفي والعنكبوت يفترس الذباب «وحاید»، لما يحسب خيرطه  
 أراجيع، فيسقط في الشباك، وحدي والليل يرطن بلغاته ولا يفهمني، والمدينة بيوت للعناكب،  
 ومصايد للطيور الأليفة..، هلا أحبتني الساعة واحدة يابات، أقول لها:  
 .. النور يا حبيبتي خادع، فلا تربه، ولا تفرحي، فبحترق منك جناح..!

.. بالمر، تهنج الطيور للسمين،  
 فهو هنر عرش السماء، بهلاك عشق  
 جديد، كلما رد جناح، يفيف  
 البحر، ويرجع الغريب

.. نظيرى يا حبيبتي، واتبعينى، طيرى على مين المدينة، وطيرى مين الضواحي، وعلى مين  
 البحر، نلا يفيف المجرى من جديد، .. ولا أهتزت السماء بالمواعيد، .. طيرى، لالفرحه جناح،  
 ولا للعشق جناح، ولا السماء رحابة، ولا القضا، شراع مركب نبسطه ونطويه، ولا الشمس تعرف  
 لها مستقر، فنجرى عليها، جناحين بالحبة، طازرين، .. من أوصد السماء علينا زنزانة، وارسل  
 الشمس وراها كتلة من جحيم! .. من نصب لنا الفخاخ فى الأرض، وفي البحر، فوق اسطح  
 البيوت، كانت السماء رحابة نبسطها كشال بنت كنزة قطينة، لجمعاها ونبسطها، ونظرتها، .. كنا  
 نظير، ولا القمر يبعد، فنزرر موطنه، نعرف أول التقويم، نسرى، ونعرج السموات السبع الطلاق،  
 يوم دوا، يوم، سنة دوا، سنة، كل الأيام واحدة، وكل السنين....!



## حالة

محمد جبريل

أشار الطبيب الى الكرسي المقابل لمكتبه، فجلس. نسى المخرج الذى كان يعانيه وهو يفكر فى زيارة الطبيب، وهو يتخلذ قراره، وهو يجلس فى الصالة الواسعة، يتأمل الاسقف العالية والمدaran والشرفة ذات السور الحديدى، انشغل بالتطلع منها طفلاً، تابعهما أعين أبوين يتظاران دورهما، بينما تناهى بقية المرضى فى الصالة، وفى ثلاث غرف متصلة بها..  
مال الطبيب يتضمن التقارير والاشعة، فتاكدت - فى ضوء المصباح - حمرة وجهه، وابتسامة لاتشى يقلن أو اطمئنان..

حينقرأ فى الجريدة بقدوم الطبيب الأجنبى، قرر أن يكون أسبق الجميع لزيارتة. طال تردده على عيادات الأطباء، وعمله بوصفات الشيخ لجاتى، خادم مسجد على تراز، حتى الرقى والتعاريف التى تهمس بها زوجته - عند دخوله حجرة النوم - بدت سخيفة، وبلامعنى...  
دلل يائى صحف فى ميدان محطة الرمل على العمارة المواجهة للعينا ، الشرقية. قال: لن تجد

اسم الأجنبى عليها.. فهو

ضيف على صاحبها...

قال الطبيب:

- لم كثثر التقارير إن كانت الحالة خلقية أم طارئة؟..

غالباً انفعالية:

- إنلى زوجة وابنا ..

- فمتنى بدأت الحالة؟..

- لا أذكر بالتحديد.. بل إنها تناجىنى - أحياناً - بغيابها، ثم تعود مرة أخرى..

أضاف لدهشة الطبيب:

- إنها تفقيب في أوقات الفرحة.. ثم تقتلني في أوقات الحزن... .

قال الطبيب مداعياً :

- دواوينك الفرحة إذن؟! ..

استطرد متسائلاً:

- هل الحالة وراثية؟.. أعني هل أصيب بها أحد أقاربك؟..

مع أن اخواته كتموا ما يعانون في نفوسهم، فان مجالس الزوجات فضحت ماتصوروه مستوراً. عرف أن الحالة القاسية أصابت اخواته في الأوقات نفسها التي أصابته. تحدثوا في الأمور العامة والخاصة، اتفقوا واختلفوا، وتبادلوا رواية متاعب العمل والأولاد والأمراض.. ولكن الحالة التي تأكد لها روثه زوجته، عن زوجات اخواته، أنها تسللت إلى الأجسام التي كانت تبااهي بفتورتها، ظلت سراً يختزنه الجميع، يكتومون الصدور عليه، فلا يتبدلونه في مجالهم، وإن فضحته الزوجات، فلم يعد سراً..

- ربما أصابت بعض اخواتي.. ولكنها لا تمثل مرضًا دائماً..

لعل الطبيب وراء البارفان، في نهاية المجرة. فكـ دون أن يطالبه الطبيبـ أزرار قميصه، وشلّع القميص والغانية إلى أعلى صدره، و Creed على السرير الملائقي للحاططـ.. تحسّن الطبيب بالسماعة صدره وظهره، ودعاه إلى الشهيف والزفير، ونفرـ بأصبعهـ على موضع في جسمهـ..

غالب المرض وهو ينفلذ امر الطبيب بنزع بنطلونه وسرواله. تشاغل بالنظر إلى صورة معلقة، لكلاب صيد تطارد ارانيا، والطبيب يتأمل ما بين فخذيهـ..  
تناول الطبيب من المائدة المجاورة مال يتعينهـ. دنا بوجههـ من أسفل بطنهـ حتى احسـ بانفاسهـ..  
جرى الطبيب بالشرط في سرعة مذهلة، فانبثق الدم، والالم.. اطلق صرخات ذاهلة، متواالية..  
بينما الطبيب يقذف بما اقتطعهـ في السلة المجاورةـ..

## كيف قتلت جدتي؟

### قصة خارج البلاد / قصة داخلها

جميل حتمي

#### ١ - كيف قتلت جدتي؟

ليست قصة «بوليسية» مع أن للبوليسي دوراً خطيراً فيها، ومع أنها أطمع منذ زمن لكتابه قصة مشوقة من هذا النوع. ولم يست قصة «كوميدية» مع أن أحد أبطالها، أو بطلتها الرئيسية جدتي العجوز، ذات العينين الزرقاويتين، والطبيعة حد السذاجة.

جدتي ولدت في العقد الثاني من هذا القرن، ومع أنها تعتبر لو حسبنا الآن مسنة، إلا أنها كانت قياساً إلى عمرها تتمتع بصحة جيدة، بسبب بسيط وواضح جداً، هو أنها لا تفكّر كثيراً، ولقد اعتادت ذلك منذ شبابها، حيث كان جدي - أو الذي أصبح جدي - يوفر عليها هذه المهمة. وكانت من أجمل صبايا القرية، وكانت هذه هي ميزتها الوحيدة. وعندما عاد جدي (مرثوياً) حسب عادات تلك القرية، حيث لا يمكن أن ينفك وثاقها، الذي قُبِّدَ به عند مدخلها إلا عندما يقفر والده، بدريح شارة ما، ودعوة أهل القرية كتدليل على فرحة بعودته ولده «المثقف» الذي استطاع وقتها أن ينال شهادته الأولى «السرتفيكا»، ولبعض واحداً من قلة قليلة في القرية تحمل هذه الشهادة.

وكان نيل «السرتفيكا» هذه، يعني أن يعمل جدي كمدرس أولاً، وأن يتزوج بالضرورة، ولذا كان لابد من اختيار العروس، التي كان اسمها «دلة» - والدلة كما تعرفون هي مصب التهارة المرأة عند العرب، وربما يكون كاسم مأخوذأً أيضاً من الدلال - إلا أن هذا الاسم لم يعجب جدي «المثقف»، فنادها بأديل، وبندا بات اسم جدتي «أديل».

وأديلـ كما ذكرتـ لم تكن تفكـر كثـيرـاـ بل لم تكن تفكـر أبداـ كانت طـيبة جداـ وأى شـيـ يـفـرـجـهاـ تـعـرـفـ أنـ تـجـبـ أـطـفـالـاـ رـقـارـسـ إـضـافـةـ إـلـىـ هـذـهـ الـمـهـمـةـ هـوـاـيـةـ أـخـرىـ تـحـبـهاـ هـيـ جـلـيـ الأـطـبـاقـ وـالـأـوـانـيـ !! .. وـحتـىـ آنـهـ بـرـوـيـ آنـجـدـتـيـ كـانتـ تـقـومـ بـهـذـهـ الـهـوـاـيـةـ حـتـىـ بـعـدـماـ تـحـسـنـتـ أـوضـاعـ جـدـيـ، وـجـلـبـ لـهـاـ خـادـمـةـ وـرـعـاـ وـالـعـلـمـ عـنـ اللـهـ كـانـتـ عـشـيقـةـ لـهـ قـدـمـهـاـ جـدـيـ بـلـدـتـيـ السـازـجـةـ بـهـذـهـ الصـفـةـ.

وجدتني كانت تستغرب بدورها بعض ما يفعله أحفادها - حتى أن واحداً منهم فر من بيته والده ليعيش وحيداً، كما أن أخرى تزوجت رجلاً من غير دينها... أما الأمر الشير للاستغراب عندها أكثر، فكان أن حفيدة لها إقتنيد إلى السجن. ولم تستطع جدتي حينها أن تفهم كيف يحصل هلياً؟.. فهو لم يسرق، ولم يقتل أحداً، ولم... مع ذلك سجن وعندما سألت لماذا؟.. قالوا لها من أجل السياسة.. هذه الجريمة التي لم تفهم معناها أبداً..

كيف يسجن حفيدها لأجل السياسة لم تفهم، وعندما خطر ببالها أنها اشتاقت له جداً، طلبت من والدها - ولدها - أن تراه، فقال لها: لانستطيع، غير مسموح. قالها بحزن.  
وأيضاً لم تفهم جدتي غير المسموح هذا.. تري أن ترى حفيدها وكفى. هذا ما تفهمه ولذا عتقدت أن الوالد يضحك عليها. ولا يريد أخذها معه، خاصة أنه أيضاً لم يعد يزورها كفاية، أو يحمل لها الفواكه كعادته. ولذلك أيضاً بدأت جدتي تهمل هواياتها حزينة، فلم تعد تحب ممارسة جل الأطيان كثيراً. كذلك لم يعد يهمها إضافة أزيار جديدة إلى مجموعتها. كانت تأخذ كرسى القش الصغير وتجلس فى زاوية مشمسة بعض الشئ، وتسند رأسها إلى يديها، وتبدأ بهز جسدها برتابة، وعلى نعم مشابه تطلقه كالاثنين من قمها، وعندما يسألها أحد ما: مابك يا جدتي؟.. لا ترد..

لكنها مرة أسرت إلى إحدى بناتها بحزنها، وبيان ولدها لا يريدأخذها معد لترى حفيدها. عندما أكدت لها الأبينة أيضًا أنه لا يستطيع، وأنه نعلم بالمرارة. وأنه حزين جداً لذلك، ولهذا لا يستطيع أن يزورها كثيرة.

جذتني حينها لم تقل شيئاً. بل لم تعد حتى تفادر غرفتها إلى الزوايا المشمسة. فقط كل ما كانت تفعله أنها كانت تزداد حزناً وصمتاً، وربما نحوأ أيضاً.. هل أكمل لكم القصة وأحدث عن دور البوليس أم أن الأمر واضح؟.. هل عرفتم الآن كيف قتلت جذتي؟..

### ٣- قصة داخل البلاد قصة خارجها:

أ- كان أمام منزلِي تماماً.

رأيته بعدهما هبطت من سيارة الأجرة التي أقتلته.

كنت منتشياً، ومستعداً لأن أصفر بفرح، وأنا أتجه من أول المارة نحو المنزل، لو لم أر،.. ما الذي يفعله أمام المنزل؟..

نفس السؤال كان قد كسر على فرح ليلة مشابهة، ذلك عندما رأيت سيارة تقف تحت المنزل، وتبهأ لي أن رجالاً داخلها، ينتظرون إلى شبابيكه. وأنذاك لم أقترب حتى مشت السيارة، والتي عرفت فيما بعد أنها كانت تتضرر امرأة تسكن بعيداً، وتوقفوا عند منزلِي، لكن لا يشيروا انتباها الآخرين.

لكن ما الذي يفعله أمام منزلِي في هذا الليل..

لم أجزئ على الاقتراب، عبرت إلى الطرف المقابل وراحته عن بعد، وكان ما يزال قرب الباب، يتحرك ببطء دون أن يبتعد.

وجيف قلبِي يعلو، والرغبة بأن أصفر فرحاً طارت قاماً. كذلك كانت نسمة الشراب.. وهو ما يزال قربِي، يتلفت، ويتحرك ببطء دون أن يبتعد عنه. مشيت عن بعد متطلعاً إليه، وكان ما يزال..

وحين انتهيت إلى عامل التنظيفات، الذي يقترب منه بعربيته، كاسراً صمت المكان أحسست بنوع من الجرأة.. قلت: سأتقدم وليحصل ما يحصل، خاصة وأن الحرف أشعرني بالتعب، وذكرنى بالرغبة في الاستلقاء سريعاً في الفراش. لكن هل لاحظ عامل التنظيفات حالى وهو يقترب؟.. ذلك لأنه رمى له بشيء. وعندها ركض نحوه يتشممه وهو يحرك ذيله. وحينها تظاهرت بأن ما حدث لا يعنينى، وأنا أدعى تلك الخطوات الواقفة باتجاه الباب، الذي لم بعد أمامه أحد.

\*

\*

ب - الرجل الذي ركض كثيراً، ليلاً بقطار الضواحي قبل أن يتحرك، لم يوجد مكاناً يحشر فيه نفسه بسهولة. ووسط هذا الزحام، وقبالة الباب الذي كان يستند إليه، لمح وجه طفل أسود.. لم يبتسَم رغم أنه يحب الأطفال، وفكرة حينها إذا كان يحب الأطفال السود أيضاً..

وعندما انسل بصعوبة من وسط ركام الزحام البشري، حاول أن يبتسم للطفل، قبل أن يلهمه مرة أخرى وراء اليابس الذي كان يحمله من المحطة إلى منزله عادة، والذي كان قد ابتعد.. ولذا لم يكن ثمة مناص من أن يمشي، يمشي وهو يلهم.. وفي المنزل الصغير المرتفع، اقتصره التعب أخيراً فأسند رأسه..

الجسد مد وحيداً في غرفة بورق جدران باهت، تتكثّف، إلى وقت صيف.. غرفة لم مرايا.. غرفة لو ير بها دمعة يفترض أنها انسكبت حين أسد رأسه إلى حافة التعب.. كان ثمة في خارج الغرفة ناس يضعون، وبلاط بعيدة، وأقبية وسبعون، في خارج الغرفة أيضاً، وربما بعيداً، بعيداً جداً، كان ثمة وطن ينذر وحيداً مثله، أوجحة مثله أيضاً أسد رأسه إلى حافة التعب هكذا و... .

كان هنا كل ما يستطيع فعله.. فكر قبلها في القطار الذي كان يحمله إلى بيته، بأنه لا يستطيع أن يبكي أمام الناس، كان القلب وقتها ينط فقط كعصفور أجدب، ولم تستطع الدمعة أن تتطاير مثله.. وتذكر أيضاً أنه لا يستطيع أن يقفز.. فقط لديه هذا القطار المكتظ، تلك الفرقة البعيدة، وحلم باهت.. الرجل الذي كان في القطار، الرجل المتعب، الرجل المتعب فكر بالبلاد البعيدة، «بالبلاد التي كان يحمل فيها..» ومن النافذة القطار أو الغرفة- لافق- لم يستطع أن يرى غيرها.

الرجل الذي بدأ بلاده بعيدة، اهتز في القطار، ثم يبكي وحيداً.. البلاد البعيدة ظلت بعيدة، والأصدقاء كانوا يمضون هنالك بأيامهم دونه، وفقط ثمة جثة جثة لم تكن تتضرر أحداً.. جسد لا يريد أن يذهب إلى أي مكان، ولا يريد أن يبكي أيضاً.. جسد رجل يبكي ثم..

ليست قصة.. ليست حكاية، وليس شيئاً أيضاً.. فقط الرجل الذي باتت بلاده أكثر بعدها، وأحلامه أكثر قلة مقد مترخياً، مسترخياً بشدة، قلبة لم يعد ينط كعصفور، كما أيامه، هكذا أحس به وهو يأمره بالترفق، ثم.. ثم في الصباح الرجل الذي ركض كثيراً، ليلحق بقطار الضواحي قبل أن يتحرك، لم يجد مكاناً يحضر فيه نفسه بسهولة، ووسط هذا الزحام، وقبالة الباب الذي كان يستند إليه، لم يلمع وجه أي طفل، رغم أنه فكر بوجه طفل أسود كان يبتسم، لم يلمع وجه أي طفل..

شعر

## الطفل في السحاب

كمال الجزاولي

السودان

إلى ناس أمين

ذات صُحْنٍ من سبتمبر،  
والريح جنوبي وخفيف..  
خلوت إلى نفسِي في ركنِ ناءٍ  
من أركان السجن الأسودِ  
أستمتع بالغيم.. ورائحة التربة  
فالزمنُ رشاش.. ويواكيرُ خريفٌ  
ل لكنَّ المذياعَ اللعنةَ راح يهبطُ من ركنِ خَرْفَ  
الطاعةُ فرضٌ  
والسلطةُ باقيةٌ، وزعيمُ السلطة باقٌ،  
والموتى ليسوا إلا أجساداً تحت الأرضِ  
فالعالقُ من يحقن دمهُ  
واختتمُ العرضَ

.....

.....

.....



فاجأني الغيتُ بأولٍ نظرٌ.  
 رفعتُ البصرَ إلى أعلى  
 فرأيتُ السحبَ تشكلُ أماً ترضعُ طفلًا،  
 ثمَّ رأيتُ الطفلَ يد ذراعيه..  
 وينهضُ،  
 وينهضُ،  
 وينهضُ...  
 حتى سدَّ الأفقَ بقامته السمرةَ وأرعدَ..  
 ثمَّ انهرَ بكلٍّ خلاياه، المعطاءَ  
 يجعلُّ وجد الأرضِ طوالَ اليومَ!

سجين كبير ١٩٧٩

---

«الشحبيه قاسم امين هو احد مؤسسى المركبة النقابية والحزب الشيوعى فى السودان.  
 استشهد فى السجن عام ١٩٧٩ ام.

شعر

## الجنه باب واحد ولكن للجحيم سبعه

سمير عبد الباقي

- أنا فين منابي يا حضرة النايب  
أخذتني سهره واستعملت على كثافى  
وسلبتنى عزه المستكفى بكتافى  
بالشومة تاره وتاره بورثنا الخافى..  
تذل مريوطنا يهرب مننا السايب..

\*

ياحزن واني.. أنا البليهارس هدمتني  
ودردة القطن مصت دمى.. هدتنى  
شكایر العمارات ما آوتني  
وخدمة المرواجات مانصفتني  
والغربيه فى الإمارات بين حوجه  
ومنافق.. مارتقنى  
يتمنى حد الحفافي

أمى رمتني رضيع الجهل والأحزان  
طردتني للدينا اتلطم واكون إنسان  
بحرى رماك فوق شطوطى صبحت أنا

ولاكل مناظره البصر معلوم  
ولاكل ما ننكره يصعب على الإثبات  
يامهون الكدب ع الظالم وع المظلوم  
اعطينى قدره انفك حاجه.. وأنسى  
 حاجات. ١.

كان ياما كان  
حلم الجungan لقده  
حلمنا بالجنه/ لمنا..  
لهفوا قصنا الصاحبين..  
...

أحياناً يخبل إلى كأننى فاهم  
أزرع كما سبع لاصاحي ولاتايم  
أشهر سيفنى وأحزان خوفى.. واتلام

## الفرقان

٢

كان فين تعينا كان ولو عتنا  
لما اتلوت م اليأس كلمتنا  
وصحبنا ع الريق بضاعة  
كافة الأسواق..

سكتنى/ سكتنى ونطقت بلسانى  
عرقنى/ عرقنى ولبس قصانى  
بكىتنى/ بكىتنى ورقصت الحانى  
وكلى ما أوطى أوطى انت تعلـا كمان  
راكب حسان التاريخ وعرايب وخابى  
وانا جعشتى العرجـة شق المـرـجـد فى  
كمـانـى  
لانـافـعـهـ فىـ مـعـركـهـ ولاـشـافـعـهـ يومـ  
الـسـلـامـ ١٠

\* \* \*

الـرـيـفـ تـبـسـمـ رـقـصـ فىـ الـاعـلـاتـ  
أـلـوـانـ

الـسـدـ صـارـ بـرـگـهـ وـاتـبـرـنـاـ منـ حـلـوانـ  
صـبـعـ الزـيـادـيـ بـلاـسـتـيكـ  
صـارـ لـقـانـاـ فـرـاقـ  
حـينـ التـفـتـنـاـ انـفـلتـنـاـ /ـ الزـمـنـ فـاتـنـاـ  
صـبـحـنـاـ نـعـجـنـ فـتـنـاـ بـشـورـيـةـ الـأـنـبـاـ ..

الله اكـبرـ عـلـيـكـمـ .. كلـكـلمـ واحدـ  
وكـانـيـ متـواـعدـ  
منـذـ الـأـزـلـ الـأـزـلـ لـلـأـبـدـ الـأـبـدـ  
بـالـكـاتـبـ الـلـيـ تـرـفـصـ فـيـ الـوـرـقـ قـاعـدـ  
لـصـنـابـعـ نـعـمـ إـبـدـيـهـ عـلـىـ صـنـعـتـهـ  
يـقاـيـضـ  
لـشـيـخـ مـؤـمـمـ وـمـلـسـنـ بـيـتـكـلـمـ بـنـوـكـ  
وـلـفـاتـ  
لـأـفـنـدـيـ مـنـ هـمـ فـقـرـ الـعـلـمـ بـيـخـدـمـ عـلـىـ  
الـبـشـرـاتـ  
لـثـورـتـجـيـ حلـنجـيـ لـشـيـخـ غـنـرـ جـاحـدـ  
لـجـسـتـمـ الـحـلـةـ فـاضـيـهـ وـكـانـ مـاعـونـيـ  
ملـانـ

- شـبـعـتـيـ وـاتـعـشـيـتـيـ يـاـ حـاجـةـ ١٤ـ  
قالـتـ:ـ مـنـ فـطـرـ وـلـدـيـ  
وـلـبـسـتـيـ وـاتـدـفـيـتـيـ ؟ـ قالـتـ:ـ مـنـ إـبـدـيـنـ  
ـالـغـيرـ  
ـأـنـاـ قـلـتـ خـيـرـ يـاسـلامـهـ  
ـسـلامـهـ قـالـ:ـ مـشـ خـيـرـ  
ـسـتـرـتـ عـورـتـهاـ خـجلـ وـالـهـرـوبـ مـ  
ـالـعـصـرـ  
ـقـالـواـ الـبـنـاتـ:ـ أـمـ يـوسـفـ تـوهـنـافـ مـصـرـ  
ـصـرـخـواـ الـلـوـلـادـ الـلـيـ مـاتـواـ:ـ إـحـنـاـ فـاتـنـاـ  
ـكـثـيرـ  
ـمـنـ يـوـمـ لـبـسـتـواـ الـطـرـحـ بـلـ إـحـتـفالـ  
ـالـنـصـرـ

فتـونـىـ فـاتـكـوـ الزـمـانـ  
ـمـنـ يـوـمـ رـكـبـتـونـىـ حـافـىـ  
ـوـلـهـفـتوـ مـنـىـ غـمـوسـ وـلـقـسـتـيـ الـحـافـىـ  
ـوـكـنـتـ وـاخـدـكـوـ سـتـرـيـ غـطاـيـاـ وـلـخـافـىـ  
ـأـتـابـيـكـوـ فـيـ السـوقـ عـرـاـيـاـ وـسـتـرـكـمـ  
ـعـرـيـانـ ١٤ـ

العشة من قهرها هتفت.. يعيش

القصر

\* \*

زغروطة يا ام البنات طوكتى عمر  
(سمير)..

لما استلفتني له متبدل الأمان بالسُّحُّ  
الحزب تناه لسانه في الأدب سكر  
مالوش في لِت الكلام  
مالوهش في المنكر

وفي السياسة محفظ زين ولا البُكْر  
دفا إبتسامته يلم اللّص ع العسكرية  
عف اللسان.. العبيد والساّدَة

تشهد له  
حافظ مقام اللي بعده واللي من قبله  
مستنى آخر طابور الصبر تقابلوا

\* \*

خمسين سنة عمره أقصر من لسان  
الناس

وشعره كان يوزنه في سوق الشطاره  
نحاس

وأكمنه حكم جنون العقل في هبله  
الطبع حاصره وعصره في زمن خناس  
بين اهة المبتلى وضحكه عوبل  
خناس..

سكره الأمل.. قتله

خمسين سنة ياما لسه يمد على مهله  
على قد حزن الوطن عايش بجيك حي  
على قد رشفة منِّ

يستنى السحاب الجاي  
يمكن على وهم صدفه تعقل الأيام  
تسمع بندعة منِّ..

٣

هو التاريخ مش معانا؟  
قال: لو احنا معاه  
لو كان مطاعون هوانا  
ما كانش بعن وراء..

المية ما ترويش سوى عطشان  
ورغيف حلال يشعبك بس اماً تبقى  
معان  
يامهون الخطوه ع المدوغ،، وع  
التعبان  
كان صاحبى.. لكن خواجه وجحشته  
رهوان  
باشا ابن حنت وججان  
أسطى أثندى وشاعر عنده ميت دكان

وفلسنجى بيرطن لي بآلف لسان  
عمل صناعى وغلبني حتى فى  
الكونكان  
سوق قصايدى / عمل قراطيس وطيرها

وكلمتى خدتها على علاّتها.. غيرها  
وهمتى قد ماتكير.. يصرّفها..  
إذا علموا أهله أصل المكمة/ سر  
الحكم  
علشان ماتحكم زمام البغله..  
تنهرها..  
الفلاحين دول فراعنه وشهم والأرض

أيامى شعراً ونثراً تيه فى زنزانه..  
 حبستنى فى سجن أمسى رهبة  
 الأموات..  
 يا ربى من نفسى / خوفى تبقى  
 زنزانه  
 لو ظهرى بطلع خيابه وعفنتى خيانه.

## ٤

على حافة الفهم تتعاجب..  
 ماتتعلمش  
 وتصادف الحب بنعجّز..  
 مانتكلّمش  
 وف صادق المحن نتباكى  
 مانتالّمش.  
 ..

أنا كنت فين لما فاتنى العمر يابلدى  
 دقّت بعافية إيدىه ع البيبان وناديت  
 تعبت يا ولدى  
 ماحد ونسنى فى الملقه ولا فى البيت  
 سمعنى أخربنا نكرنى لما راق الحال  
 العيبة صبحت حلال  
 حتى الصديق قالها عنى لما يوم وئيت  
 عذّيت على أهل أمى رغم إنى نسيت  
 إن الزمان إختلف وابتدى التفسير  
 قاموا رحّوا بي وعملوا الكانى والمائى  
 رجعت نفسى مالماوى وقلبي كسير  
 طول عمرهم كانوا لهم اكتافى و  
 الأئسَة  
 وشجرة المعرفة والرّئسَة والمراديات

ميزتين لهم للأبد: سمع الكلام والبكير  
 لوفهموا سر الصور أو اكتروا بنارها  
 ملکوا الحياة بالعرض  
 كشفوا ستر أسرارها  
 فاكسر جناح اللي يقرأ أو يقول الشعر  
 واقطع لسان اللي يسأل عن سبب  
 عارها  
 واللى يغازل قعرها أو يفسّرها  
 حتى اللي يسهر لها على شوق  
 وبخسرها  
 واللى بيعلم على قده يغيرها  
 لمجرّ دماغه على مهلك وصنفها  
 يفضل مسارها فى أبدك ليلىها  
 ونهارها  
 النهر يشهد بعدلك وانت زمارها.

\* \* \*

أنا كان ابويا على قدّي وراضى بيه  
 وأمى كانت يادويك صحنها بيكفيه  
 وعشت أنا بعلته عيش الكفاف يرضيه  
 سمت أفكارى ليه بالعدل والرحمة  
 وعصرت قلبي بهموم الآخرين والمجموع  
 حلمت بالعنتره / بنجدة المجموع  
 وطممت فى اللحمه حوارى لمجموع  
 قطعت بي سكك الرجوع ياتوهتى فى  
 الزحمد

أنا السجين المخلد منذ بدء الشعر  
 وبداية القرارات / الحكمه والأهرامات  
 الفتح والرسومات / البدو والخرابات  
 بعترت عمرى ما بين حانا وبين مانا  
 أصحابي زنزانه  
 أولادى زنزانه



مش انت برضه رقصت أيامها فى  
الهوجه

عملت شاعر شوارعها اللي متقدم  
تقول كلام الغلابة وتأكل التوجة  
وترافق العايمه والفلتانه والمعوجه  
حتى اكتفيت لاعرفت الجرع ولا  
الهوجه

والاحفيف زى اخوالك على اللقمه  
وخلبها دا اللي شتمته  
تبّت عصايمه الخفيفه / طرقها ف كفّك  
كرياج على فكرنا وضهورنا بيعلم  
بكلمه متلهوجه وينكته معروجه  
ضرب البيان بالبيان  
والشعر بالنقرزان  
والحلم بالألعاب

القرش لاحمر مشرشر جنب كوز الزبر  
يستنى ادخل أعيد تضحك الديانا  
وتصهلك المراجيع ..

\* \* \*  
يا ابن البنادر تمھل .. ليه تبص وراك  
هذا سراب الأمانى مالکش فى  
التقاریع  
العدل مش بکره واستکفينا م التباریع  
ومالکش تتندم  
الجرن کنسه الربع  
إكرهنا .. تتعلم وتبقى صحيح  
مطلوب ومضحك سهرة البهارات  
شاعر جميع الملل م البدو للمخراجات  
ومعجبانى البنات  
وزعيم .. إذا لعبتها ع الصبح ياملع

النهر طلب الم horm!  
ولا حرقش الهموم  
ولادعوة المظلوم  
النكسة طرحت في غيطان

الرضا خبيه

ومصارى بالوليه  
حلال زلال، بلاشبشه ولاريه  
ويركة الحاجه رفعتنا سبع درجات  
خذنا جميعا فروق السهره والعلوات  
وفى الفنادق رطنا بالسبعين قرایات..  
غفرنا وسواننا  
وكثمن أنفسنا  
وجرح التدل إحسانا  
وضررتنا بناسنا  
بعنا جراحنا يضمان البنك يوم النصر  
إذ كُلنا ولد مصر وهذا سلو العصر  
ماعيب سوى العيبة  
شاركونا يابهوات / برکات بلاد المجاز  
كله نجح بامتياز  
الوطني والعالمي..  
واللى انهرت بلقته ورا بغلة الوالى  
واللى اعترف إنه تدل وقال وانا  
مالى..  
وانتقسام السمسره على لحم أمواتنا  
قاسمنا حاف الرغيف فى عز حاجتنا  
وكان ح يقدر يقاسمنا الفراش لوعاز  
يوم ماسكرنا بدم المعدمين والجاز.

ياعمر من دم أبويا  
ومن جراح أمى

كل السكك للصبح مرصوده  
وغلطة الشورجي فى أيامنا مقصوده  
كرياج درايا اسطى خلى كلابها تتكلم  
واللى بنامصر.. إيده طرشه وجحوده!

٥

ياعمر من شوك طريقي  
ومن سنين قهري  
إزاى ح آمن صديقى  
وختجره ف شهرى  
..  
ياللى رماك الھوى ع المر صبرنى  
أكمل العيال واحتمال الحوجه آخرنى  
لياليه كانت طوبىه / ايدية بلا حيله  
ترحيله تاخدى ترمينى لترحيله..  
من عهد قلادون عربيل الكلمه  
صفرنى..  
مین فيكو يقدر يقول لي كان هناك  
إمتى  
لما بكى وافتى..  
 بأن بيعنا حلال بالجمله والختنه

ونقرن النقرزان بحماس / تمحسننا..  
وعدنا سكنى العالى زيدنا فى  
حماسنا  
وف (خمسه / سته ) نكرنا كلنا الجتنه  
غنينا للزنزانات  
ورقصنا فى الفيترييات..  
شاپوا الصبايا وكان بدري على الشبيه  
ما بين حلب واليمن أسواق تنجمستنا

علشان تساور نعدي النيل إلى طلخا  
ونحل لفز الغرام - البيضه والفرخه  
نملا بيوت بعضنا فى الضحكه  
والصرخه..

يا باختنا باختنا يوم سهرة الحنة  
الكل غاسل كعبيه الكل يتحنى ..  
إيه اللي باقى / يومين وح يوصل  
الجنة  
والفلاحين باسمهم .. راح تعلن  
الأحكام ..

\*  
ومررت الأيام  
زى السلالس عبر ايام وراها ايام  
القلب شافت سوالفة تحت سيف الزرر  
والضلمه غطت على العريان وع  
المستدر  
وجه عليك الدور  
باليلى فقتلت المبال فى يوم ماشتقاوا  
آخرك  
تسمع بودنك من ابنك صرخة  
الإعدام .

## V

للجنّه بابُ وحيد  
للجنّه بابُ واحد ..  
دم العزيز الشهيد  
دم النبي الماجد ..  
..  
عذنا لغيم البداهه  
في البداهه كانت حصبه وقله ورحابه

أزاي راح الجد أخويها  
وسمه في دمى ..

كنا زمان الهوى نوشوش حرادتنا  
نعلم الحلم يعني في حجر غنوتنا  
فرحتنا لمتنا  
كفاينا لقمنتا  
سرحت كلاب الوطن سعرتها فرقتنا  
وخدتنا بالغضن حين عازت تشتننا

\*  
باليلى انت علمتني  
باليلى انت نسيتني ..  
باليلى انت نورتني ورجعت غميتني ..  
علبتني كبرتني وبنيتني هلايتنى  
خدتك مثل فاحتصلت اعمامي  
واخوالى  
عايشت أحوالى لما الموجه غلبتنى  
وقلت أصبر في حبك حالى على حالى  
يمكن مرارك يخفى همى .. يحالى ..  
طاعتكم تقوينى لما شقالك يقوينى ..  
أتايبى حلوك أمر وراحتنى فيك  
أتعب ..

والدنسيا بين السجون والكدب  
سرقتنى ..  
وكإن حبك سبب علشان تموتنى ..  
\*  
أنا كنت قايت هنا والبنت ندهتنى ..  
ياخذها الورد حين خجلت وغفت لي ..  
إحنا ف صيانا فرقنا الحلبه م البرسيم  
وجمعنا من بعضنا المليم على المليم

يهللوا لخطبتك ويفتّوا لنباهتك..  
 ع الربع مش ع الحسارة بيبشروا بدينك  
 ويقلب بارد ونارهاديه وسرير وحشيش  
 يقسّموا غنوتوك يتقسّموا طينك  
 الله يعينك على عيبيك وياعينك  
 واللى عليك من زمان اتراهنا  
 على عيتك.

\* \* \*  
 أنا قلت آن الأوان يانفس سامحيني..  
 صارحينى قبل الأوان لو آن وصار  
 حيني..  
 أنا مابدلتش قلل أمي بحلل صيني  
 ولا تبت عن ذنبى ولا حيدت عن  
 ديني..

ساعديني تنفض بقى الحمضانه  
 السله..  
 والخند قوه عن البرسيمه والفله..  
 كفافنا حافنا لباب الجنه يكفيني..

\* \* \*  
 يامن يصلح حبيبته القلب ببعادى/  
 تعافينى  
 من بعد ما طال بعادى غربه فى  
 سنينى  
 ما بين هجير المنافي وهجرة الأصحاب  
 بادق ع الابواب  
 وعشمى تانى افتحى حضنك يكفينى  
 ترقّقينى الأغانى  
 تركبينى حصانى  
 تعلمىنى أدقق قولى ونبشانى  
 أرجع أفرق ما بين صاحبى وخوائى..  
 وابداً الخطوه من شرخ الصبا تانى..

والجرن تبن وقش  
 القرن حين طش بخل اللبل بمواليده..  
 العيد واعدنا والاوفا بمواعيده..  
 سيدنا لهانا بين طبله وأنا شيده..  
 أمر عبيده تقلّ حمله وحديده..  
 على أم اكتافنا حتى فني نهار عيده..  
 بدئينا دايا ظروف الدار على ظروفنا  
 أنكرنا خوفتنا وقلنا دى مواسم حش  
 رضع الشجر م الزعل..  
 خجل الأمل ما طرحت  
 واللس واته الأجل مات م الخجل  
 ما فلخش  
 الله يعوض علينا/ ألف جحش  
 بجحش

\* \* \*  
 ضحكتنا حتى تكرّعنا البكا واجب  
 لما العيون اتعمت ضلّبتي يا حارجب  
 أنا قلت عمى/ لجزأ أمى/ رفض  
 ماريضيش  
 وقال تعينا بقى/ خلينا كل عيش  
 لا كل زاهد ليس تحت العباية الخيش  
 ولا كل فارس نكر نفسه يغلب  
 جيش  
 ولا كل شاعر تحلى في مجلس  
 التحشيش  
 ح تعمل إيه يابصير والعرور  
 معاوطيتك  
 اللي خانوك يوم ضناك اليوم مخاوبتك  
 واللى غرووك فى ليالي غربتك رجعوا  
 بيحلفوا ع الرغيف والقمح غاوينك  
 لوات شاويش

تعر المنافي يوفى الندر..  
يوايني..

أنا جاي لك مش مظلوم  
ولاعمرى ح اقول هيهات  
مش راضى بالمقسوم  
ولانادم على شىء فات  
شيلت اكابر منى هموم  
أكثر من حدى آهات  
ولا طلتش قدى ل يوم  
من ظلم أصحاب واخوات

\* \* \*  
يا قصر سجن الفيوم  
بشرنى بالعلامات  
عارف إنها ح تقول  
شايف للنجر آيات  
صدقنى ليهلا غبوم  
وسكتها ملان غنوات  
إفرغها تقول م التوم  
إنزعها من الظلمات  
دا رغيفى مش مسحوم  
ولاتاهت بي الخطوات

\* \* \*  
الويس قتلنى ولكن  
يوم خنقتنى الخلافات !!

يا قصر عدى الفيوم  
 قول للعشاق سلامات  
اللى مسيرة بقى  
مهما تطول المسافات  
لا السجن عمر يدور  
ولاعاشق م الهوى مات  
\* \* \*  
فى الضى يوت اليوم  
والضلله يتعبي ساعات  
الطير علنى العرم  
والصحراء ملتنى واحات  
قصرت !!.. باعيب الشرم  
وقدرت !!.. ناتتنى  
جاجات !!..

\* \* \*  
ياموت يقدر محظوم  
ويتحكم فى الأمارات

## لماذا نخلق في غيمة؟

محمد سليمان

في مسا ، مطرز بالأهلة صادفتها  
صوتها كان ما ،  
ترى كنت عطشان ..  
أم عادة القروي  
يرى الماء يتندق  
تسقط منه البذور ويحلم بالظل ،  
هل تقذف الآن صاحبها بالمخدة ،  
ترمى أصابعها للقراش ؟  
قوافل تضى رمادية  
وملتفة بلامع فرت من القلب  
صيف هوى  
وصيف يقوم  
فهل صرت صبراً جناحاً من خشب ؟

كانت مبللة  
تتلوى على شجر كامن في السجاجيد  
أو تستفن الفهد التي احتشدت في العروق

أصابعها..

هل مشت فوق ظهرى وخطت تصائدَ،

علمتُ القلبَ يتلور

وعلمتَ المقلتين الصلاةَ

لماذا تحلن في غيمة؟

وتشق المدينةَ

ترشو بسمتها العسكريةِ

فتفطرو عصاءً

تجمدُ سيلًا من العرباتِ

وقافلةً من زوابعَ،

هل تتلکأ في شارع من زجاج؟

تضضم فتارينَ

تحنو على ولدٍ سيجنته الطفولةُ

وامرأةٌ يتكلّم في عينها الكحولُ

تفوي أجنحتها بالحريرَ،

أنا حدها...  
ثورتها يداعى

وأطلقتها عندما اكتملتْ

قلتُ دورى

بعرض السماوات والأرض قلبي

ولا طول للنگرَ،

ثم انفردتُ

تصبّتُ أكاذيب عاليه كالمآذن

هل أزعم الآن أنني بلا وجع ونسبيت؟

وأني تعاليتُ

وسعّتُ ثوبى

أنا كاذبُ.

ومزدحم بالثقابات

حقّدُ تنزل في تفروع صار شارعَ،

حقّدُ يشدّ ملامحها

حين آكل منفرداً مثل كلبِ



وَحِينَ أَسَاهُرْ ثَلَجُ الْخَوَانِطُ  
أَوْ أَتَكْرَرْ حَتَّى الْبَطَاطِينُ،  
حَقْدُ جَمِيلٍ...

يُعْرِجُ أَعْوَامْ مَرَّتْ مُحَلَّةً  
وَيَنْتَهِيُّ الْوَانِهَا فِي الْفَضَاءِ  
تَفَاصِيلُهَا فِي الْمَقَادِيرِ

هَلْ تَذَنُّفُ الْآنَ صَاحِبَهَا بِالْمَخْدَةِ  
أَمْ تَتَعرَّى  
تَشَدُّدُ السَّنَائِرِ

تَرْمِيَ عَلَى مَعْدِيرِ ثَوْبِهَا الدِّاخِلِيِّ،  
وَتَوْمِضُ

تَنْدَسُ فِي اللَّهُمْ  
يَوْمًا سَتَفِرِدُ قَدَّامَ يَابِي ضَفَافِيَّ مَنْقُوعَةً فِي الْبَياضِ  
وَصَوْتاً بِلَاطِعِمْ  
أَلْحَمَهَا..

حِينَ أَشَرَّبَ شَايَ الصَّبَاجِ  
وَحِينَ يُشَاكِسِنِي الْعَسْكَرِيُّ يُسِيلُ الزَّوَابِعَ وَالظَّلَمَاتِ  
لَمَّا ذَلَّلَ بِرْغَمَ انْكَسَارَ الْفَوَانِيسِ عَرِيَانَةً  
زَغْبُ فُوقَ أَرْضِ مَبْلَلَةٍ يَتَلَوَّنُ

كَحْلُ يَسِيجُ بِحَرِينِ  
وَالْجَوْرِيَانِ يَلْقَانُ شَمَساً  
لَمَّا أَشَبَّ وَأَحْمَلَهَا طَفْلَةً فَوْقَ ظَهْرِيِّ  
تَخْطُطُ الْقَصَانِدَ

تَرْمِيَ فَطَافِرَهَا لِلْعَصَافِيرِ  
هَلْ ثَوْبُهَا كَانَ أَخْضَرَ،  
سَكَرُهَا كَانَ بَابَا؟

شعر

## قصائد من كتاب: الوحدون

السماح عبد الله

### \*أوديب\*

هذا الذي يهمّ في برد الصحاري....  
...محتمياً من الصقيع.. بالصقىع  
...وهارباً من وجهه  
.. دليله العمى، وقصده دوىُ الألهة..  
.. تابعوه جيداً، وحدُّقوا في دمه المناسب في خديه..  
.. إنه.. يسير هادئاً.. كأنه يعرف.. هذه المسالك المجهولة..  
تابعوه.. إنه يقودنا\*

### \*يوسف النجار\*

إذا لم أكن أبتفى أتشمم طعماً جديداً لهذا..  
الهواء.. لكن ما أكون جديراً بأن أقلّى حبيبي..  
.. لماذا أذن كل هذا الرحيل، وكيف ارتضيتك العذابَ نصبيبي..  
أجبيني\*

### \*محمد\*

خطوة في البرادي  
.. بعدها.. ستتقر في جسد الأرض كالربيع.. تصبح أنت المعنى

برائحة الجسد المتوازن.. مثل البهاء الذي يتكرر في اليوم أكثر من مرة..  
.. أو تعرف عائشة..  
أن من تصطفيفه القفار..  
كثير على نبضة القلب.. كالبحر.. كيف تضم أنفلا تاته..  
.. وأصابعها.. عشرة\*

### \*يهودا\*

ستظل هكذا طيلة موتك.. كما كنت..  
.. طيلة حياتك...  
.. جالساً القرفصاء..  
.. مددًا يديك على اتساعهما.. في انتظاره

### \*ورقة بن نوفل\*

خيمه في الصحاري..  
تمر عليها التوافل، والشجر المتسرع، والريح، والقاتلون، وبعض المياه..  
.. تمر عليها البيوت ورائحة الدم..  
قاعدة هي..  
ليس لها شبه بالذين أتوا، والذين يجيئون..  
قاعدة هي.. حق محيق..  
لماذا تم القيائل، والشجر المتسرع، والريح، قبل بثون الأوان..  
وهي...  
إن أتاكا الذين أتوا، والذين يجيئون..  
قد يجدون من الماء ماءً الفم، قد يجدون من التمر زاد المسافر..  
قد يجدون من الوقت بعض قليل ليبتعدوا سيرهم من جديد..

خيمه في الصحاري  
ترافق منذ زمان مضى أثراً في الرمال..  
وقد أعاده هي حق محيق\*

### \*عباس بن فونان\*

هذى مؤامرة الوقت ضدى..  
أنا ضيق بقضيق هذا الهزيع الأخير...  
لماذا اذن جردتني المدارات حتى تعودت أن أتزينا بهجران صحبى...  
لماذا اذن حاصرتني النهارات حتى تلصصت للوقت...  
قلت: سأقضيه.. من بداياته..  
سأصوب حديه بالريح المتراث.. فى القلب...  
أطلع، أطلع، أطلع...  
حتى اذا ما تشرقت خيطا شفينا له الرحيم ظامنة...  
بدزه.. وقدة الوجد...  
... وأواخره الهواء الجنوبي .....  
يتسع الوقت أكثر، أصبح كالانتظار الذى لا يجيء...  
أو كالكلام الأثيرى فى حضرة العاشقين...  
أو كالدقائق.. فى الزمن المتسرع...  
أطلع، أطلع، أطلع...  
أنا خائن الوقت، مستبق فى سباق...  
أنا...  
فرح... باحتراقى \*

### \*الحجاج بن يوسف الثقفى\*

كأننى أرى مدينة تسير فى الصحراء، وحدها.. عارية...  
..ليس لها.. قصد..  
لا شجر يظلها، ولا سحابة، ولا حاد.. يربط الطريق بالفناء العذب..  
..كأننى.. أرى نبأً ظالماً يخرج من قريش..  
ويستبدُّ بالبلاد، والهوا، والمحبج...  
..كأننى.. أرى الها.. غاضبا..  
..ينرى يجمع الأنام فى قبضته، ثم يرشهم على جهنم، ثم يعيد...  
خلقهم، ثم يلهمهم، ثم يقول يا أنام فلتكونوا.. بددا..  
كأننى أرى روساً أينعت..  
..وليس ثم قاطفْ

### \* أصوات القييس \*

هذه الخمر مغشوشة يا أمير..

.. والندامى اذا نقرت خمرة الليل أحشأهم ذهبرا لواجعهم..

ولكَ البيدُ، والذكرياتُ، وخائنةُ العين..

والروحُ ظامنة..

.. ستمر على طلل، وتقولُ لساكتهِ رحلت منهُ.. هذا الخرابُ خرابي..

وهدى العناكبُ منسوجةٌ من دمي؟؟؟

.. أم تشدُّ رحالك في خلل الليل تطلبُ ثارَ أبيك؟؟؟

.. أم انك سوف تُتممِّم بالشعرِ مثل نبيِّ يحاصرهُ القاتلون، ويهجرهُ الأهل..

والاصدقاء؟؟؟

.. أم انك سوف تشد الندامى من الدورِ.. تُرجمهم لكَ من غير أوجاعهم..

.. وتنادمهم بالكلام عن الفتياتِ الصبيحاتِ، والخمرِ، والشعرِ، والتردِ..

حتى الصباح؟؟؟

.. هذه الخمرُ مغشوشة.. يا أمير..

وأنْتَ ظمبيٌّ، وللروحِ أوجاعها، والطريقُ الى هدأةِ القلب متعبٌ..

جَدًّا متعبٌ؟؟؟

### \* زوربا \*

يا الله.....

.. لماذا يكون الهراءُ جميلاً.. الى هذه الدرجة؟؟؟

### \* كارل ماركس \*

ذلك الفامض المتعبُ...

.. الذي أنتَ أسكنتهُ.. حجرتك..

... ورَتَبَتْ طقسَ الهراء الذي كان لك.. لكما...

.. ثم واجهتهُ.. بالمارايا..

.. هو الآن يخطر على شجرِ الوقت.. كالخشب المترس.. مثل الجميلين

.. هل حين ينظرُ في جُدر الغرفة الواسعة..  
.. ويواجهُ سطحَ المرايا ..  
\* يرانِ؟ \*

### \* محمد عفيفي مطر \*

سلمةٌ بين أبى وابنى أنا.. فى درجِ السلاله..  
.. شبيهٌ من أحبهم، وداكنٌ .. كفيس البسيطة..  
استرقـتُ .. من حديقة الدنـا خـسـين بـرتـقالـة  
وـهـاـنـا .. تـرـونـنـى عـلـى قـارـعـةـ الطـرـيقـ أـوـنـى باـحةـ المـقـهىـ ..  
.. أـرـاقـبـ الجـنـدـ فـى جـيشـ صـلـاحـ الدـينـ ..  
ورـعاـ .. تـرـونـنـى أـنـسـ .. قـاتـماـ ..  
وـأشـعـثـ الرـأـسـ إـلـى .. رـوـانـعـ الـقـرـىـ ..  
.. ثـمـ أحـطـ فـجـاءـ عـلـيـكـمـو .. مـنـدـ دـاـ ..  
.. تـحـوطـنـى الكـآـبـةـ ..  
وـصـارـخـاـ ..  
احـذـرـاـ .. الدـمـ الغـرـيبـ يـبـدـأـ المـسـيرـ .. فـى عـرـوقـكـ ..  
.. ثـمـ أـعـودـ .. وـاحـدـاـ ..  
فـى خـلـلـ الطـرـيقـ ..  
أـنـاـ .. خـسـنـ بـرـتـقالـةـ منـ الشـعـرـ النـبـىـ ..  
أـنـاـ الـذـىـ .. تـهـجـرـهـ الـكـتابـيـنـ \*



### \* لا صبو \*

ويزورُ الجـلـيدـ .. بـلـادـىـ ..  
.. ويضـايـقـ أـطـيـارـهـ .. وـبـلـادـىـ تـحبـ الطـيـورـ ..  
.. حـسـنـا .. سـأـكـونـ أـنـا .. شـجـرـةـ \*

### \* اسخيلوس \*

لـاـذا .. كـلـمـاـ أـعـطـيـتـنـىـ شـجـرـاـ .. تـصـبـدـنـىـ شـبـاكـ العنـكـوبـ ؟  
لـاـذا .. كـلـمـا .. أـهـدـيـتـنـىـ أـفـقاـ .. تـضـيـقـ عـلـىـ جـدـرـانـ الـبـيـوتـ ؟؟ ..  
.. لـاـذا .. كـلـمـا .. جـمـلـتـ لـىـ عـمـراـ .. أـمـوتـ ؟؟ ..

## سر السين

محمد الغيطى

تسمه مشاعر فجأه دخلت حجرتى  
هزمت متابعى  
وأنا كنت شاعر  
بس صوتى مش بتاعى  
ولا قلبى مصدر رعشتى  
ولا التباعى  
من زمان مخبوس وقاعد ع البلاط  
أرسم شخابيط ع الورق  
واحفر على الجدران طبق  
أملأه عجين من كلمتى  
أو من يراعى  
تقع السطور من أنتى  
أنده على السجان ألاقنى  
كل النوافذ مقفلين  
والدنيا ضالله  
واقف على بابى غفير  
من ميت سنه

لاعمرى شفت الشمس تصبحك  
ولاعمرى شمعيت العبير  
م السوسة  
حزمه مشاعر فجأه هبطت م السما  
فتحت فى سقف الأوضه طاقه  
هبطت على قلبي - برواقه -  
اتشكلت ف عيونى اسم  
وعلامه على وش الزمان -  
واللحظة دى  
ودليل على حدود المكان  
وانا كنت راقد رقدى فى حجرتى  
من غير زمان  
من غير مكان  
من غير بطاقة  
يا لى انتى كنت النسمه  
والشمس  
وعبير السوسة  
- والاستضاءه -  
هل كنت بحمل  
أم ملا محك ممكده  
وسؤالى يتتجاوبيه - براوه -  
ماتقولى عن سر الحكاية  
واحلف لأخبى سرى ف سابع قرار  
واحلف بيان السنين -  
قاموس المعجزه  
والجبر فوق الاختيار  
واحلف بانك توقعه  
ف سابع بحار  
وفتحت للشاطئ عيونك  
ووهبت ريحك للشارع  
ووهبت للمرسى الموانى

وللسفن الفناره  
والشمع  
روهبت لوجوى الوجود  
يا لللى انتى لحظى والخلود  
خايف اموت  
من غير ما أسمع كلمتك  
عن سر بحرك  
عن سر «سينك»  
والواقع والصدف  
وميعاد لقانا  
اللى افضل من ملايين الصدف



شم

## قصائد من الألم والخوف

طاهر البرنابي

(١)

وإنقض ليك بالرغفات قناديل بترمح لك خيول بكره  
واتخض توبك م النسيم العاشق المليان بحمر أوانك  
كتبت شوارع بهجتك فوق الحيطان آية لقاك الورد  
وكشفت عن جرح المداين بين كمائن جتنك  
يا إلى إبتلاك بالصبا والصبر والعصيان شريان لقلب هلاك  
مش كنت وآخدم الغيطان أو صاف نذاك الحالم الدافى  
وكنت شارب مغارب صيف شفيف م الريف وم الأيام

(٢)

يتغرهض قبر الليل وياك إزاي مشاوير ومتاعب  
والفرح إلى ما كانش غريب على روح الخيل هيصير متخشب  
زي التل في حلق زمانك لما يكون مغضوب  
(زي التل في حلق زمان مغضوب العين لما يكون مغضوب بتكلم)  
فجر غرامك باين خاين وإلا رايات م الشوق محنيه بطرف لسانك

وَاللَا إِيْدِيكْ بِالْحَنَّهِ إِنْقَطَفَتْ لِلْجَاهِينِ يَشْفُوكْ مُتَعْرِى  
جَاهِيزْ رَمْلَكْ بَاتْ أَنَّاتْ وَقْتْ مَا كَانَ أَسْمَنْتْ بِنَاكْ إِمْكَانِ مُسْتَنِي

(5)

غابة الرمان بتتحداك وتبعلق لخوفك نار وتعريده  
من يوم مارشك باش وإتزحزن الغامق لطين وردي  
واتورق الزيف المعادي للنسيم والقصم والسممه  
إياك تبور للصخر بالوجع المراقق ضحكتك مشاوير..  
إياك تقول للشجر والبحر يوم «أناطير»..  
وإن مالت الأفراح تغازل جهتك بالخير..  
إاتلم ثورة بدن يتشق ويشقشق ضفاير نور  
ويرق، لين، بالحنين للشمس والميه  
مقدور تعيش عمر القمر دوران في يم الجمار..  
وتعاكس العطش ع الخدور أحزان مطر

(Σ)

قامت ونامت ع الكتاف ايلابه لسه مخضراك دلوتنى  
وع التياب الملبسين والمشورين مطبوع جبل قاسى  
قطعت خيالك هزتين ناعمين مايلين لشعر القلط  
وانت إللى سارح دندنات نيه الأمانى فى الإبدىن والعين  
واجهت مين يوم الخصم والصمت والشجن الأليم إلا مفارق ضحكتك؟  
وهجرت مين حين مايتقسم نعم الوداد غير الكيان الذى بنهدى البنات؟  
شاروت ع المحرر الموارب بالخجل ورسمت بالمر إشعتمالك ع السكك  
وكلى شير إنقطع فوق الطريق ع الريق دبعة قمر ونابات  
موت بالقصايد وإشهنى الرزلزال وحوط ع الوجه ترتيل

(0)

بتشبيب فى القلب الغاية وتكبر ويال شرأشيب التخل  
وتشيعن الأحلام إلى بنهاي البانى ومات بالهمس شهيد  
يا وليد على ذمة أنقام الصبار إلى مالوش عطار وعندى أنا شيد...  
والعيد التبعتر فى الليل مواعيد على إيد السحر بعدى...



وف بعر سماك المدهوشة ليجوم وعيون أوهام وسحاب وعداب..  
إنفرطت منك في الريح العناقيد وإرتد الباب المفتوح تغريد  
تهييد:

إتعجز الطيف المنقوش ويشوش

(٦)

في الدم غرabis ودواير حمره بتسبح أغراح خلان وهام شبان  
والآلم إللى بتصرخ بيه الأيام على ناصية خوفك موت لبيوت  
وف عز ما كان المارد مارد والقلب البردان فى الطل كيان عريان  
يستنجد بييك النبع العشمان غليمان وحنان أوطان  
وماكنتش غير الحس وغير البركان مسافر طبران سمان  
إزاي دلوقنى العالم سراديب للغيب وكلامك دهاليز ألاعيب..  
والمجسد المهدود فى الصلب يعاشر كرابيس متاريس أحلامك؟  
إزاي شبك بيطل على الدنيا غرام يتثنيش أحزان وMais..  
وتنشيط جواك زغاريد ونسائم تتولاك أغصان نسبان؟

شعر

## من كبريت مبلول إلى دمنا المذطوف

مصطفى الجارحي

إلى طاهر البرناوي

الريح شباب تطرق والقنا عربان  
عيّل من الحضه بالل هدوءه بيرتعش أسفلت من تحتي.  
وبيأكل الكورنيش فى طوله المعجاني  
البرد ويقصص رياش الخلق يحدفهم على سرير السمر والضحك  
يابره تنساهم ومحطتنا في بالك  
ليلك مشائق لفافة ع الغربا!  
أنقل من أحمر دم رئتينك  
القهوة كان دمها  
أمسخ من ضحكة في عيون عسكري  
احساسي بيـك / رحة شباط دم عصفوره مسامله والنشان مهدوء  
الرقت أول شتا... لا.. الوقت آخر صيف.. لا.. الوقت قمعم بارود ومتبرشم  
كبريت شطوط العيون  
مبلولة كل العيدانـا

ماشي باطروح دراعي مالقيتشـآهـ كفـى  
الخاطر الأولـانـى انها حردت على صاحب قديم من مده كان بستان طراوهـ  
أو احتمال انها مشبوكة دلوـتنـى فى ايد بنوتـهـ ماـعـرفـهاـشـ...ـ بتـقـيدـ

البرد وقد النفس كبريت  
 أو يجوز انها  
 مزاحمه كفوف اخواتى ف داير المقد  
 نفرد باب السقعة الهاجمة من بحري.  
 كفى هناك-من هوجة العreibات ودوشتها- بتعدى راجل عجوز

بافرد شمال كفى.. قلبى على كفى عطش  
 البصه نقطه مطر... وعنيك بتتضضها ف قمر غياب.. يفرد شمال كفه..  
 قلبه على كفه عطش، وعنيه بيلقها  
 ف قمر غياب  
 آه يامريح المعا  
 رجليك تصالح ربع  
 رجللى تصالح مكان تعودناه  
 أنا على أول المشى  
 عنبا طرق- بالعرض- يتدرج على التaudين.  
 على غير عادتها القهوة مزدحمة.  
 لا كنت هناك بنضارتك ولا الريفية ضحكتك ترطب قلب يطرح  
 فى تطوية دراعاتى  
 أنا على أول المشى  
 مطبق بين كفى على شلن فضة  
 هارفة لفوق زاجل حمام  
 وهينقلت مني ع الجاذبية برن  
 طب مين عنيد تسقط عليه تلقفه  
 مين يترسم طوله هناك.. عند تليفون الميدان  
 ولا لئه طباب جرح أوسع من سطوح-  
 ومن سلم عماره اطول.  
 مالها حريرته «السيده» مالها ام هاشم  
 مالها الحارات الضيقات  
 بتكتب دمع ف يوم خميس  
 هل عشان غاب العريس؟

مالنت اللي قشرت القمر  
ورميست علينا فصوص ولاستباش  
رغم انهم هنا .. مشيت لهم هناك  
ومعاك مجرد قلب  
مكتوب على شفتيه غنوه ودليل:  
ما احلى اللي بشق الغمام العتمام  
بسالم كلام الحمام  
أبو الهديل الرصاص  
مش الرصاص الهديل.



شعر

## والفاس

مدحت منير

أدينى سطح ارتاح عليه  
من لعبة الموج المسافر فى الفنا  
آخر سطوح  
لم الصبابا مبلولين  
وراح ينام  
أدينى سطح ارتاح عليه  
الريح بخيلة بالحمام  
وأعوره بالشاي والسجائر  
من عذاب المفناطيس والكهرباء

يا صحبى ليه  
صنعيت حسك فى الخلا  
روهبت وسطك للزحام  
وازاي هربت من اللغة  
حيث قلتلى:  
أن المبانى على وشك  
وأن خط غصن على الرخام

ويهزم شرقه بعزمك كله فى الكلام  
مايدشك

ادينى سطح ارتاح عليه  
أنا اللي ضايع ريقه غبة فى شهرة الأناس  
أعوذ بالشاي والسجائر

م اللي ودعته ونام  
من غربة صاحبة تخريشك  
غربة عيون الكمسارى  
والناس

القلب كان منصان  
ع الحيطان الجير  
رفع الشيطان صلاته للحراس  
يعزّوا من الجيران  
ويخلصوا مني الببيان  
وصابني رب العرش بالطباشير

ادينى سطح ارتاح عليه  
آخر سطوح وقع كفوفك ع الحيطان  
وانهار على الحلم اللي رجع أولك  
أعوذ بالشاي والسجائر

م اللي ودعته ونام  
من شوك على صدر اللي بعده بيقتلك  
من غربة ماشية في الزحام  
بتحط الاستفهام  
على كل الصور  
غربة عيون الكمسارى  
والناس

## الجبل الذى صار ضميراً

د. صبرى حافظ

لم أكن أتصور وأنا أكتفك الدمع على غالب هلساً أنسى سأرجع بينما رحيل نارس آخر من فرسان هذا الجبل الذين يتخاطفهم الموت دون أن ينالوا حقهم من التقدير وهو الناقد الكبير عبد المحسن طه بدر الذى كان هو الآخر من الوجوه الدائمة فى تلك الندوات الزاهرة، فى قاهرة السنوات الخواли المترعة بالأمل والحلم يستقبل أفضل: ندوة أنور العداوى وندوة تحبيب محفوظ فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات ثم لقاءات مقهى ريش الأدبية فى الثمانينات. فقد ذكرت عبد المحسن بدر وأنا أكتب عن غالب هلساً على أنه واحد من ثجوم جيل السبعينيات القلائل الذين يقروا فى مصر أننا، ضربة السبعينيات العصيبة التى استهدفت تشييت الكتاب الشرفاء، ومحاصرتهم حتى يمكن تغيير مخطط الفدر واقتباب العقل المصرى والإجهاز على قوى المقاومة فيه. فقد بقى عبد المحسن بدر فى مصر السبعينيات برغم إمكانيات الخروج الجديدة التى أتيحت له، وعاني فيها من وطأة المناخ الطارد الذى دفع الكثيرين من أبناء، جيله إلى الخروج بعد أن ضيقت عليهم المؤسسة الخناق. فقد كان عبد المحسن من أصل أبناء هذا الجبل وأقدرهم على الصبر والثبات على مبدئه حتى في أحلك الظروف وأقساها، وقد يسر له العمل فى مؤسسة الجامعة المصرية التي ماتزال تحافظ على بعض تقاليدها هذا الصمود. صحيح أن الفساد السبعيني تسلل إلى الجامعة كذلك، واقتجم عليه كلية الآداب بجامعة القاهرة، عندما التحقت قرينة السادات بها فى السبعينيات كطالبة، وأرادت استغلال وضعها لتعظى بأكثر ما تتمتع به أية طالبة، بل وأى أستاذ من نفوذه، واستعملت بعض زملائه من تستهيرهم إغراءات السلطة، إلا أنه كان من القلائل الذين حافظوا

على كرامة المشفى في وجه تلك الإغراءات، إلى الخد الذي تعرض بسببه في ضربة عام ١٩٨١ التي سقطت مقتل السادات إلى الفصل من الجامعة مع حفنة من زملائه الشرفاء.

فقد كان عبد المحسن بدر من المثقفين القلائل الذين احتفظوا بكلمة بشرها ورفضوا الاتجار بها أو تعرضاً لها نهانة في واقع مرغت فيه الكثير من القيم في الوحش، فتحول بذلك إلى نوع من الضمير المؤرق للذين تاجروا بالكلمات والقيم حتى من زملائه أنفسهم والذين كانوا يتهمون من دواه ظهره عن «حنبلية» التي كانت تورقهم لأنها كانت تكشفهم. وقد كان يحقن توحاً على الضمير الذي لا يكفي عن تبكيت الذين يريدون الحظوة باحترامه، ولا يتواتي عن حماية الذين يخشى أن يجرفهم التيار من زملائه أو تلاميذه. وربما كان اتساق سلوك هذا الناقد الجسور مع فكره ورفضه المساومة على ما يعتقد أنه الحق، وإن لم يره البعض، كذلك، من الأمور التي دفعت الكثيرين إلى الانقضاض من حوله، وحيث المؤسسة المسيطرة على محاربته. لكن هنا نفسه هو الذي جعله مثلاً يتحلى بين عدد من تلاميذه من الأجيال اللاحقة، وهو الذي عمق من أهمية دوره النقدي والفكري برغم شحة عطائه النقدي لأن عبد المحسن بدر لم يكن عطاً تقدياً تعسّب، ولعماته النقدي أهميته التي ساعده إليها بعد قليل، ولكنه كان كذلك موقفاً أخلاقياً صارماً في وقت عزت فيه الصراامة، وأصبح فيه التهرب القبيح والموقف أمراً مقبولاً لانتقاده عليه، ولا مواراة فيه. لأنه كان يرى من البداية أن الأكاديمية موقف أخلاقي بالدرجة الأولى، لأنه لو لم يلتزم الباحث بأخلاقيات عمله البحثي، ولم يأخذ نفسه بالصراامة الضرورية التي تحمل الشك في أقل معلومة من المعلومات التي يستخلصها أمراً مورقاً لا يستريح حتى يتأكد من سلامته قبل استخدامه إياها، لفسدت القيمة الأكادémية نفسها، ولفقدت معها الجامعة احترامها لنفسها واحترام المجتمع لها، وومن دورها فيه.

فالفارق بين الباحث الجامعي الجاد، وأي ناقد آخر، ليس في أن الأول يكتب كتاباً وأبعاثاً صعبية، والثاني يكتب مقالات صحفية سطحية، لأن السوق مليء بالكتب السميكة التي ينشرها علينا بين الحين والحين نقاد الصحف، والتي لا قيمة لها، ولكن هذه الفرق في النزع، وفي القيمة الأخلاقية. فيما لا يتورع الناقد الصحفى عن الكتابة بهدف المعاملة، وعن تسخير قلمه لخدمة حاكم أو ناشر، أو عن الكذب والإدعا .. فإن الباحث الجامعي لا يضع نصب عينيه سوى البحث عن الحقيقة وإعلاه شأنها حتى لو كرده هذا في بعض الأحيان خسائر اجتماعية أو سياسية؛ وحتى لو ضيّع عليه الإخلاص لها مكاسب كثيرة، قد يحصل عليها لو حاد عنها، أو صمت عن إبرازها. لأن الباحثين الجامعيين هم حراس تلك القيمة الكبرى وسدنة معبدها العريق. وإن وجودهم ومارستهم لدورهم في تعيس الأمور، وفرز التباهي من الطيب، والتتصدى للزيف والتضليل هو الذي يبقى المجتمع من شرور التردى في شراك الكتبة وأذناب السلطة من الذين يحتقرن العمل على طمس الحق وتزيين الباطل، والتسميه على قدرة العقل على الحكم الصحيح. فالذى يفرق المجتمع الصعب من المجتمع العليل، هو أن الأول يعلى من قيمة باحثيه، ويبيح لأنكارهم وبعثرتهم واكتشافاتهم أن تمارس دورها الفاعل فيه، بينما يرتكس الثانى فى الظلام لاعتماده على مجموعة من أشباه الأميين من الكتبة الذين لا يستمدون قيمتهم من أصلة أفكارهم أو قدرتهم



على التنقيب في طریا المعلومات والتحقق من صلابتها والكشف عن العلاقات الخفية بين جزئياتها، وإنما من أخلاصهم لسياسات حاكم يغدق عليهم من سلطانه، أو تناشر بسخر لهم أبواب الانتشار والتأثير. ولا يعني هنا بأي حال من الأحوال الانتقاد من شأن أجهزة الإعلام ودورها في نشر كشوف الباحثين وتقريرها من أذهان العامة، ولكن أجهزة الإعلام في المجتمعات الصحية تلجم إلى أهل العلم والاختصاص لغز المحقق تقديمها، وترجع إليهم في كل ماتشك فيه، ولا تعتمد إلا عليهم في رسم خططها وفي تقييم الموج من آراء العاملين فيها وتصحيح اجتهاداتهم. ليس فقط لأنها تتبع بجامعيتها مراقبة كل ما يصدر من صحفييها، ولكن أيضا لأنها تفتح بالحرية ويسقط القانون ساحتها للرد عليهم مما يجعلهم يتزبدون أكثر من مرة قبل تقديم أي معلومة مشكوك فيها إلى متلقيها.

إذن لا نستطيع هنا فصل حرص عبد المحسن طه بدر على شرف الكلمة، ونقاء قيم البحث الجامعي وأخلاقياته، عن دوره الوطني ورؤيته الفكرية للدور الجامعي، ورجالها في الواقع الذي يعيشون فيه، ويعملون من أجل وقايتها من أدواه، الزيف والتضليل. فقد كان لهذا المرفق الأخلاقي بعد وطني، ووظيفة سياسية هي التي عرضته لبعض العسف من ناحية، وهي التي وضعته في النظر إلى حد كبير، وأظهرت عليه من يقولون عنه قيمة ويقصرون عنه قامة، وحرمت بذلك الواقع الثنائي من أن يقوم بدور أكبر من الدور الذي أتيح له ممارسته. ولهذا كان الثمن الذي دفعه المجتمع ككل فادحا في هذا المجال. لكن عبد المحسن الذي كان واعيا بأهمية دوره وبأن تلك الموجة الكاسحة من التردد الفكري والعلمي والأخلاقي تستأدي المجتمع الكثير حرص على تكريس قيمه في الجامعة وعلى مضاudem المجهود الحمایة قيمها من التدهور الذي أصاب الكثير من مناصح حياتنا الأدبية والفكرية بل والحضارية عامة. وربما لأنه رکز هذا الدور على الجامعة كانت حدته المفرطة في اللزوج عن حماها، وكانت قسوته النسبية على تلامذته وعلى حفنه قليلة من أصدقائه الذين كان يرى أنهم ملوك الأرض الذي لا بد أن يশو به الفساد. فقد كانت تلك الحدة نابعة من وعيه العميق بضرورة التصدى لتيار التردد والصبر في وجه أمواجه الكاسحة، حتى لا يتضيغ هباء كل الإنجازات التي أرستها مسيرة رجال الجامعة المصرية الأماجد الذين رسخوا قيمها

ويرأوا العقل مكانة سامية في المجتمع المصري على مر العقود الشهانية التي انصرمت منذ تأسيسها عام ١٩٠٨.

وقد استطاع عبد المحسن بدر أن يجسد عبر إنجازه الجامعى مدى تجذر هذا الإنجاز في الواقع المصري وأهميته في الحفاظ على كرامة الأمة العقلية. فقد كان هو نفسه ثمرة طبيعية لهذا الإنجاز، إذ استطاعت رسالته للدكتوراه (تطور الرواية الحديثة في مصر) والتي صدرت عام ١٩٦٣ أن تكرس مكانته العلمية، بعد أن لفت الانتباه بدراساته الجادة العميقة التي نشرها في (الآداب) قبل ذلك التاريخ، وأن تبرهن على أن الجامعة المصرية قد ثبتت عن الطرق ولم تعد في حاجة إلى إرسال أبنائها الخارج للحصول على الدكتوراة كما كان الحال في الماضي. فقد استطاعت هذه الرسالة الجامعية التي أجزأها عبد المحسن وهو في شرخ الشباب ولم يخرج من مصر أو يدرس حرفاً في غير جامعتها وعلى غير أساستها أن تبلغ مصاف أرقى الأبحاث الجامعية التي تقدم في أعرق جامعات العالم. ليس فقط لأنها اتسمت بقدر كبير من الطموح، ولا لأنها التزمت بالصرامة في جميع مادتها والتعامل معها، أو لأنها حريثت في حقل يكره لم يطرقه باحث من قبله، ولكن أيضاً لأنها كشفت عن عقلية منهجية على قدر كبير من العمق والموضوعية. وعن بصيرة تقديرية تستطيع التقادم إلى ما وراء الظاهر والكشف عن جرهـها الدينـ، وطرحت خطة للدرس والتصنـيف سرعـان ما حكمـت مسارـ عملية التـاريخ لأدبـنا الحديثـ دراسـة مختـلـفـ أجـناسـ الأـدبـيةـ لأـكـثرـ منـ رـبعـ قـرنـ منـ الزـمانـ. ليسـ فقطـ لأنـ كلـ ماـ صـدرـ منـ درـاسـاتـ فيـ هـذـاـ المـجاـلـ يـدـينـ لهاـ بالـكـثـيرـ، ولـكـنـ أـيـضاـ لأنـ مـساـرـهاـ وـطـرـيقـتهاـ فـيـ الـبـحـثـ أـصـبـحـتـ هـيـ الأـسـلـوبـ المـقـبـولـ للـتـارـيخـ الأـدـبـيـ الـلـذـيـ يـطـحـ إلىـ تـحـقـيقـ التـوازنـ المـسـاسـ بـيـنـ التـارـيخـ الدـقـيقـ المـسـتوـعـبـ وـالتـحلـيلـ التـقـديـ

ـ المـسـاسـ. ولـأـنـهاـ جـمـعـتـ بـيـنـ مـنهـجـ وـضـعـ المـعـلـمـ الأـدـبـيـ فـيـ سـيـاقـهـ التـارـيـخـيـ وـالـاجـتمـاعـيـ وـالـنـصـيـ، وـبـيـنـ عـلـمـيـةـ تـشـرـيعـ النـصـ لـتـعـرـفـ عـلـىـ أـسـاقـهـ الـفـاعـلـةـ وـالـمـوـلـدـةـ لـمـخـلـفـ الدـلـالـاتـ وـالـرـؤـيـ الشـارـيـةـ فـيـ مـسـتـوـيـاتـ الـمـعـنـىـ المـتـعـدـدـةـ فـيـهـ.

هـذاـ الـعـمـلـ التـقـديـ الأـدـبـيـ الـكـبـيرـ لـمـ يـغـرـ عبدـ المـحـسنـ بـالـاستـنـامـةـ إـلـىـ دـعـةـ إـلـجـازـهـ كـماـ فعلـ الكـثـيرـونـ، وإنـماـ دـفـعـهـ إـلـىـ طـلـبـ الـمـزـيدـ، فـسـافـرـ بـعـدـ إـلـىـ الـجـلـبـرـاـ حيثـ أـمضـىـ عـامـاـ فـيـ جـامـعـةـ لـندـنـ يـرـهـفـ أـدـواتـ التـقـديـ وـيـجـودـ مـعـرفـتـهـ بـالـلـفـةـ الـأـنـجـلـيزـةـ حتـىـ توـطـنـ لهـ تلكـ المـعـرـفـةـ مـخـلـفـ إـلـجـازـاتـ الـنـقـدـ الـإـنـسـانـيـ، عـادـ بـعـدـ لـيـسـارـسـ دـوـرـهـ فـيـ الجـامـعـةـ وـقـيـ الـوـاقـعـ عـلـىـ السـوـاـءـ عـبـرـ كـتابـاتـهـ وـكـتبـهـ الـتـيـ نـشـرـ مـنـهـاـ (ـالأـدـبـ وـالـوـاقـعـ)ـ وـ(ـالـرـوـائـيـ وـالـأـرـضـ)ـ عـامـ ١٩٧١ـ الـذـيـ حـصـلـ بـهـ عـلـىـ جـائزـةـ الـدـولـةـ التـشـجـيعـيـةـ فـيـ النـقـدـ الأـدـبـيـ فـيـ الـعـامـ التـالـيـ، ثـمـ كـتابـيـ الـهـامـ (ـالـرـؤـيـةـ وـالـأـدـةـ)ـ وـهـوـ الـبـرـزـ الـأـوـلـ مـنـ درـاسـةـ مـسـتـفـيـضـةـ كـانـ يـعـدـهاـ عـنـ لـحـيـبـ مـحـفـوظـ. فـيـ هـذـهـ الـكـتبـ جـمـيـعاـ أـرـسـىـ عبدـ المـحـسنـ قـوـاءـدـ نـقـدـ الـرـوـاـيـةـ الـمـرـبـيـةـ فـيـ بـعـدـهاـ التـارـيـخـيـ ثـمـ فـيـ بـعـدـهاـ المـوضـوعـيـ الـذـيـ يـدـرـسـ فـيـ تـنـاـولـ كـتابـ الـرـوـاـيـةـ لـمـرـضـعـ مـعـينـ هوـ الـرـيفـ الـمـصـرىـ وـعـالـمـ الـقـرـيـةـ وـتـطـوـرـ تـنـاـولـ الـرـوـاـيـةـ لـهـذـاـ الـعـالـمـ الـرـحـيـبـ، ثـمـ فـيـ بـعـدـهاـ الـفـرـدـيـ الـذـيـ يـتـنـاـولـ فـيـهـ اـنـتـاجـ كـاتـبـ مـحـدـدـ بـالـدـرـسـ وـالـتـحـمـيـصـ. لـكـنـ هـذـاـ الـعـطـاءـ الـنـقـدـيـ لـيـسـ هـوـ كـلـ إـلـجـازـ عبدـ المـحـسنـ الـعـلـمـيـ لـأـنـ جـزـءـاـ كـبـيرـاـ مـنـ جـهـةـ الـنـقـدـيـ مـوزـعـ بـيـنـ عـشـرـاتـ الـأـبـحـاثـ الـتـيـ أـشـرـفـ عـلـيـهاـ وـصـحـعـ مـسـيـرـةـ أـصـاحـابـهاـ، وـيـذـلـلـ فـيـهاـ الـجـهـدـ وـالـعـرـقـ مـاـ لـوـ وـفـرـهـ

لنفسه لأنجيز به العديد من الكتب والأبحاث. لكن كتبه على قلتها هي من النوع المؤسس لمسار سرعان ما تندفع فيه الأبحاث من بعده، والمرسى لقواعد اتجاه بحثي يستفيد من تطبيقاته جل تلاميذه. فما أن يخط مسارا حتى يستنكشف تكراره، ويُفضي للبحث عن مسار جديد. فقد كان هدف هذا الناقد الجسور أن يوسع آفاق مجال الدراسات الأدبية والنقدية وأن يرسى دعائمه وأن يضيف بعمله إلى الاتجاه المعرفي الأصيل لرجال الجامعة المصرية الأماجدة.

لكن عبد المحسن لم يكن من رجال الجامعة الذين يحصرون نشاطهم بين جدرانها، أو يتصورونها برجا عاجيا معزولاً عن الواقع الذي يعيشهما، وإنما كان من الذين يؤمّنون بدور الجامعة الفعال في الواقع ويطمحون إلى مدراساتها إلى الحركة الثقافية والأدبية خارجها. ومن هنا مارس عبد المحسن نشاطه النقدي في الحياة الأدبية والسياسية في الجامعة وخارجها، وكان جزءاً من تلك الحركة الأدبية الجديدة التي هيئت رياحها المنشئة على الواقع الأدبي في السنتين فغيرت المسماة الأدبية وعمقت من وعي الكتاب بحقيقة الواقع ومتطلبات العمل الأدبي معاً. وكان من إسهاماته الهاامة وعيه بالبعد العربي للدور المثقف في مصر، وإيمانه بأن له رسالة قومية لاتقل أهمية عن رسالته في الواقع المصري الذي يعيش فيه. فقد كان عبد المحسن من الجيل الذي صاغ ملامح الرواية القومية والعربي لمصر، فقد شارك في المقاومة الفلسطينية في بداياتها مؤكداً على ضرورة أن يمزج المثقف الفكر بال موقف العملي. كما أن تلاميذ عبد المحسن العرب لا يقلون عدداً ولا أهمية عن تلاميذه في الجامعة في مصر، ويتشربون في أرجاء الوطن العربي من العراق والم الخليج حتى الجزائر والمغرب. فليس ثمة كاتب أو مثقف من مصر أو من أي جزء من أجزاء الوطن العربي لم يعرفه عن كثب ولم يتل شيناً من اهتمامه.

وإذا كان لي أن أختتم هذه الكلمات القليلة عن هذا الناقد الجامعي الجسور بكلمات عن عبد المحسن الإنسان الذي عرفته منذ أكثر من ربع قرن من الزمان. فقد عرفت عبد المحسن السنتين عندماً كنا نلتقي ونجمّوعة من الأصدقاء كل أسبوع في تدوة أنور المعاودي خاصة، كان عبد المحسن هو الذي جلب إلى تلك التدوة الراحل العزيز عبد الجليل حسن الذي كانت فيه الكثير من خصال عبد المحسن ومن صرامته وجديته. وكان من أخلص أصدقائهما معاً العزيزان سليمان فياض وأبو المعاطي أبو النجا وأنضم الأربعة إلى جمهور هذه التدوة من كتاب هذا الجيل من بهاء طاهر وصبيح شقيق إلى رجاء النقاش ومحبي الدين محمد وغالب هلسا. وكانت التقى بهذا الجمع الحبيب من الأصدقاء كل خميس تبادل الآراء ونلتقط ما كتبه كل منا وكل ما صدر في العالم العربي وتناقشه بصراحة من يريدون تغيير العالم وقد امتدوا بالأحلام الكبيرة والرؤى الفواردة بالتفكير، حتى فرقـت بيـتنا أيام السبعينـيات الخـوارـون. وكان عبد المحسن أكثر الجميع تمسكاً بأخلاقـيات القرية. يعيشـ في القاهرة الصـافية المـزدـحـمة بـأـريـحـيةـ الفـلاحـ الطـيبـ الذيـ يـستـبـعـ كلـ عـيـبـ فـادـحـ، وـالـذـيـ يـضـعـ الـواـجـبـ الـاجـتـمـاعـيـ وـالـاخـلـاقـيـ نـصـبـ عـيـنـيهـ حتـىـ وـلوـ أـضـطـرـ فـيـ سـبـيلـ هـذـاـ إـلـىـ الضـفـطـ عـلـىـ نـفـسـهـ إـلـاـ وـكـانـ مـنـ أـوـلـ الـواقـفـينـ بـجـانـبـ شـرـيطـةـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ الكـاتـبـ مـنـ الـذـينـ يـحـترـمـونـ شـرـفـ الـكلـمـةـ وـالـذـينـ يـؤـدـونـ لـهـاـ حقـهاـ. لأنـ صـرـامـةـ عبدـ المـحـسـنـ معـ نـفـسـهـ كـانـ

تدفعه للصراوة مع الآخرين، والابتعاد عن الدين لا يستأهلون اهتمامه ولا يستحقون عنايته. ما ذهبت مرة لزيارة أهل دنجل في مرضه الأخير إلا ووجدت عبد المحسن جنب سريره، وما عدت مرة عبد الحكيم قاسم في أزمته الصحية الأخيرة إلا وكان عبد المحسن بجواره، وعشرات غيرها من الكتاب الذين يحترمون شرف الكلمة فيشعر أن عليه إياهم واجباً مقدساً لا يمكن له التغريب فيه ولا يسامح في حقد مع الآخرين من الذين يحترمهم.

فقد كان عبد المحسن دلال على أصدقائه وكان لهم دلال عليه، وما عدت مرة إلى مصر بعد هذا الفراق السبعيني عنها إلا والتقيت به أو سهرت معه. وكنا في كل مرة نتناصر معاً ما جرى لمصر وما انتاب الحياة الثقافية فيها، وكيف يتذكر الآن من جديد كل ما كرسنا جهودنا لمحاربه منذ بوادر نشاطنا الثنوى في السبعينات. وكانت في كل مرة ألسن تزايد حدة غضبه على تدهور الواقع الأدبي من حوله، وعلى ما انتاب أخلاقيات العمل الأدبي من وهن، وأحسن وشدة رغبته في العمل على تغيير هذا الواقع المختل. وكان دائماً يشكو من تبدل الزمن وثبوط الهمم ولكن أبداً لم يدخله اليأس من التغيير أو الأمل فيه. وكان آخر لقاء لي معه في زيارة القاهرة التي لقيته فيها عدة مرات لتسعيل إسهامه الناقدى المتميز فى البرنامج الذى أعددته عن غريب محفوظ للتليزيون الإنجليزى. وقد استطاع أكثر من غيره من الذين شاركوا في هذا البرنامج أن يأسر فريق العمل الإنجليزى بطريقته وأريح بيته وتواضعه، وبискنته وثاقب آرائه ودقته في التعبير، وأهم من هذا كله بالتزامن الجاد بكلماته، بالرغم من حدة المرض الذى بدأ بهاجمه الخريف الماضى. بينما كان يتحلل الآخرون من وعدهم ببساطة ودون تقدير لأن شرف الكلمة وأمانة الرأى من الأمور التى لا تتجزأ. المرض قد بدأ يقترب من الكبد، ويفت فى جسده، ولكنه كان مشغولاً عن مرضه بأداء رسالته التى كرس لها كل حياته، وهو النطاع عما يعتقد أنه الحق والوقوف في وجه كل ما يبرأ من ثبوط فى العزم أو تغريب فى المبدأ، حتى يرهف قدرة الشرفاء على الوقول في وجه تيار التردى الكاسع. فوداعاً أيها الناقد الجسور.

### في العدد القادم:

- «أحلام المدينة» في «يوم صو» / أحمد يوسف
- «البيروسترويكا والأدب» / ترجمة: سمير المينا
- ناظم حكمت وعزيز نيسرين:  
غلا مستان على الأدب التركى الحديث

في ذكرها الأولى:

## إنجى أفالاطون: مواسم الرحيل

حوار: مى التلمسانى

عشر فدادين سبل  
والريح  
كان جري مات جري  
والبعض لما..  
ولما..  
«تنفرط من وسط اللمة»  
إ. ف. د.  
كنا نحب القمة ونحب  
لما نقابل  
نسمع كلام النساء  
ونستريح  
في حضن العشرة وأقول  
فدادين عشرة  
سبعين ربيع  
ولم يستمر لما مات  
يالبعض،  
كان جري.  
م.ت.



إنجى أفالاطون

إنجبي دائمة الترحال، لكنها في العام الماضي قررت الا تعود. وها هو العام ينقضى فيدفعنا الشوق اليها نلجاً إلى أشجارها وتحليلها وحقولها والفلحات الاتي يشرثون في مواسم الحصاد، نرهف السمع فتُبَعِّثُ إنجبي في الضوء الفضي المشع من ثنايا لوحاتها، تتحدث. ثلاثة ساعات إنقضت! استمعت إليها ولم أشعر بوقت أو مكان. كنت مشدودة أو مسلوبة القلب وكانت تسترسل أو تستطرد أو تتعرق لاستعيد المذاكرة فكان هذا القاء: «في البدء كنت صغيرة»..

....» وكان أبى عالم حشرات وهو مؤسس قسم علم الحشرات فى كلية العلوم وقد ورثت عنه جبى للرحلات والمغامرة والاكتشاف.. أما أمى فقد كانت تتمتع بشخصية قوية جداً وهى أول مصرية تفتح محلأ للأزياء فى مصر، بالاتفاق مع طلعت حرب وكان اسمه «صالحة» على إسمها. أخرى الكبرى كاتبة أدبية كانت منذ الصغر تكتب قصصاً للأطفال تنشر فى مجلة بالفرنسية كان يصدرها أحمد رايسم زوج خالقى، وكانت لهذه القصص، أوقumen بعمل الرسوم الخاصة. وأخت الصغرى كانت موهوبة فى الرسم ولها معارضن فقد كانت تلبيدة سيف وانلى، لكنها كانت مقتلة وماتت فى سن مكيرة.

.....  
كانت الأسرة كلها وخاصة أمي تشجعني على الرسم وحين كبرت قليلاً حضروا إلى معلمين  
كثرين لتعلمي فن الرسم لكن لم أكن سعيدة بهم فطر رقتهم جميعاً كانت تقليدية. حاول أبي  
أن يشجعني على الرسم بأن أنقل له بواسطة الميكروسكوب شرائط من المشرات وكانت سعيدة في  
البداية بهذا العمل لكنني بدأت أملأه لأنّه مجرد عملية نقل علمي لا إبداع فيه. إلى أن تعرّفت  
على كامل التلمساني.

نقطة ثالث؟

كانت معرفتي به نقطة تحول في بداية حياتي الفنية. كان التمثيل يتحدث ولا يرسم، كانت هذه هي طريقة التعليم.. وأذكر أن أول يوم رأيته فيه محدث عن معنى الفن وأنه تعبير عن الإنسان إلى آخر ذلك ثم طلب مني أن أنسى كل مادرسته في المدرسة (وكلتني الليسيه) وأن أرسم ما أشعر به.. وأعطياني المبادئ الأولية عن الألوان.. في الأسبوع التالي فوجئ باللرحة الزيتية، التي قدمتها له وكانت عن فتاة تحاول تحاول الخروج من النيران.. كانت مناجاة تحسن لها وصارحنى فيما بعد أنه خاف أن أكون من هؤلا ، البنات البرجوازيات اللاتي يتعلمن الرسم مثلما يتعلمن المبادطه. رحلة التعليم مع التمثيل كانت مفيدة جداً بدأتها وأنا لم أتعذر عشرة من عمرى واستمرت ثلاثة أو أربعة أعوام كان لها تأثيرها الانساني والفكري على نفسي.

• كيف كان ذلك؟

من الناحية الإنسانية والفكرية فتم لي كامل

الملمساني نافذة كبيرة على العالم.. تحمس لقضايا مصر والعالم وأصبحت عندي رغبة قوية في النزول إلى الشارع المصري خاصة وأنني كنت أتحدث الفرنسية في ذلك الوقت ولا أعرف العربية. كان لكمال الملمساني الفضل في إزالة الموارج واعطاء فرصة الظهور للعمد بداخله.

المعرض الأول؟

• في ١٩٤٢، اشتراك في معرض المستقلين مع جماعة الفن والحرية ثم إشتراك معهم في معرض ثان عام ١٩٤٣... كنت صغيرة جداً في ذلك الوقت لذا فانا لا أذكر الكثير عن جماعة الفن والحرية... خاصة وأن صلتي بالتملسانى انقطعت بعد ذلك بفترة..

هل كانت تلك الفترة هي بداية نشاطك النسائي أيضاً؟

نعم. كونت فرقة ثورية في الليسيه وكنا نبحث عن الكتب التقدمية فتقراها وتنصل بالجماعات السرية... من هنا كان دخولي الحركة الوطنية وأصبحت من أوائل النساء التقدميات في مصر.. جربت العمل مع الجمعيات النسائية الموجودة حينذاك لكنها كانت مجرد صالونات منفلترة على نفسها.. بعد الحرب العالمية الثانية في ١٩٤٥ كونت رابطة- فتاة الجامعة والمعاهد وكانت أول حركة نسائية تقدمية قوية في مصر مثلت هذه الرابطة مصر في أول مؤتمر نسائي عالمي وهو مؤتمر تأسيس الاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي وكانت عضوة مؤسسة في هذا الاتحاد وأنقيت خطبة ربطت فيها بين قضية المرأة وبين الاستعمار والسرای والرجعية كانت سبباً في اضطهادى بعد ذلك..

في ١٩٤٦ حضرت المؤتمر التأسيسي لاتحاد الطلبة العالمي في براج، ثم في ١٩٤٧ حضرت أول مهرجان شباب عالمي كنت أمثل رابطة فتاة الجامعة والمعاهد. في هذه الفترة كنت أحارول أن أناست استقلالياً بالعمل.. أعمل صاحباً في المطبعة في تدريس الرسم واللغة الفرنسية وأعمل في النشاط النسائي مساءً و كنت إلى جانب ذلك كله قد بدأت عملية التصوير بالاختلاط بالمصريين الحقيقيين ويتعلم اللغة العربية وقد منعني ذلك استقلالاً كبيراً.

• معنى ذلك أنك إنقطعت عن العمل الفنى؟

• حتى سنة ١٩٤٨، بعد معرض الفن والحرية (٤٢-٤٣) إنقطعت عن التلمساني ثم انقطعت عن الرسم حوالي سنة ١٩٤٥. كانت السيرالية تتنفساً عن التمرد بداخله و حين إندمجت في العمل السياسي شعرت أن ما أرسمه سي وأنه ليس من الهم بالنسبة لي أن أصبح فنانة فتوقفت عن الرسم حتى سنة ١٩٤٨. في ٤٨ تزوجت من وكيل نبابة تقديم ترك عمله لأجله، ومنعني، زوجي، الاستقلال الذي كنت أعمل لأجله ففتقربت للرسم. حين فكرت في العودة

للرسم بعد زواجي قررت أن أبدأ بشكل جدي يتشعب مع افكارى ومع عملى فى المجال السياسى والاجتماعى... كانت «رحلة بحث عن الجنوبي» .. كانت مرحلة اكتشاف متواصل.. كنت أذهب إلى الأحياء الشعبية ومصر القديمة والقرى فى الصعيد والاسكندرية وبطليم، كان الريف الموضوع الأساسى فى لوحاتى. وكان اتجاهى إلى الريف بسبب إحساسى أنه يمثل مصر الحقيقة. فى البداية كنت أرسم من الأحياء الشعبية لكننى أحسست أنها ليست فى صفا، الريف... إلى أن بدأت أشعر أنى أريد البقاء فى الريف والانسجام معه.. واكتشفت أن اليد العاملة هناك هي المرأة.. جمع القطن، الموز، البرتقال... كان الريف أساساً بالنسبة لي الاطار الذى أقدم من خلاله الفلاحين والفلاحات أثناء العمل. لم يكن لدى ميل للمناظر الطبيعية لأنى كنت أريد التعبير عن الإنسان.. حين بدأت أرسم الطبيعة فى مصر وأحاول إبراز الشخصية المصرية من خلال التصوير، أصبح الشجر عنصراً أساسياً فى لوحاتى.

#### • وهل واجهت صعوبات فى ذلك؟

كانت مرحلة صعبة جداً، لأنى عدت إلى دراسة أبيجدية الرسم لأعبر عن مصر وعن الإنسان المصرى، كانت مرحلة صعبة لكنى كنت أعرف ما أريد التعبير عنه ثم كان أول معرض خاص بي فى مارس ١٩٥٢ وكان معرضًا ناجحًا لأنه كان فى فترة الغليان الذى يسبق الثورة.. من خلال هذا المعرض تناولت كل قضايا المرأة التى تنهلها الفلاحة المصرية فى أغلب الأحيان.

إذن لم يكن هناك تناقض بين الرسم وبين فكرك ونشاطك السياسى، ما بين ٤٦٢ و٤٥٢

قد يظهر فى البداية أن هناك تناقضًا بين إنشغالى بالعمل السياسى والعمل الفنى، لكنى كنت أتبع نظاماً حديدياً، فى الصباح عمل فى الفن، كنت أذهب إلى الريف وبعد الظهر إجتماعات ونشاط سياسى. وكان زوجي أيضًا يمارس نشاطة التقى فكانت حياتى مليئة بالمشاغل. لكن السياسة فى النهاية جعلت للعمل الفنى معنى أعمق، والعكس صحيح، لأن النشاطين يكمل كل منهما الآخر وإن كان التوازن بينهما صعباً خاصة وأن وظيفة العمل فى بلاد ليس بها أحزاب يصبح مضاعفاً وkan قادر النساء التقى محدوداً.

#### • سيزا نبراؤهى؟

سنة ١٩٥٠ تعرفت على سيزا نبراؤى وكان لنى معها كفاح طويل وكانت معها حين بدأت المقاومة فى منطقة القناة أول جنة نسائية للمقاومة الشعبية.. سافرت إلى الإسكندرية وجمعت التبرعات ثم كان حريق القاهرة وتم القبض على كل الفدائيين وأغلقت جميع اللجان.



في ١٩٥٦ أعدنا تكوين اللجنة الإنسانية للمقاومة الشعبية بعد المدوان الثلاثي. وفي ١٩٥٧ دخلت المرأة الانتخابات وكانت سوزا نبراوي مرشحة فيها. كونا جمعية مستقلة عن الحكومة تحت اسم الاتحاد النسائي القومي وكانت تضم نساء من اليسار واليمين والوسط لكن الحكومة أوقفت نشاطها بعد أسبوع واحد- في يناير ١٩٥٩ بدأت حملة الاعتقالات وفي مارس ١٩٥٩ أقيمت معرضاً أحسست خلاله أن السلطات تنوي اعتقال المرأة أيضاً ولم يكن ذلك قد حدث من قبل، ذهبت مرتين أو ثلاثة للنهاية التي قامت بتفتيش بيتي لكنهم كانوا يفرون عنى حين لا يجدون شيئاً ضدي. كنت في تلك الفترة من مارس ١٩٥٢ حتى مارس ١٩٥٩ أقيم معرضاً سنرياً تقريباً<sup>١</sup>

#### · وماذا كان رد فعلك تجاه الاعتقالات؟

· هربت، حين أحسست أنهم ينورون القبض علينا. جمعت المعرض قبل نهايته وقدمت صورة لسابقة المناظر الطبيعية التي كانت تقييمها وزارة الثقافة. كان هربوا نصف هروب ولكن حين تأكدت، تذكرت لمدة ثلاثة أشهر ونصف في ملابس فلامة وكان زوجي قد توفى فكنت وحيدة. حتى تم القبض على واعتقالي في سجن القناطر

· هنا تبدأ مرحلة جديدة في تاريخك الفني يمكننا أن نطلق عليها محنة السجن، فكيف عشت هذه التجربة؟

· فترة السجن كانت فترة نضوج فني وإنسانى وفكري. أنا أرى أن الفنان حين ينتقل إلى وضع غير طبيعي أو مأساوي مثل الحرب أو السجن فهو إما ينهار ويتعطم وإما يعطي ذرة ماعنته من عطا، لأنه ينفعل مع الوضع الجديد. لم يكن جوياً سيصبح فناناً عظيماً لولا الحرب

الأهلية في إسبانيا في السجن حاولت أن أتأقلم وبعد ثلاثة أو أربعة أشهر بدأت أحس أنني أريد الرسم وكان ذلك متنوعاً. لكنني استطعت التناهُم مع مأمور السجن حينذاك وكانت قد فزت بالجائزة الأولى من وزارة الثقافة عن لوحة المسابقة قبل فترة الهروب والسجن.. فعُزِّزَ ذلك موقفني وكانت أشترى الصور التي أرسّها حتى لا يبيعها المأمور في الخارج.. ثم أخذت حق الرسم وكانت الوحيدة التي يسمح لها بالخروج إلى المعرض للرسم. في السجن أحسست بقاع المجتمع. السجن قرية صغيرة مغلقة على كل عيوب المجتمع المحبوبة والمتسايدة لهذا السبب كانت أجلس مع المسجونات أتحدث وأسمع منها قصصاً وآمالاً فظيعة، أحسست أن السجن فرصة كاملة لأعرف بلدي أكثر وأدخل في أعماق الناس.. كنت أريد أن أغير عن كل ما شاهدته في السجن لكن اللوحات كانت تمر على المأمور وعلى مصلحة السجنون والباحثين ذات مرة صورت ١١ لوحة وكانت هذه هي المشكلة التي اضطررت إلى تهريب اللوحات من السجن.

• قيل السجن كان الريف موضوع لوحاتك الأساسية فهل غير السجن ذلك؟  
من الناحية الفنية كان إهتمامي منصبًا على الأشخاص وعذابهم، كنت أستطيع إلى قصصهم وترجمتها إلى تعبير فني. كنت أقول لنفسي أن هذه النساج البشرية لن تستطيع رؤيتها ثانية خارج السجن فكنت أرسم بورتريهات. ثم مررت على فترة أحسست فيها أنني ألهفت على الطبيعة إلى حد أنني رسمت شجرة واحدة كانت في «ساحة السجن». رسمتها في كل الفصول. هذه الفرصة لم تكن متاحة بالطبع خارج السجن لأن الاختيار يكون أوسع أمام الفنان.. ورسمت أيضًا القلوع التي كانت تبدو رواً، القضايا من بعيد فكنت أرى الشارع كأنه يسير داخل السجن وسبب لي هنا جنونا لأن الشارع كان يتحرك ونحن ساكنون في أماكننا.. كنت أصعد إلى سطح السجن لأرى «الشارع وأرسم إلى حد أن المسجونات كن يتحسنن لي كثيراً وبنادوننى حين يرين شرائعاً في الأفق. كنت أريد أن أبتعد قليلاً عن بؤس الناس وعذابهم. ليس هروباً وإنما محاولة للنسopian. واستمرت فترة السجن أربع سنوات ونصفاً.

بعد طول انقطاع عن العالم الخارجي كيف كان إحساسك بالطبيعة؟  
واجهتني مشكلة ثانية بعد خروجي، كان صعباً علىَّ أن أرى كل هذه الألوان وكل هؤلاء الناس. ذهبت إلى الإسكندرية وبعدها إلى الريف وكان الموس موسم جنى القطن. لم أكن أعرف كيف أرسم لكثرة الناس وكثرة مشاهد الطبيعة. هنا بدأت فكرة المحاصيل في لوحاتي. قبل ذلك لم أكن أرسم المحاصيل كثيراً. وحدثت لي حالة «زغللة». في السجن كان الظلم ولم تكن هذه الألوان موجودة. أمتدت هذه الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٣. وحصلت على التفرغ لمدة عام كامل قدمت خلاله معرضاً جماعياً. لم يفهم أحد ذلك التكنيك الجديد وهو ترك مساحات بيضاء، في اللوحة تعطى انطباعاً بالشفافية والنور. من خلال الريف والناس كنت أبحث عن الحركة. ديناميكية الحياة عبر الريف والناس واستمر بعدها في جميع مراحل عملى الفني، أما الشيء الثاني فهو النور لأن النور في مصر ساطع جداً ومرحلة ما بعد السجن أظهرت عنصر النور هنا

٤٩٧٣ . وبعد

قال النقاد أني لم أعد أهتم بالانسان وأنى أصبحت أهتم بالطبيعة، وهذا فى اعتقادى رأى سطحى لأن الانسان موجود لكن فى الصحراء يبدو صغيراً وسط الجبال والكتابان الرملية لكنه جزء هام منها أيضاً.. فى سيناء قمت بالتركيز على الصخور والألوان لأنها رؤية جديدة لى كفناة. بين ٧٦ و٧٧ اكتشفت الواحات.

هل صاحب ذلك تغير فى التكينيك؟

هناك تغير دائم فى التكينيك يسعى إليه الفنان لكنه ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أخرى بشكل غير واع، ولو كان واعياً لأصبح مصطنعاً. كان معنى بعض الفنانين الذين يرسمون رسماً اكاديمياً ثم انقلوا فجأة إلى التجريد تماماً، وهذا غلط. حين بدأت أرسم الطبيعة فى مصر وأحاول إبراز الشخصية المصرية من خلال التصوير أصبح الشجر عنصرًا أساسياً، أما التغريب فكنت أعتبره فى البداية خالياً من الحركة. حين بدأت رحلاتى فى قلب الصعيد أحسست أن التغريب جزء من الشخصية المصرية والعربية أيضاً. هكذا رسمت كل الأشجار الهامة فى مصر مثل الصفصان والدوم والموز.

هل تبدلت نظرتك للمجتمع أيضاً؟

الغريب أن تدهور المجتمع يأتي عندي بنتائج عكسية. أعني أني أظل معتقدة بتفاؤلى وصفائي، وذلك لأن الشعب المصرى شعب منطبعته رغم كل السلبيات والآلام التى يمر بها. فى البداية حين واجهنى الفقر المدقع الذى يعيشة الناس أحسست أن بداخلى شحنة قوية جداً ظهرت فى صورة مأساة ثم بعد أن اكتشفت مدى تفاؤل الشعب نفسه وجدت فى ذلك شيئاً من الايجابية جعلتني أكثر تقديرًا له وأكثر تفاؤلاً به.



## ثوشة لن يعتذر عنها محمد مهران السيد

فوزى شلبي



ولأنه شعرى أنا..  
لا يعرف الصمت المريب ولا ساسرة الفنا  
حتى ولو جمنا، وعزت كسرة الخيز المقدد..

ولأنه «مهران السيد» فهو خلاك كثير من الشعراء..

استغرقته قناعاته وتوجهاته السياسية طوال حقبة الخمسينيات، ثم سجن من ٥٩ إلى ١٩٦٤،  
وأضيف إلى قائمة العاطلين من ٦٤ إلى ١٩٧١، وفي كل ذلك كان له بيت وزوجه واطفاله،  
وانصرف جهده كله لاعالئهم من خلال كتابه بعض البرامج الاذاعية والتي لم تكن تدر إلا ملايم،  
حتى بلأ إلى أخذ منحة تفرغ لمدة ثلاثة اعوام، ورغم أن راتبها محدود للغاية، إلا أنه تمكن خلال  
هذه الفترة من الحصول على مسرحيته الشعرية «الحربة والسمسم» و«حكاية من وادي الملح» بجانب  
مجموعته الشعرية الأولى بدأً من الكلب والثانية «ثرثرة لا اعتذر عنها» والثالثة «زمن  
الرطبات» والديوان المشترك مع الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة والمصري حسن توفيق «الدم  
في الحداقة» وديوان «قادم من النجوع»، وهو خلال هذه الرحلة الطويلة لم يعرف حياة الدعوة في  
يوم من الأيام، ولم يتتوفر له إلا الدخل المتدين، وأيضا لم يستبدل مهران.. بمهران آخر، ولم يسع  
إلى استخدام مساحيق التجميل والأقنعة، ولم يحاول الأقتراب من السلطة، ولم يدخل في زمرة  
شلة، ولم يرفع شعار «شيلى واشيلك».

وعن كل ذلك يقول مهران بتأثر:

«كنت ولازال راضيا عن نفسي ولايزلتني شئ الا شيق ذات اليد، وهذا  
شئ مقدور عليه، اخترت بنفسى لنفسى، ذلك لأننى اخترت عن قناعة، الا  
أكون رقما يضاف للتعداد العام، وان احتفظ بشوئ نظيفا بقدر الامكان،  
ويكتفى اتنى لم اخن ناس القراء الذين ولدت تحت رايهم، ولنى طلها  
عشت.. وايضا محظتها سآمنت»

وفى مقالة عن ديوان «زمن الرطانات» يؤكّد د. على البطل:  
«مهران السيد لم يقايس على فكره، وعلى قلمه، من ناحية، ثم انه لم يكتب ماكتب بالمجان  
من ناحية أخرى.

كان مهران يستطيع أن يحصل على الكثير مقابل شعره، أو فكره، كما  
حصل غيره، في داخل بلده وخارجها. لقد كانت السلطة في بلده على  
استعداد، بل راغبة، في أن تقايس على التفكير والكلمة كثيراً من الرفاهية  
والنفوذ، وكانت جهات متعددة خارج بلده على استعداد، بل راغبة كذلك، في  
أن تتاجر مع مهران بشعره وفكرة مقابل حالات المجد وحياة الرغد. ولكنه  
فضل أن يصون فكره وشعره وشرفه، وان يرجع»

إذا كانت الرفاهية ثمن المباينة فأن مهران قال رب السجن احب الى وكان الصفار من حوله  
يكبرون نفخا، وكان صوتهم يعلو برقا، ولكن مهران السيد كان الوطن قدرأ محظوها عليه، نظل  
جائعاً وظل سجيننا، وظل شيئاً.

[ كانوا قد مروا..  
- بهنى والأضال شأننا.. خطوات-  
وتعجلت عن الصفا]

وبدأت حوارنا قائلاً:

- الدراسات الأدبية لم تحدده بهذه الشعر الحديث، وقد تنازعته المدرسة  
العراقية وعلى رأسها الشيبا، ونرازك، والبيهاني - والمدرسة المصرية  
بأهانتها الأولى على يد باكثير وامعداداً إلى عبد الصبور، ومهران السيد  
من الشعراء المخضرمين الذين واكبوا الشعر العمودي والفر فما وأيak في هذه

القضية التي أثارها د. النوبن في كتابه «قضية الشعر الجديد» ردًا على كتاب نازك «قضية الشعر الحر»؟

القصيدة الجديدة، أو الحديثة، لم تكتشف فجأة، لأن تفضي بك تجربة معملية في مختبر إلى شئ لم يكن في حسابك. هناك محاولات مبكرة في مجال قضية التفعيلية، لكنها لم تستمر، إذ كانت متقطعة، ولم تهدف إلى التأسيس والتأصيل، على سبيل باكثير، وفريد أبو حديد وغيرهما..

### ومسألة التنازع بين المدرسة العراقية والمصرية؟

اعتقد أن هذا الأمر أصبح تاريخاً، لا محل له في الطرح الآن، واعتقد أن بريق الاكتشاف الأول هو الذي قاد إلى تنازع «براًًا والآخراء» بين من سبقوا إلى النظم بالشكل الجديد، أما الريادة المتنازع عليها أيضاً، فانا اراها بشكل مختلف، لأن كل من جذبهم مفهوماً قضية التفعيلية في جينيتيها اعتبرهم من رواد هذه المدرسة، وهم الذين اسهموا في تأصيل هذا المنح الجديد، أو الوعاء الجديد الذي اتسع لرؤى ومعطيات جد مختلفة. ولا نهل بعقل مثلاً ان شاعرين أو ثلاثة أو أربعة، كانوا ضمانة الاستمرار وقوة الدفع، لا ياسيدى، مهما علا صرخ البعض، ومهما توالي الضرب على اعاندة تأكيناً لأحقيتهم في الريادة المزعومة ومهما حارب بعض النقاد الشللين ان يحيطوا رأس هذا أو ذاك بهذه الهالة.

ثم لماذا هذه التجزئة، كقولك المدرسة العراقية، والمصرية، اتنا بعدد الشعر العربي وجдан الأمة كلها، ولا تتحدث عن اللهجات العامية أو المحكيات وما أشبه.

بدأ المسرح الشعري بأعمال شوقى التقليدية، وتم تطويرها بعض الشئ على يد الشرقاوى مروراً بصلاح عبد الصبور وانتها، بآخرين وصدرت لكم مسرحيات عديدة اهمها «حكاية من وادى الملح» فما رؤية مهران السيد المعاصرة للمسرح الشعري الراهن؟ وهل تعد اعماله المسرحية امتداداً وتطوراً للمسرح الشعري؟؟

ولماذا لم تهدى مواكبة للمسرح الشعري توازي المسرح الشعري؟ احمد شوقى هو الاب الشرقي للمسرح الشعري بلا منازع، وكان بالضرورة ان يأتي تقليدياً لأنه خرج من عباءة القصيدة العمودية، وما تزود به من ثقافات اجنبية كلاسيكية، فإذا اتينا إلى صلاح عبد الصبور، فانا اعتبره رائد المسرح الشعري الحديث، ومؤصله، بكل ما تنضوى عليه مسرحياته من قيم فنية وDRAMATIC وجمالية نقلت المسرحية الشعرية الى مرحلة كيفية جديدة.

ثم كيف يتفق ان يقول شئ من سؤالك، هل أرى فيما كتبت امتداداً وتطويراً لهذا المسرح، ثم قول البعض ان مسرحي الشعري القليل كينا هو، قصائد طربلة؟ وأنا اقول بدوري، من قال هذا الهراء؟ هل هو بعض ثرثارات الماقهي التي يقطع بها الوقت؟ فلما



اقرأ مثلاً في كل مكتب عنى - وهو كثير - ووquette عليه عيني، حكماً كهذا يؤكد الأفلام  
الذى يشبع فى اوساط من يدعون بالمتقنين.

اخ فوزى ..بساطة شديدة، ولكن بغير تواضع، ان مسرحيتى الشعريتين  
«المربى والسم» و«حكاية من وادى الملح» هما الفضل ماكتب بعد صلاح عبد  
الصبور ودعاك من هذا الطبل الأجلوب الذى يدق للبعض، أو هذا الذى يعرض  
على مسارح الدولة ياداً اسماء مسرحية كبيرة، ان هناك من يجعى اصول  
اللعبة من يتركزون فى مراكز صحفية أو غير صحفيه مؤثرة، هنا من ناحية  
ومن ناحية أخرى، فان انماط الابداع فى مصر تعيش فى جزر معزولة، فالادب  
فى جانب، والفن التشكيلى فى جانب، والحركة المسرحية فى جانب ثالث، ليس  
هناك ثمة تفاعل أو احتكاك، والقائمون على الحركة المسرحية لا يعلمون عن  
الشعراء أو عطائهم شيئاً، الا النذر الميسير من ذرى اليات المنشاة، أو من  
لديه القدرة على غشيانه مجالسهم «وريتاتهم» الخاصة، أو من يسعى اليهم  
طالباً الخطرة والقرب.

ان احدي مسرحيتى «حكاية من وادى الملح» على سبيل المثال اديت اكثر من عشر مرات على  
خشبتي مسرح الثقافة الجماهيرية والمسرح الجامعى، وها مسرحان جماهيريان بحق، فى الاقاليم،  
وداخل اسوار الجامعات، بل وفى الساحات الشعبية، وأآخرمرة كانت فى افتتاح قصر ثقافة مدينة  
١٥ مايو. ان هذا الجمهور العادى، هو الذى اخاطبه، وهو الذى اسمى اليه، لاقدم له نوعاً من  
التلقى الرفيع، والفرجة الممتعة، بعيداً عن غوغائية اضواه القاهرة.

أعتقد ان الفایه تکمن فى طيات هذا جمیعه فلماذا لم تواصل الكتابة فى المسرح الشعري؟  
لقد كان طموحى، ان اواصل الكتابة فى المسرح الشعري، لكن ظروف الخاصة حالت دون ذلك،  
وكثير من كتبوا فى هذا اللون الابداعى كان دافعهم الاوحد، ان يقولوا انهم اصبعوا مؤهلين

لتجاوز القصيدة وصولاً إلى المسرح الذي قام على الشعر في الأساس، ناسين أن أدواتهم قاصرة، وقصاري ما يقومون به اللوحات الموارية التي تفتقر إلى عمردها وهو الدراما.

هل هنا هو السبب في عدم مواكبة المسرح الشعري للمسرح التشكيلي أم أن هناك إسباب أخرى؟

- أعتقد أن عدم مواكبة المسرح الشعري للمسرح التشكيلي أمر لا يتعلّق بمصر وحدها، فهو قاسم مشترك على الصعيد العربي كله، وفي مصر محدثاً لم يكن ممكناً، إن المسرح الشعري، وهو جاد بالضرورة، في مواجهة الهجنة السبعينية المتأمرة، والتي كان من أهم سياساتها، ان تحول مصر إلى أرض محروقة، ومضرورة بالتطهير، والتسيب والفساد، وهيئـة النتاج الأدبي في معظمـه وغموضـه فيما تبقى منهـ، حتى إن المسرح التشكيلي لم ينتـج من الاغتيالـ، حيث قـامت على إشـاتهـ، عـروضـ الإيهـارـ والرقصـ على واحدـهـ ونصـ، والـموارـاتـ الجنـسـيةـ البـلـنـيـةـ، إلى آخر ما يـعرفـ الجـمـيعـ عنـ هـذاـ المـسـرـحـ، وـكانـ انـ اـنـهـاـ المـسـرـحـ، كـماـ تـداـعـتـ كلـ الاـشـيـاءـ فـىـ مـصـرـ.

سبب ثان هو تفشي الأميـنـ الأبـجدـيـةـ، والأـميةـ الشـقاـفيـهـ فيـ صـفـوـفـ الـمـعـلـمـيـنـ فـكـانـ انـ تـدـنـتـ الـمـيـاهـ الـاجـتمـاعـيـهـ.. إـلـىـ قـاعـ الـمـاهـةـ وـالـأـسـفـاـقـ مـنـ خـلـالـ ظـواـهـرـ سـاقـطـةـ قـشـلـتـ بـشـكـلـ عـامـ فـىـ سـيـلـ الـأـغـانـيـ الـهـابـطـةـ، وـتـجـارـةـ الـكـاسـتـ وـالـفـيـدـيـوـ كـاسـتـتـ الـتـشـكـيلـاتـ الـعـصـابـيـةـ، وـاصـبـعـ لـحـومـ الـكـرـةـ، أـعـضـاءـ فـىـ نـادـيـ الصـفـوـةـ الـاجـتمـاعـيـهـ بـيـنـ جـمـوعـ فـيـ شـعـبـ، يـحـصـلـ مـعـظـمـهـ عـلـىـ قـوـتـ بـرـمـهـ بـالـكـادـ.

صار من الشائع أن يكون الشعر الحديث مقللاً بالغموض والاحاجي تحت دعوى تغيير اللغة والحداثة وما إلى ذلك فما رأيك؟

وكيف ترى مستقبل الشعر العربي على ضوء هذا؟  
هذه الظاهرة- الغموض- تتطلب دراسات نفسية متعمقة من المعنيين بهذا الجانب كالدكتور (مصري حنور) وغيره، ليجيبوا عن سؤال «كيف يمكن تحليل ظاهرة؟» إن تكون واعياً سياسياً واجتماعياً من ناحية، أن يعني ابداعيـ الشـعـرـ مـنـفـصـلـأـ تـامـ الـانـفـصالـ عـنـ مـعـقـدـيـ، بلـ وـمـنـاقـضاـ لهـ فـىـ الـاسـاسـ، فـاـذـاـ تـحدـثـ نـرـاـ.. اـنـهـمـ وـأـعـلـمـ، وـإـذـاـ قـلـتـ شـعـراـ... الفـرـتـاـ

نـرىـ فـىـ هـذـاـ الرـهـ تـلـمـيـحاـ لـلـشـعـرـ السـبـعينـيـ، وـجـمـاعـاتـ مـاـيـعـيـتهاـ شـدـيدـاـ الاـخـلـالـ بـيـنـ مـاتـبـعـ وـمـاـ تـنـظـرـ لهـ الـاـهـدـاعـاتـ؟  
اناـ فـىـ حلـ منـ التـلـمـيـحـ ولـذـاـ اـسـمـعـ لـىـ اـقـرـلـهاـ صـراـحةـ، انـ هـذـهـ الـظـاهـرـةـ، وهـيـ بـعـضـ لاـ كـلـ الشـعـرـ السـبـعينـيـ، بـهـرـهاـ الـاـدـاءـ الشـكـلـيـ، وـالتـفـويـغـ عـلـىـ اللـفـةـ وـالـمـفـرـدـاتـ، فـكـانـ انـ حـوـصـتـ الـظـاهـرـةـ فـىـ رـقـعـةـ ضـيـقةـ قـاماـ، فـالـمـفـرـدـهـ نـفـسـ الـفـرـدـ، هـنـاـ وـهـنـاكـ، وـالـصـورـةـ المشـوشـةـ المـضـطـرـبـهـ هـيـ نفسـ ماـعـتـدـ هـذـاـ أوـ ذـاكـ، وـانـعـدـمـتـ الـخـصـوصـيـةـ، وـتـرـاجـعـتـ وـظـيـفـةـ الـأـدـبـ الـاجـتمـاعـيـةـ، وـالـتـيـ هـيـ اـحـدـ الشـرـوـطـ الـواـجـهـةـ فـىـ اـعـتـقـادـيـ، وـتـحـلـقـواـ حـولـ النـبـعـ «ـالـادـرـنـيـسـ»ـ الـذـيـ لاـ يـصـدرـ عـنـ فـرـاغـ،

ولكن له مخزونه «الشعوي» كما قال هو، وهو موقف معاد للثقافة العربية التي تجذرت «بالسيف» في اعتقاده، ولا سبيل إلى الاستئناس، إلا بتفكيك اوصال الوجдан العربي بالعودة إلى المحكيمات المحلية، وضرب الشعر العربي شكليه العمودي والحر، باعلاه شأن الشر الفنى، أو ما يسمونه بالشعر المثور، أو قصيدة النثر.

طالعنا هذا من خلال هجومك على «الثابت والتتحول» لأدونيس، ثم تصديك لمقدمة «ادوار المراط» الخاصة بالمدد (١٤) من مجلة الكرمل الفلسطينية حيث واجهت تنظيره لهذا المدد الذي يتحدث عن الحداثة، ومن ثم ثم أرى ضرورة التوكول أمام هذه الحداثة فهل تعتبرها جزء من حركة المجتمع في ذلك الوقت أم أنها شر على الهاشم؟<sup>١٢</sup>

لا يأس من العودة لذكر «أدونيس» الذي أرى انه، وجماعة شعر من بعده، لم يضيقوا جديداً للقصيدة العربية، ولكنهم واجهوها برؤى وفلسفات مضادة، يدعى «الحداثة» رغم اننا نعلم جميعاً، وجدنا، ان الحداثة في الابداع والتحديث في العلم، هنا تياران ملزمان لتطور البشرية، وان لكل عصر حداثته وتحديثه والا لتركت الميادة وفتحت البشرية.

عموماً، وفي تقديرى الشخصى، ان اى شئ غير راسخ ومفصل مصبه الى زوال، فما هي الا موجات تجرى على سطح ممزوج عن الوجдан الوطنى والقومى العام، ثم انا لست ضد اى خطاب شعري، ولو اكتنعت الساحة بعشرات الاتجاهات، فقط كل ما اريده، لا يقول شاعراً او جماعة، نحن ولا احد غيرنا مسفيهين كل ماعندهم، ساعين الى «شمولية» تضرب كل ماعداتها بالتهديد والوعيد.

وفي اعتقادى ايضاً، ان شعراً، السبعينيات، أو الشانينيات هم جماعة بعينها، كان من محاسن صنفها، أنها قاهرية، بمعنى انهم الاقرب الى منابر النشر ومواقع التأثير، أما نظرائهم فى الاقاليم.. فلم يسمع بهم احد، لاسباب كثيرة لا يتسع لها المقام...

على سبيلـ التهديد والوعيدـ الذى ذكرته الآن يرى البعض منهم ان هذه الموجات تم عن تدررات ابداعية لا يملكها من يتصدى لها، ما يدفع البعض من الفريق الآخر الى كتابة نماذج ما من هذه الكتابات، لا من باب التأثير ولكن على سبيل اثبات القدرة على الكشف والتعريفـ<sup>١٣</sup>  
ـنما تولك فى هذاـ<sup>١٤</sup>  
ـولماذا لم تقرأ لك ديواناً مطبوعاً منذ ديوان «زمن الرطانات»<sup>١٥</sup>

من المؤكد ان المبدع الأصيل لا يتأثر إلا بما يفرضه الفن الراقي وضرورياته اما عن الديوان فقد اعدت مثل فترة ديواناً جديداً، ولكنـ فى البداية قلتـ الى اين اذهب به، الى هيئة الكتاب

مثلاً، ولا تحول الى عبد ذليل له اذا يتطلب الأمر ان تعطى الهيئة معظم وقتك، رانحاً غادياً،  
ذارعها طرقات البنى الضخم، .. اصله عن الفاخص.. والفاخص لا يحضر.. وفوت علينا بكره،  
ثم الفاخص اوصى بعدم النشر.. لأنه ديوان نشاز، او يطلب رفع بعض القصائد لطبعه وجعله  
اسلس قيادة، واذا لم يكن هذا أو ذاك.. فهناك القوائم الطويلة المعدة للنشر، وهناك اولويات..  
ومنها شلة الصفتة والاخلاص، ومنها ان الدور محجوز لها او ذاك من الشعراء الموظفين بالهيئة  
والتي تصدر دواوينهم بشكل فخم جداً ومستفز حيث يختال كالطاووس بين المطبوعات الأخرى  
المناهضة..

واعطيك مثلاً واحداً.. نشرت لي الهيئة في مطلع السبعينيات مسرحيتي الشعرية «الحرية  
والسهم» في سلسلة مسرحيات عربيد، ثم نفذت، فتقدمت بطلب لاعادة طبعها ارفقت به نسخة  
من المسرحية وصورة رسمية من ادارة التوزيع بالهيئة تفيد فيه بنقاد المسرحية، فعماذا حدث، حتى  
الآن.. وبعد كل هذه السنوات.. لم يتم شيء، فماذا يريدون مني؟انا لن اسلك طريق التسول،  
والقرع على الابواب، واستجداه، هذا او ذاك او افتعمال صداقه زائفه مع فلان أو الضغط  
على صداقات قديمة لي، للظفر بالمراد من هيئة الكتاب والاسياد.. الذين لم يعودوا يقرون  
الاشياء، وفقاً لاندرا اصحابها فكل شيء يجري وفق المزاج وانا لن أرضي مزاج احد، ولن اشيخ فهم  
الاستعلاء في نفس صغيرة!!  
وعمراً فقد دفعت مخرجاً بديوان الى دار الغد اعتقاده سوف يصدر قريباً بعنوان «طار  
الشمس».

هذا لن ينفي ان عطائك- كما يقول البعض- قليل  
لكيف تبرر ذلك؟!

ولماذا كما يقول البعض، أنا بالفعل مقل، وهذا يردنا الى قضية الكل والكيف، هناك من يكتب  
ما يشكل مجموعة شعرية كل عام، وهناك من يريد ان يكبر «كومة» الشعري ظنا منه انه يطبل  
قامته، وهناك شعراً على امتداد التاريخ الثقافي، خلدهم ديوان واحد، بل وقصائد قليلة، طرفه  
بن العبد وغيره وغيره كثير، وفي الشعر الاولى هناك راميرو، ووالت وايتمان مثلاً، فلماذا تتكلم  
عن الكل «والعدد في اللييون» ولا تتحدث عن ماهية المطابع.. ثم لماذا تأخذ المبدع كظاهرة معزولة  
عما يحيط بها، كيف تفصلني عما يحيط بي من ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية محبطه،  
وقاسية للغاية، ثم ويرغم هذا، ويرغم قلة عطائين كما تقول انت، أو يقول البعض، الاست موجود  
في قلب حركة الشعر المعاصر والحديث، واشكل بعضاً من ضميرها ووحدتها الحية؟!

لماذا انت غير متواجد اعلامياً؟!  
هذا السؤال سوجه لي انا اذا كان، فإنه يستدعي ان الحسن ماسبق كلة، وتحول الى اللغز  
والثرثرة والكلام «البایت»، وفي النادر الذي ظهرت فيه على شاشة التليفزيون، فنى اعتقادى

الشخص، هو نوع تحصيل حاصل، وتلقي الاسئلة بالاتفاق حولها، وخاصة ان شاهد التليفزيون اصبحت ساحة للكبار والشباب، فكيف يصح ان يحجب مهران الى الأبد «هاتوه» مرة، ولا مرتين... منعاً للخروج وانقلات الاسئلة.

أستاذ «مهران» سبق وان توليت مسؤوليات في اصدار مجلات مثل «الموقف» العرب» و«مجلة الشعر» وغيرها؟! نهل تعتقد ان المجالات الأدبية الراهنة (القاهرة- ابداع- ادب ونقد) وغيرهم والصحافة الثقافية في الميادين القومية والحزبية، تسهم في خلق جيل أدبي؟

باختصار شديد، يمكن للمجالات الثقافية ان تسهم في خلق الأجيال الجديدة، بل هذا احد واجباتها الأساسية، ولكن بشروط جوهرية.

- ان يكون ذلك واضحا لها، ومن بين التزاماتها ومنهاجها.

- الا تسيرها الأهواء الشخصية، والسيطرة الشلية.

- الاتكون ملكية خاصة للقائمين على اصدارها، باستثناء رؤسا، التحرير محمد ان القائمين عليها من العاملين بجهة الاصدار.

اما بالنسبة للصفحات الثقافية في الصحف والمجلات، فيغلب على معظمها الطابع الخبرى، وهو جانب مفيد في اطلاعنا على الانشطة الثقافية الى جانب ما يظهر من مقالات متفرقة او تعطيات نقدية لبعض الكتب.

هذا بالضرورة يدعونا الى سؤال عام آخر عن مكان الأدب والثقافة بالمؤسسات الرسمية كلجنة الشعر مثلا بالجامعة الأولى للثقافة او جرائز الدولة التشجيعية التي لا نعرف لماذا أخطأتكم؛ والتمثيل الثقافي المصرى في المهرجانات الدولية، وجائزة البحر الأبيض المتوسط؟  
هل هذا الوشم يكرس للثقافه المفهوم؟

هذا سؤال مهم وارجو ان يتسع الصدر للأجابة فلنندع جوائز الدولة التشجيعية- لن يجعلون اقتناصها، ولتكن كلامي منصبا على الشعر وبجانه، فكل فرع من فروع الأدب والفن اصحابه، وربما اقول ان لجنة الشعر لا تمثلني بحال واعضاوها لا يمثلون الا انفسهم ومصالحهم ومن يقول بغير هذا اعتبره متبعا مكتشف الوجه كما يقول المثل الشعبي، واذا كانت بعض الجهات الثقافية بالخارج توجه دعواتها الى المجلس الاعلى للثقافة والذي يوجهها بدوره الى لجنة الشعر، التي يتقاسم افرادها السفر الى المهرجانات باستثناء - الذي يوجه دعواته بشكل شخصي- لهم في هذه الحالة ايضا لا يمثلون الا انفسهم ومصالحهم الشخصية، ليتبادلوا «القصيدة» في بلاد الله الواسعة، والظفر بجائزة البحر المتوسط التي اعتقادها مشبوهة «مشبوهة».

ثم هل يعقل ان تتحول اللجنة الى «مجمع للخالدين» الذين لا يتركون كراسיהם إلا بما ينزله  
لنا.. الله بالبشر؟

وما الذى تفعله هذه اللجنة- الشعر- أكثر من اقتسم السفر الى المهرجانات الخارجية،  
والضغط ليتنصل اعضاؤها الجائزة التشجيعية «وقبض» مكافآت الجلسات؟ اذا كنت تعرف مهام  
آخر ، نورني حتى لا استمر في الخطأ والتجمُّن على الناس؟ وهذا تحضوري وأقعده لم أروها من  
قبل، خلاً عملي سكريباً لتحرير مجلة الشعر المصرية، وكان رئيس تحريرها في ذلك الوقت د.  
عبد بدوى الذى كان يعيش سنوات متعددة بالكويت استاذًا بجامعتها، حول لى اتحاد الاعزاء  
وال்லيفزيون الذى تبعه الجله، مذكرة جامته من لجنه الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، مقادها..  
ان اللجنة ترى ان تقوم بالاشراف على مجلة الشعر.. لكننا، وكلنا وكيت، وكبت..

قلت في نفس «الله» انهم يتصورون انك فرد لا حول له ولا طول، وهم جماعة تريد ان «تلهم»  
المجله، لتحولها الى «منتزع» خاص بافرادها، يشيعون من خلالها اناناتهم وشهواتهم الذاتيه،  
وكان ان ردت على مذكرتهم بذكرة مضادة، عريت فيها سوء هذه الاغراض، فلم يعودوا الى بنش  
الموضوع مرة أخرى، واظن، او كما يجب ان يتبع ان هذه المذكرة محفوظة- ماتزال- في ملفات هذه  
اللجنة.

اما سؤالك.. لماذا اخطأتني التشجيعية، فأحيلك الى اجابتي السابقة، ثم هل كل من يستحقن  
الجائزة عن جدارة واستحقاق نالها ؟ ثم ماذا تضيف الى وانا اعيش الان «الوقت بدل الضائع» على  
حد التعبير الكروي، صدقنى.. كل شئ يأتي بعد أوانه.. يصبح مائماً ولاطعم له.. ولا يضيف  
ذكرى ولا يحزنون، ثم كيف اكون راضيا عن نفسي

## .. والكل في الظاهر يلقط الحصى ويطيل من عمر السجود ١١

«لورانس داريل»- رباعيات الاسكندرية- عندما حضر الى مصر، وظهر على شاشات  
التليفزيون المصري، طالعنا الملحق الأدبي بمجلة الموقف العربي حينما كنت مستولاً عنه بهجوم لك  
عليه ، وعلى الذين قدموا له لماذا ؟

لاستطيع الان اكون متفاعلا مع الظواهر الثقافية- رغم انى اقف خارج دائرة المثقفين  
بمساندة كافية- انى لست عصفراً مفردا على شجرة أو في قفص، ولا اقف لاباليا تجاه ما يبر  
تحت انتف، وعندما حضر الروائي الانجليزي لورانس داريل، كان هم الصحافة ان تتحدث عن  
صاحب « رباعيات الاسكندرية» واظهورو على شاشة التليفزيون والتي صحبتها كاميراتها، تتوجول  
معه في الاسكندرية واحيانها التي ضمتها رباعيته، وموجه من الاشادة والظنونه، من هؤلا،  
الذين اعتبروه هذا لأنه كتب عن اسكندرية، وكأنها لولا معارفها العالم، أو عرف مصر.. هؤلا،  
جيئوا ولا استثنى احدا، لم يعرف عن الرواية وصاحبها شيئا.. ولكنهم يسودون صفحات مثيرة  
ومبهجة، تضل الرأي العام القاري، وخاصة ان رباعية الاسكندرية. لم يترجم منها غير جزءين فقط

«جوسين»، وبالشازار «حسب ماوصل الى.. ولم ينتشر الا في اضيق الحدود. واردت ان اقول باختصار شديد، رفقا بنيا سادة.. فلورانس داريل، لم يكتب الا عن المجاليات الاجنبية التي كانت تمعن بها الاسكندرية في زمن كتابة الرواية، حيث شكلوا مجتمع الامتيازات الاجنبية الفوقى والمترفع وان المصريين عنده، فهم الحمارون والعربىجيه والبسالون. وان «جو سين» بطلة الرواية، فقد اختار لها ان تسافر الى فلسطين لتساهم فى بنا المستوطنات اليهودية الاولى حوالي عام ١٩٢٥ على ماذا ذكر ، ولكن هل سمعنى احد، او تعاطف معنى قلم، او حتى هاجمنى جهلى او لتدخل فيما لا يخصنى.. لأنطن.

وهكذا يحيك الصمت مؤامرتة ويستتر على مثل هذه الجرائم.

وماذا عن شركة «موبيل اوبل» التي تخصص جائزة للرواية العربية، تلك التي نشرت «الأهرام» والبرائد المصرية شروط مسابقتها في القصة حيث قرأت لك مقلاً هاماً في «الوطن» الكويتية تحذر هل وتهاجمهم لماذا تواجه مثل هذه المسابقات التي ترى انها تسمى في رفع مستوى الأبداع؟

انه نفس الشئ، فعلته بالنسبة لجائزة موبيل اوبل للرواية العربية، في ملحن الادب والفن بمجلة الوطن العربي المحتجبه، ثم مذخرأـ كما ذكرت انتـ على صفحات جريدة الوطن الكويتية، عندما طالعتنا صحيفة الاهرام، بشرط مسابقة جديدة تعتقدوها موبيل اوبل للقصة في مصر، اما ماذا هاجم مثل هذا، فجوابه واضح ويسقط للغاية، هل قلب «موبيل اوبل» على الرواية العربية وقصة القصيرة؟! و اذا فاز بها في البدايةـ لزوم التعميمـ كاتب جيد أو قاص لأخلاق عليه، فهو مستتر موضوعيه الشركة الاحتكارية مصادره الدم العربي الى الابد؟! أم أنها ستنعرف بالجائزة في قادم الاعوام.. لتكرس وتتروج منافع بعيتها، واذا لم يكن هذا الذي يرى بعضًا من ابعاد الغزو التقافي، فليرشدنى احد الى سوا السبيل؟

ان هذه الشركات الاحتكارية الاجنبية العملاقة، وغيرها من الشركات متعددة الجنسيات والعاشرة للقرارات، هي نفسها التي تقول مراكز الابحاث العسكرية ومخبراتها الشيطانية، وهي التي تزود آلة الغرب الحربية الهائلة بقودها المالي الدائم، والوجهة أساساً لضررنا ومحنتنا، وكل العالم الثالث بوجه عام.

وإذا كانت مؤسسات الغرب بما في ذلك اسرائيل بالطبع تواصل نشاطها وانشطتها من خلال اغذاق الشركات عليها، فلماذا لا تفعل نفس الشئ: الشركات العربية الكبرى، لماذا لا تخصص شركات التسبيح الضخمة، وجمعيات المديدة والصلب في مصر، جائزة سنوية لأحد فروع الابداع، ولماذا لا تفعل نفس الشئ: مصانع البتروكيميائيات العملاقة وغيرها من المؤسسات الصناعية في بلدان الخليج العربي، ولماذا لا تقدم البرجوازية العربية بعض ماقدمه السلف في مجالات النهضة بشكل عام، فكنا نعرف ان يوسف كمالـ احد امراـ الأسرة الملكة السابقة في مصر هو الذي انشأ

كلبه الفتون الجميله، وان احدى اميرات هذا البيت قدمت هذه المساحة الضخمة من الارض التي اقيمت عليها الجامعه المصريه في ذلك الوقت «جامعة القاهرة» وكمثال قريب، ماتركه محمد محوده خليل رئيس مجلس الشيرخ في المهد الملكي، حيث ترك للدولة قصراً منيناً فاخراً يزحم باكبر ثروة فنيه من اللوحات والتماثيل العالمية، ومن بينها مالا يقدر بمال، تركها متحفاً عاماً، ومتحفاً ثقافياً يطالع المتاحف العالميه الاخرى بمقتنياته النادره.

لماذا لا يزيد المليونيرات والمليارديرات العرب بعض الجميل لشعيورهم التي كونوا ثرواتهم من خلالها، ولماذا لم يدركوا حتى الان ان من واجبهم وحماية لهم ايضاً، ودعماً لشروعاتهم، ان يدرروا مراكز الابحاث العلمية الفقيره ببعض فوائضهم، وحتى من زكاة اموالهم، مايتبع لهذه المراكز.. ان ترقى الى مستويات البحث العلمي الذي يعمل على دفع عجلة التطور لللامام، والله يعيننا بقدر معقول عن تسول التكتلوجيا من الغرب الذي يضيق علينا الخناق يوماً بعد يوم.

ونفس الشئ ينطبق على الثقافة ودعمها بالجوائز والجلالات الوطنية، أم يتتصرون ان توسيع دائرة الاستئنار يطبع بمحاسهم وامتيازاتهم.

وكلام كثير يمكن ان يقال في هذا المجال لايتسع له مثل هذا الحوار...  
- استاذ مهران، معروف بتأله ماركسي وسجنتا هل انتهى الأمر وابين انت الان؟

الى من القوم الذين اذا احبوا  
لا يحيطون الرجال، ولا يريحون الحيوان  
او ينزلون الماء حتى..  
لو ترافق الموت وانتجست بحار النار طوفاناً مهولاً.  
يا أيها القمر الذي..

مات الاخوه دونه.. جيلاً فجيلاً  
أنا قادم.. مهما تكاثفت الزوابع والممالك الذين تجمعوا  
شرأ وبيلاً

اهرقت كل مظلة خلفي، والهبت الصهيلا  
ونشرت رايات الحروب.  
فلا اعود بغير هودجك المضيع في شعابه الليل..  
أو...  
اردى قتيلًا)

## الحياة الثقافية

---



جولة مع الكتب

---

- المجلة الاسلامية ونسمة الاسلاميين
- خليل عبد الكريم
- اوراق فاروق عبد القادر
- احمد جودة
- اصدارات جديدة
- التحرير

---

قضية

---

بيع اللوحات الفنية لسادة دهون مصر

الضباب والعتمة بل الظلام الذي يشيمه هذا الكم الهائل من المغارات التي تروج للفيبيات والمأوايات والخرافات والأساطير.

والخلافة الإسلامية كما سطر المؤلف في المقدمة: «معرض هام جداً وواعر. تأتي أهميته من أن الخلافة الإسلامية كانت في حقيقة الأمر ثم صارت بحكم الواقع مجرد التاريخ الإسلامي كله ومحبطة الفكر الإسلامي بأكمله» من<sup>٥</sup>.

وقيقيل أن نشرع في عرض الكتاب - وحتى تتضح الرؤية أمام القارئ - بهمنا أن نورد بعض المحتوى الملخص بموضوعه:

آ - الخلافة الإسلامية رغم أنها نظام حكم مدنى إلا أن الخلقا، ماعدا الصديق والفاروق وعلى (ض) قائمراً بإنشقا، المصدر الإلهي لشرعية حكمهم ليفرغوا لس روح المحكومين أن مدارساتهم تستند إلى مرجع ساوى لكى يذعنوا لهم، وحتى لا تتفق في مواجهتهم معاشرة، فإن نعمت إنعتبرت خروجاً عن الدين الذي يستمد منه الخليفة أساس سلطنته. وبزاء الخروج عن الدين معروف وهو ما تحقق فعلاً على طول التاريخ الإسلامي.

ب - إرتبطت الخلافة بفكرة [الأمة الإسلامية] فالخليفة هو إمام المسلمين وحاكمهم في أي بلد أقاموا فيه. وتحسّر الفكرة على مفهوم معنوي هو أن المسلمين تجمعهم رابطة روحية تتمثل في الإعتقاد



## الخلافة الإسلامية ونقطة الإسلاميين

خليل عبد الكريم

أثرى المستشار محمد سعيد المشماوى المكتبه العربية باثنى عشر مؤلفاً، وعندما نشر له [الإسلام السياسي] لفت الأنظار بشدة إليه وإلى طروحاته وأثار عليه نقطه [الإسلاميين]. وسبق لها أن تناولها بالعرض والتعليق في العدددين ٤٢، ٤٥ من هذه المجلة. وأخيراً ظهر له كتاب [الخلافة الإسلامية] عن [دار سينا للنشر] الذى تتميز الكثير من إصداراتها بالاستنارة والعلقانية وهي تشق طريقاً مضيناً وسط

بدين واحد والاتخاط بلغة واحدة مما يؤدي إلى تجانس المجتمع الإسلامي وهو الأمر الذي دفع ببعض الباحثين (الفرجع) إلى تبني مقالة [السلام الإسلامي/Pax Islamica] التي أطلق على المجتمع الروماني إبان إزدهار الإمبراطورية الرومانية.

ج - المهم أن الخلقة ولارتباطها بفكرة [الأمة الإسلامية] ورغم مثالبها التي يسطعها المستشار العشاري في كتابه والتي يستمدّها من وقائع حملتها

موسوعات التاريخ الإسلامي - يستمر إلى حين ظهورها مassis بـ[الدولة القومية] عندها أصبح من الضروري أن تنتهي [=الخلقة] وتندثر، لهذا فإن الحلة الشرسة التي يشنها الكتاب [الإسلاميون] على مصطفى كمال أتاتورك تكشف عن جهل ماضع بممارسة حركة التاريخ، فإذا كان الفازى قد أعلن إلغاؤها عام ١٩٢٤ فان أى حاكم آخر كان سيقدم على ذلك، وهو لذلك يسمون عام ١٩٢٤ [عام الحزن الثاني] والمعروف أن عام الحزن الأول في التاريخ الإسلامي هو الذي شهد وفاة كل من أبي طالب عم النبي محمد (ص) وزوجته الأولى السيدة خديجة (ض).

و جـ قرار أتاتورك كاشناً لإنهاء الخلقة لامتنا لإنهائها ولهذا فان النها بمعونة الخلقة من بعض الكتبة [الإسلاميين] والجماعات [الإسلامية] هر طلب لأمر مجاز، التاريخ ومتضيّبات المصر وبالتالي فهو مستحبيل.

د - تقىء المسلمين وفي مقتنيتهم المارودي وأبر بعلى القراء الخلقي الذين كثروا في ما يكىن أن نسميه [نقد السياسة] ذهروا إلى أن ما يربط الحاكم والحاكمين هو عقد يقع لكل طرف فيه قسمة إذا أغل الآخر برجيات التزاماته فيه، وهم بذلك قد سبقوا بعدهم قرون النظريات التعاقدية التي ظهرت في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر والتي حلّت

محل نظرية الحق الإلهي المقدس التي استند إليها ملوك وأمراء القرون الوسطى، ومع ذلك فان المخلفة ضربوا بفكرا العقد عرض الحاط ولم يأبهوا لها ولم يعبرواها أدنى التفات بل على العكس نسبوا حكمهم إلى المصدر الإلهي، وهو ما كشف عنه فاقتدار بالغ المستشار العشاري مع التوثيق الشديد وهو ما ياتم ناقديه حجرًا لأنهم إن انكروا ذلك شكلوا في أيّاه كتب التاريخ الإسلامي التي إعتمد عليها المؤلف فيما أورد، من وقائع دائمة.

- إن ذلك الموقف الجائز الذي إختاره أرلنوك الخلق، أفضى إلى تعيين مؤليين لاسبيل للتنصل منها واستمرّتا طوال التاريخ الإسلامي؛ الأولى؛ حرمان القاعدة الجماهيرية الغريبة من [المشاركة السياسية] وقيام مجالس نيابية أو هيئات شعبية تعمّت بصوت مسموع في صنع القرار السياسي.

و الأخرى؛ الإنفتار كليّة إلى أي ضمان يحسّن الميزان الأساسية وحقوق المواطنين. ومن ثم غابت [الديمقراطية] منذ نشأة الخلقة حتى إعلان إنقضاضها بمعرفة الفازى أتاتورك.

وبهذه المناسبة فالذين يزعمون أن الشرى هي الديمقراطية أو حتى إنها صورتها الإسلامية، لاهم عرفا الشرى ولا قرروا شيئاً عن الديمقراطية. فالشرى عرف قبل إستقرار في شبه الجزيرة العربية منذ قديم حتى جاء الإسلام فاستعمله مثلما أخذ العديد من التقاليد التقليدية التي كانت سائدة وقت ظهوره (فضلًا إرجع إلى كتاب - الجلور التاريخية للشريعة الإسلامية - تحت الطبع لكاتب هذه السطور).

إن الشرى في أحسن صورها هي حق جرازي للخلافة في إستشاره من بطلق عليهم في الفتنة السياسة الإسلامية [أهل الحل والعقد] ويشتمل على تنفره يعنفهم ولو وجد بطلق الحرية في أن يأخذ



من سلسلة «الكتاب الجديد» التي تصدرها دار الفكر الجديد بيروت، يشرف على السلسلة الناقد اللبناني محمد ذكروب، الذي قدم الكتاب بقوله:

«هذه محاولة جديدة في ميدان النقد الأدبي العربي الحديث. تململها المرأة الأولى التي يقدم لها ناقد عريض على وضع دراسة تفصيلية لقصيدة واحدة من أربع صفحات فقط. في كتاب كامل بأكثر من مائتي صفحة. وهو في هذه الصفحات يدرس ، بدقة العالم وبصبر، ويسعى الدرب إلى الكشف والاكتشاف. يدرس القصيدة الواحدة هذه، في جوانبها المختلفة ومستوياتها المتعددة. فيكاد لا يترك فيها شاردة ولا واردة. كما يقالـ الا ويسقط عليها ضوء» الجديد وقدهـ الجديد، ليس فقط للأدب ولدوره الجسامـ المعرفيـ الاجتماعيـ بل ولدور الذي يراه للنقد في أن يدرس هذه المستويات المتعددة للعمل الأدبي، دراسة تسعـ، باستمرارـ، ان تكون علميةـ، أي موضوعـيةـ، يقدرـ ما تقتربـ من التحديدـ الأدقـ والأخـصـ لمكونـاتـ النـصـ ومستـويـاتهـ، وكـشفـ دلـالـاتـ هـذاـ الـعـلـمـ الـقـنـىـ، وـوسـلاـ إلىـ القـطـعـ معـ ذـلـكـ التـرـعـ منـ النـقـدـ الـانـطـبـاعـيـ الـمـسـتـسـلـمـ لـلـأـهـواـءـ الفـرـديـةـ وـاستـسـهـالـ اـعـطـاـ، التـفـسـيرـاتـ السـرـيعةـ وـاصـدـارـ الـاحـکـامـ الـجـاهـزـةـ القـاطـعـةـ».

برأيهـ أوـ يـلـتـفـتـ عـنـهـ، دونـ الشـزاـمـ منـ جـانـبـهـ لاـ بالـتعـقـيبـ ولاـ بالـتـعلـيلـ، وـالـذـىـ يـارـىـ فـيـ هـذـاـ التـنـظـيرـ فـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـ كـتـبـ فـقـهـ السـيـاسـةـ وـمـدـونـاتـ الـعـارـيخـ الـإـسـلـامـيـ بـشـرـطـ أـنـ يـتـحـلـلـ بـقـطـعـ مـعـتـولـ منـ الشـجـاعـةـ الـأـدـبـيـةـ فـلاـ يـتـمـلـقـ عـرـاطـفـ الـبـاهـيـرـ الـسـازـاجـةـ أـوـ يـسـعـ لـأـرـاضـاهـ وـلـوـ عـلـىـ حـاسـبـ الـحـقـيقـةـ، وـيـقـدرـ مـنـ الـأـمـانـةـ الـعـلـمـيـةـ لـلـأـلـاـ يـلـتـقـطـ مـنـ هـنـاكـ بـعـضـ الـرـقـائـعـ الـيـتـيمـةـ وـيلـرـيـ أـعـنـاقـ الـمـرـوـيـاتـ حتـىـ يـتـوـصلـ بـالـبـاطـلـ إـلـىـ النـتـيـجـةـ الـشـيـخـيـةـ فـاـذـاـ بـيـتـ ذـلـكـ، وـهـوـ ثـابـتـ لـاـمـشـاجـةـ. ظـهـرـ أـنـ الـبـوـنـ بـيـنـ الـشـرـرـيـ وـالـدـيـقـراـطـيـةـ شـاـعـ وـالـخـتـالـفـ وـاسـعـ وـالـفـرـقـ نـوعـيـ لـاـ درـجـيـ،

وـالـأـلـيـلـجـبـ مـنـ يـجـرـؤـ وـيـدـعـيـ أـنـ الـشـرـوـيـ هـيـ الـدـيـقـراـطـيـةـ عـلـىـ السـؤـالـ الـجـهـرـيـ الـأـكـيـ،

لـمـاـ إـخـتـفـتـ الـنـظـمـاتـ الـشـعـبـيـةـ وـانـدـعـمـ دـورـهـ فـيـ الـشـارـكـةـ الـسـيـاسـيـةـ وـحـرـمـ الـمـعـكـرـمـ مـسـلـمـونـ وـغـيـرـ مـسـلـمـينـ مـنـ أـبـسـطـ حـقـوقـهـ وـحـرـيـاتـهـ خـاصـةـ تـلـكـ الـشـيـخـيـةـ تـتـعـلـقـ بـالـعـلـمـ الـسـيـاسـيـ عـلـىـ مـدـىـ الـتـارـيـخـ الـإـسـلـامـيـ وـعـلـىـ أـيـدـيـ الـخـلـفـاءـ؟

\* \* \*

تـلـكـ حـقـائقـ كـانـ يـتـعـيـنـ عـلـيـنـ طـرـحـهـ بـيـنـ يـدـيـ الـقـارـيـ، قـبـلـ أـنـ يـنـدـأـ فـيـ إـسـتـهـراـضـ الـكـتـابـ الـقـدـ [الـخـلـقـ الـإـسـلـامـيـ] وـهـوـ مـاـ سـتـقـومـ بـهـ لـمـالـ الـتـالـيـ بـشـيـةـ اللـهـ تـعـالـىـ.

## لـوـلـوةـ الـمـسـتـحـيلـ . كتـابـ لـ دـ. سـيدـ الـبـحـراـويـ

«فـيـ الـبـحـثـ عـنـ لـوـلـوةـ الـمـسـتـحـيلـ» كـتابـ «الـدـكتـورـ سـيدـ الـبـحـراـويـ، وـهـوـ «دـرـاسـةـ لـقـصـيـدةـ أـلـلـهـ دـنـقلـ، مـقـابـلـةـ خـاصـةـ مـعـ أـبـنـ نـوحـ «مـعـ نـصـ قـمـيـدـ» نـحـرـ مـنهـجـ عـلـمـيـ لـدـرـاسـةـ النـصـ الـأـدـبـيـ». الـكـتـابـ صـدرـ

# محمود أمين العالم مفاهيم وقضايا اشكالية



## مفاهيم وقضايا اشكالية: ل محمود أمين العالم

كتاب جديد للمسنن محمود أمين العالم يعنون «مفاهيم وقضايا اشكالية» صدر عن دار الثقافة الجديدة، وهو مجموعة من الدراسات والمقالات التي حاول أن تجيب على أسئلة حيرة مطروحة في ساحتنا الفكرية والثقافية: هل أزمننا أزمة ثقافية أم أزمة حكم؟ لماذا لم تتحقق إجاباته عملية على أسئلة عصر النهضة؟ كيف ينبغي أن تقدم العلاقة بين المثقفين والسلطة؟ ما هو البعد الثقافي لامكانية تحقيق تنمية شاملة؟ ما هي حقيقة المدحاثة في الفكر العربي المعاصر؟ هل كان ابن خلدون مادياً جديلاً؟ هل كان منبعه طه حسين ديكاريكي؟ وما مصير مشروعه الثقافي؟ معاشرة الأدب بالشارة الاجتماعية؟ هل للتقد الأدبي جذور فلسفية؟ بالاضافة الى مساجلات لكرية حصة مع فكر كل من : محمد عابد الجابري، مهدي عامل، عبد الرحمن بدوى

وتقول المؤلفة ان «كندا» ليست مجرد قرية لقبرة، ولكنها وطن محاصر وشعب متورط مطاردة، وعن منتصف، وفي ظل الانقسامات البالسة، مخيم كندا هو أيضاً، خليه مقاتلة تغلى شرقاً لكن تدخل معركة التحرير إلى جانب مخيمات «جياليا» والشاطئ»، «والذهبية»، «والجزر» خصوصاً، وهي محاصرة بالاسلاك الشائكة، ترى الوطن على مرمى حجر

والكتاب تجربة لتقديم صورة عن مخيم فلسطيني (مخيم «كندا» في «رفع» المصرية) وذلك من خلال الصور، والملعبات التاريخية والقائنية والمياه اليومية لسكان المخيم. الصورة هنا تستلزم استخداماً خاصاً، لها لا ترضي فقط المكتوب، لكنها مستخدمة لتعطي معلومات مكملة له، وبالصورة والملعبة تكتمل صورة الحياة في المخيم. والكتاب في مجلمه على حد تعبير علاء الدين ( صباح الخير ) ١٩٨٩/١١/٣ . بسيط وبماشر، يجعلنا نفك في كسيات الكتب والمطبوعات التي تصدر عن القضية الفلسطينية، ولما بين الكلمات التي تتناولها من سنين «ويجعلني أنكر من جديد في قوة الصدق... وقوتها البراءة».

## وطني على هوى حجو: قبة البواء

عن دار الفتن العربي صدر أخيراً للكاتبة المصرية زينـا شـعـث كتاب وطني على مرمى حجر والكتاب عن مخيم «كندا الفلسطيني»، والمخيم يقع في محافظة مدينة «رفع» على الحدود المصرية الفلسطينية ويقع في ٥١ كيلو متر منبع، وسكنه نحو ٥٠٠ نسمة. يقطعن في ٧٠٠ أسرة ويسكنون في ٤٧٦ سكناً.

وهذا المخيم يخضع ادارياً لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة (الأونروا).

## أوراق فاروق عبد القادر: الصدق والجمو مجدداً:

أحمد جودة

والمسرحيين والمفكرين المصريين والعرب.  
والنقد عند فاروق عبد القادر ليس مجرد تفسير  
أو حكم على نص بالحودة أو الرداء.. وليس اعلاناً أو  
ترويجاً أو ابزازاً لمؤلف

يقول فاروق عبد القادر: «أصبحت كلمة النقد  
في واقعنا الثقافي المتردي كلمة ملتبسة المعنى أو  
سببية السمعة.. اختلط النقد بسراه ومامعت  
المحدود.. الاخبار المchorة أصبحت نقداً، ومحزرو  
الصحف الفنية أصبحوا نقادة.. وكل صاحب دكتراه  
في أي فرع من فروع المعرف الادبية أصبح استاذنا  
نائداً، واصبحنا نقرأ في نقد السنوات الاخيرة عجباً  
ثمة من يمد النقد كهفتها له طقوس خاصة لا يتم  
بغيتها، ولكن يتوجب حد الرفض والقبول بلورة  
بالصلطع الغربي ويطبق على أعمال مصرية وعربية  
في صيادة مشبوهة».

لكن ما هو النقد عند فاروق عبد القادر؟!  
يجبب في مقدمة «أوراق أخرى من الرماد  
والجمر»

من واجب الناقد أن يستعين بمختلف المناهج التي  
تقوم عليها علوم النلس والمجتمع والاسنان لتحليل  
مزيد من الفهم للعمل الذي يتتصدى لنقد، وللمعالنة  
بيته وبين الواقع الذي صدر عنه ليعود فيتبرجه اليه،  
مادام قادرًا على صياغة فهم منسق العناصر الا  
يعتصاد آخر بأوله، مكن مالييس من حقه أن ينتقل  
منهجاً من تلك المناهج دون نقد، وأن يسمى الى  
تطبيقه على أعمال تتبع الواقع غير الواقع الذي  
صدر عنه هذا النهج في أسله الاول، لهذا التطبيق  
لن يصل إلى النتائج خاطئة أو قاصرة أو مضللة.. ثم أين  
هو ذلك النهج الواقع الصافى المتكامل كالبلورة؟؟؟  
والناقد عند فاروق عبد القادر ليس مجرد مفسر  
أو شارح للعمل الفنى.. بل هو «ناقد للفساد  
والتصور والعجز وسوء الفهم.. وتغفى سره، الترايا  
وراء الواجهات المزوفة.. طامع الى كيف أشكال هلا

لم أستطع قط أن أصدق أن ثقافتنا العربية  
المديدة تعانى من أزمة نقد حتى لوasad نقد  
المجاللات، والنقد الانطباعي وأشكال النقد الأخرى  
القائمة على المصالح والشخصانية لحياةنا الثقافية.  
إننا نظلم كثيراً من النقاد عندما نعم الازمة  
ونقول : إنها متعرجة النقد كلها نقاد بين ظهرانيتنا  
تزكى كتاباتهم عكس ذلك كله على طول الخط..  
نقاد يتكلون ثقافة رفيعة، وأدوات منهجية.  
وانهيازاً اجتماعياً وروية نفاذة، وقدرة مدهشة على  
التحليل.. والترصيل والامتناع.  
ومن لا يصدق نعليه بكتاب فاروق عبد القادر  
المبدىء

أما الكتاب فعنوانه أوراق أخرى من الرماد والجمر  
ويضم بين مابيقرب من ٤٠ مقالة في ٢٤٥ صفحة من  
المحم المترسط، وهو مثابة جزء ثان لكتابه الذي صدر  
منذ عامين تحت عنوان (اوراق من الرماد والجمر) عن  
دار الهلال..

أما المؤلف فقد عرف في الاوساط الثقافية العربية  
بالشجاعة، والقدرة على تحدى المؤسسات الثقافية  
الرسمية، بل والأدباء الذين محولوا بحكم وظائفهم  
الرسمية- إلى مؤسسات لها قدرة القمع أحياناً والثواب  
أحياناً أخرى..

ومقالات الكتاب تدور مابين المسرح والنقد  
والرواية والشعر والتاريخ والادب...، وتطور بنابين  
كتابات لمجيب محفوظ ويرساف ادريس وعبد الرحمن  
منيف ومحمد أنيس ومحمد العمال ومحمد شكري  
وحناش الشيخ وسميحه سرحان وغيرهم من الكتاب

بالحزن والرخداد والنقد إلينا، وجهه يبدي أنه دبت  
الشياخة فيه، وجسمه الصغير ملئ قى استدارته  
ليقتذف الحجر الى أبعد ما يمكن. ويتينا انه غير  
خائف، لكن أثره سيفاً بعد ذلك؟ أفيستنا أن  
نتصبر، يملعب لعنة الفميساء من دون هضم  
والاشواغ، شاحعاً ضعكة واسعة؟ أثراً يخشى  
العتمة والثتاب شان كثير من الأطفال فى عمره؟  
كيف تراء وصل الى هذه الحال؟ وما هو معاشه  
اليوم؟ ما هي مشاريعه المستقبل؟

ويمد أن تقدم الباحثة خلقيّة تاريخية للصراع  
العربي الإسرائيلي تقدم المقاومة الرئيسى للبحث وهو  
اللقاءات الميدانية والتفسيرية مع الأطفال (بين ثانية  
أعوام والثانية عشرة)، وهذه اللقاءات الميدانية، التي  
كان الغرض منها هو «اكتشاف جيل الانتفاضة».  
حيث ذهبتا لمقابلة الأطفال والراهقين الفلسطينيين  
بعيداً عن الانهيار الشديد والآثاء، الدرامية التي تحفل  
الأعمدة الأولى من الصحف، ومحاولين أن تناولهم  
ككتابات من «لم ودم»، أي في قوتهم وهشاشتهم،  
فى آمالهم وفي لحظات إيهامهم.  
وتؤكد الباحثة أن الطفل الفلسطيني يملك أرواناً  
رابحة وسنية الجاذبية التي استثنى أسرته منذ عقود،  
عبر تاريخها المؤلم، لا وهي قرة النظام العائلى  
والأساس الاجتماعي.

والمساكن الاجتماعية كان النتيجة الازمة  
لتنظيم اجتماعي تقليدي تمزق - مجدداً - تحت دفع  
الانتفاضة وكردة فعل على قسوة سياسة التمع، وما  
هو تطبيق المعتقدات الاجتماعية بخاصة، الذي عزز  
شعر التضامن العام، حيث بات كل فرد يملك  
الانتفاع بـأن يعيش شأن الآخرين تحت طائلة تهديد  
دائم.

الكتاب صادر عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية  
والمجتمعية الكريتية لتقديم الطفرة العربية ، ودار  
الفتن العربي.

والتصور والعجز وسوء الفهم.. وتتحقق سره الترايا  
ورا، الواجهات المزيفة.. طامع الى كشف أشكال هنا  
كله ومجملاته ومراجعتها، ذلك أنه يحصل بين جنبيه  
تلك الشهرة القديمة المتجلدة لصلاح الكرن الفاسد»

## يكبرون على إيقاع الانتفاضة

منذ بدء الانتفاضة، يحتل الأطفال والراهقين  
الفلسطينيون مسرح الأحداث والتطورات في الساحة  
الفلسطينية. وإذا كان الرمز إليهم بأطفال المجاهدة صار  
مازقاً في مختلف أجهزة الإعلام، فنان من غير  
المق�ول تخفيص حياتهم مجرد «شعار»، فيما كان  
معيناً. وقد سعت العالمة النفسية الدكتورة سيلفي  
منصري، التي تعمل حالياً في أحد مستشفيات  
باريس، وكانت قارس عملها سابقاً وحتى سنة ١٩٨٤  
في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت، لسرير  
أغراض هؤلاء الأطفال والراهقين في حياتهم العادي،  
ويعيناً عمما تشيره في المختلقة صور الأطفال  
والبطولات، وهذا الكتاب حصيلة رحلة دراسية قامت  
المؤلفة بها إلى المناطق المحlette، يروي التاريخ الطبيعي  
للأطفال الذين يكررون على إيقاع الانتفاضة: حياتهم  
اليومية واهتماماتهم وتعلمهم ومشاركة قيمهم.  
كل ذلك من خلال ملاحظات المؤلفة وال مقابلات  
والاستقصاءات التي أجرتها خلال رحلتها، ومن أجل  
استكشاف الجروح النفسية التي تخلفها المعاشرة،  
وما ينبع عمله لتعضيد هذه الجروح.

تقول سيلفي منصري:  
«الطفل يملك بمحاجن في كلتا يديه، لكنه  
سيبدأ يقتذف أصفرها. وهو يبدي أنه يستشعر البرد  
بسحرته التي باتت تضيق على سنه، لكنهما نظرنا  
إلى الصورة فرجنا بالانطباع بأنه يوجه ناظرية المترiven

بيع اللوحات الفنية لسداد ديون مصر

## هل نبيع تراثنا الثقافي؟

لن أيدينا ذكرة البيع ولن عارضوها.. فقد كان رؤوف توفيق الكاتب السينمائي وصاحب الاقتراح الأصلي أعلى الاصوات داعياً عن البيع، وسعد الدين وهبة الكاتب المسرحي ورئيس بلجنة الثقافة بمجلس الشعب والمخرج الكبير صلاح أبو سيف (اللاستاذ) والمخرج التليفزيوني محمد فاضل والنحات التشكيلي عبد الرحيم مرسى والمخرج التشكيلي لصباح الحيرى ابراهيم عبد الملاك والمخرج السينمائي محمد خان.

في الجانب الآخر وقفت مجموعة كبيرة من صورة الفيزيورين على تراث وسمعة هذا البلد تدافع عن وجود هذه اللوحات داخل مصر وكان على رأسهم استاذ الاقتصاد ومؤلف كتاب «قصة دين مصر» د. جلال أمين ود. نعمات أحمد فؤاد والكاتب الكبير مجتبى محفوظ ود. سيد توفيق رئيس هيئة الآثار وصلاح طاهر وبيكار وعبد القادر مختار وحسن غنيم من الفنانين التشكيليين بالاهاة الى مجموعة كبيرة من المثقفين الذين يرفضون هذا التصرف غير المحضارى.

والغريب أن جريدة الرؤوف لم تراجع قانونية الرصبة

شهدت القاهرة خلال الفترة الأخيرة جدلاً واسعاً حول اقتراح بيع مقتنيات متحف «محمد محمد خليل» و«المجزرة».. من أعمال الفن العالمية التي تتضمنآلاف القطع النادرة لصالحة الفن العالمي ابتداءً من روينز ورامبرانت وديلاكروا ولمان جروخ وجوجان وسبيزان وماهيس ومئات آخرين.. بالإضافة إلى قطع أثرية نادرة من الفنون الشرقية التقديمة (سجاد، بالور، خشب، صيني، سيراميكي، منسوجات) وهذه الشروط على حد تعبير وزير ثقافتنا - تنافس مقتنيات متحف اللوفر، وقد رفع دعوة ذكرة البيع شعار «من أجل تسديد نصف دين مصر»!! اذا قررت هذه الشرطة بأكثر من ثلاثة مليارات من الدولارات.

والغريب أن يتبنى النقيضان (سياسيًا على الأقل)، الرؤوف وصباح الحيرى، هذه الفكرة غير المسئلة.. واستطاعا على صفحات كل منها اجتذاب آراء متعددة من الكتاب والفنانين ومن قيادات الرأى العام والمتخصصين ليدخلوا هذه المعركة، حتى أصبحت اهتماماً شعرياً

وقد كشف هذا الاقتراح مفارقات غريبة بالنسبة

التي سجلها محمد محمد خليل الذي ينتهي إلى عصر يعتبره الرفدين العصر الذئب لصر. فالرجل كان وطنياً غيراً معاذياً للإنجليز وكان رئيساً لمجلس الشيرخ، وكان باستطاعته أن يبيع مقننياته الفالية أو يهبها لزوجته الفرنسية، ولكنه رأى أن تظل في مصر وفي قصره الذي حرمه هذه المقتنيات الى متى عالى المسترى.

وبسبب التصريح الذى أدى به سعد الدين وهبه، وأكده جريدة الرائد فيما بعد قائلاً: إن الموضوع سيطر على المناقشة فى مجلس الشعب، زادت سخونة الجدل الدائر، فتحركت نقابة التشكيليين وأصدرت بيانها ضد البيع وجاء فيه.

«كيف يباع ثراث الوطن سوا، كان قد اشتراه أو صنعه؟ إن الفكر البشري وحضاريات الإنسان يجب إلا يساوم عليها بالبيع أو الشراء، أو أن توضع تحت مراقبين تجارية تخرج عن حدود النهم الراهن المتحضر. إن النقابة ترفض بشدة وتشجب كل معاملة للنيل من ثراث مصر وتسريره، وتطلب من وزارة الثقافة التدخل الفورى بالرأى العاقل المستثير ومنع التعدي على تاريخ مصر الشاققى وما تملكه من ثراث إنسانى تعزز وتعزز به».

وذلك قام المركز القومى للتراث التشكيلية بعقد ثلاثة ملتقيات قومية لمناقشة هذه القضية بدار الاورا دعا إليها كافة القرى السياسية والثقافية والوطنية إلى جانب المفكرين والأدباء، والفنانين والهيئات العلمية والثقافية، لإقامة حوار يمقاطعى، يحاور اقتناع الرأى العام بمخاطر التفكير فى البيع قبل وقوعه. وقد اكتشف المركز أن التيار العام من المثقفين يرفض عمليات البيع، ووجد فى إثارة هذه القضية فرصة لاستقطاب تأييد شعبي لمشروعات المركز لتطوير المتاحف وتحسين أوضاع الخدمات الفنية

لكرة البيع واستئنافها، وقد أكد رفضه لى متقر أدباً، مصر فى الأقاليم وكذلك د. أحمد نصار... ويدرك للوزير أنه ثور توليه الوزارة كشف السنار عن الأراضع المؤله التى وجد عليها هذه المقتنيات الشميمية بمخازن المتاحف، وقدم - وقتل - إلى رئيس الوزراء، مشروعاً متكاملاً لتطوير هذه المتاحف وتربيتها لاجتذاب السياح بما يعود على البلد بعائد مادى كبير وبالفعل تم اعتماد سبعة ملايين جنيه للذك من موازنة العام الماضى والوزير لن يجازف بالدخول فى هذه المعركة لأن الحملة الوطنية التى ت تعرض لها بسبب مشروعه السياحى (مشروع هضبة الهرم) تجعله حذراً. ولكن من سينجع؟ ومن يمسك بغير طلاقه. إن الضمير الحضارى للرأى الشاققى العام يرفض هذه المقايضة المخزية، على الرغم من تهديد سعد الدين وبه بطرح المسألة للنقاش فى مجلس الشعب.. يعني أغلىية (موافق)، كان هذه اللوحات ارت للآباء، وليس ارثاً وإنما من نسبع حضارى لشعب بأكمله.

أن ثراث الفن الاروى بمصر أصبح جزءاً من نسيجهما الشاققى ومن ثقلها للحضارى الإنسانية، يقدر ما يعتبر الفن المصرى القديم أحد المكونات الأساسية بالمتاحف الاوروبية الذى تنفس به وتمثبه جزءاً من نسيجهما الحضارى

ومن حق مصر أن تغفر بالتراث الاروى لديها وأن تدافع عنه وأن تحصل على استئثاره ثقافياً باتاحة فرض التزود منه للجماهير للارتفاع بذلكها الجمالى، واستئثاره اقتصادياً باجتناب السياح لمشاهدته، وتأجيره للعرض ببلدان العالم أسرة بالتراث الانساني ولو بيعت هذه اللوحات - على حد تعبير الفنان الكبير صلاح طاهر:

هل ستعصن لنا أموالها حنارة؟

صرح وزير الثقافة فاروق حسنى بأنه يستبعد

# كلام مثقفين

## إن فائد الحبر يامتفف

ثبتت الرؤية، واتضاع أن الخبر الذي نشر عن اتجاه الهيئة المصرية العامة للكتاب، إلى أغلق المجالات الثقافية التي تصدرها، أو دمجها في مجلة واحدة، ليس دقيقاً، وهكذا انقض - بسرعة - مولد الهاج بالحياة والسقوط، الذي كان قد نصب نور إعلان الخبر..

أما الذي لم ينقض - لأنَّه لم يبدأ بعد - فهو الحوار حول دور الدولة في مجال الثقافة، سواء كان هذا الدور، هو إصدار مجلات، أو نشر كتب، أو تمويل مسرحيات، أو إنتاج أفلام، وهي واحدة من القضايا الساخنة، المعلقة في جدول أعمال جماعة المثقفين المصريين منذ عقدين على الأقل، لكن أحداً لم يناقشها بجدية، بل لم يعد أحد يذكرها أصلاً، في ظل الدياجوجيه البليه،.. التي ينشرها عصر المبوعة السياسية والفكريه، الذي ابتلتنا به الأقدار..

وظهر هذا الحوار، الذي لا بد وأن يبدأ قبل أن يدركنا الطوفان، هو تقييم دور الدولة في مجال الثقافة خلال الفترة الليبرالية (١٩١٩ - ١٩٦١)، ثم الحقبة التي سميت بمرحلة التحول الاشتراكي، والتي بدأت منذ عام ١٩٦١، ومازالت أطراها السياسية والتنظيمية قائمة حتى اليوم، رغم انتقال «الاشتراكية» إلى جدول المطلوب القبض عليهم أحياه أو أمواطًا..

ومنذ البداية، كان هناك - حتى بين غلاة الاشتراكيين - من تحفظوا على توسيع الدولة في تقديم الخدمات الثقافية لتشمل رعاية الموهوبين، ونشر انتاجهم، والاتفاق على مهاماتهم في التجريب، ووجدوا في ذلك تزيداً، يتم على حساب الفنانيات العريضة من الجماهير، من يعجب على الدولة أن تقدم لهم خدمات ثقافية، تتناسب إلى ما يمكن تسميتها بالفن التعليمي..

وكان هناك - بينهم - من تخوف من أن يكون الهدف الرئيسي لسيطرة الدولة على المؤسسات الثقافية هو دمج جماعة المثقفين المصريين، في بنيتها السياسية والإيديولوجية، ومحظط استقلاليتهم، ومساومتهم على أفكارهم وموافقهم، بنشر قصة، أو طبع ديوان..

أما وقد غيرت الدولة توجهاتها السياسية والاجتماعية منذ عقدين من الزمان، دون أن يفتح المثقفون ملف سيطرتها على المؤسسات الثقافية، اكتفاء بالهاج بالحياة والسقوط في المناسبات والموالد الرسمية فلا تفسير لذلك، إلا أنهم قد عثروا أخيراً على الشعار الذي يلبي بهم، وهو: إن فاتك الميرى.. - يامتفف - امرغ في ترابه

# مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

تقديم

دار الثقافة الجديدة

\* مع الاباعة :

- مفاهيم وقضايا اشكالية
- للاستاذ : سمره أمين العالم
- ماذا يحدث في العالم الاشتراكي
- للاستاذ : محمد الجندي
- تاريخ موجز للزمان
- (من الانفجار الكبير .. حتى الثقوب السوداء)

ستيفن هركنج

ترجمة : د. مصطفى إبراهيم نعيسى

- \* واصدارات أخرى تجيدها نسخة الدار والمكتبات الأخرى :
- البهلول (توفيق فناش) من الأدب الفلسطيني
- أضواء على البيبرسون كما : (نصف قرن إلى المرأة) - تأكيدنا خروتشوف .. حباته ومصيره - بريجنييف .. فقرة الركود - تقديرهم جديد للزعامة السوفييتية
- الحرية الإنسانية والعلم (يحيى طريف المخول)

دار الثقافة الجديدة: ٢٢ ش. سمير ابر علم/ القاهرة/ ٣٣٣٨٨٨٠

كتاب الأهالى رقم ٢٥

ندوة «الأهالى»

إبراهيم فرج / إسماعيل صبرى عبد الله /  
أمين هويدى / خالد محى الدين /  
رضت السعيد / سيد ياسين / عصام المرانى /  
فؤاد مرسى / فيليب جلاوب / لطفي الحوى /  
لطفي واكح / ماقون الهضبى / محمد سيد  
تحمد / محمد عبد الله / محمد عواده /  
محمد أمين العالم / يوسف كمال /

## • الرئيس وبروكسل ومستقبل الاشتراكية

الحوار الذى  
بين الوفدين أداته الأهالى

التطورات الأخيرة فى البلاد الاشتراكية  
 حول الشيوعيين والمعجميين

يصدر أول بونتو

# رائدة صناعة الإطارات في الشرق الأوسط من الشركات القائلة في العالم التي تُنتج جميع أنواع الإطارات



- إطارات سيارات الركوب
- إطارات سيارات النقل
- إطارات الجرارات الزراعية
- إطارات سيارات نصف النقل
- إطارات الموتسيكلات والدراجات



## المركز الرئيسي والمصانع :

- ش ٣٨ سموحة - الإسكندرية
- ٢٩١٤٦٧٨ / ٤٢٠٤٤٧٢ / ٤٢٠٤٢٧٧
- فرع القاهرة : ٨ شارع شامبليون
- ٧٥١٤٥٥٠ / ٧٥١٢٤٦
- تلفون ٩٦٦١٢
- جقا، توكوس الإسكندرية

